ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

قصائد لها قصص مؤثرة 11

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

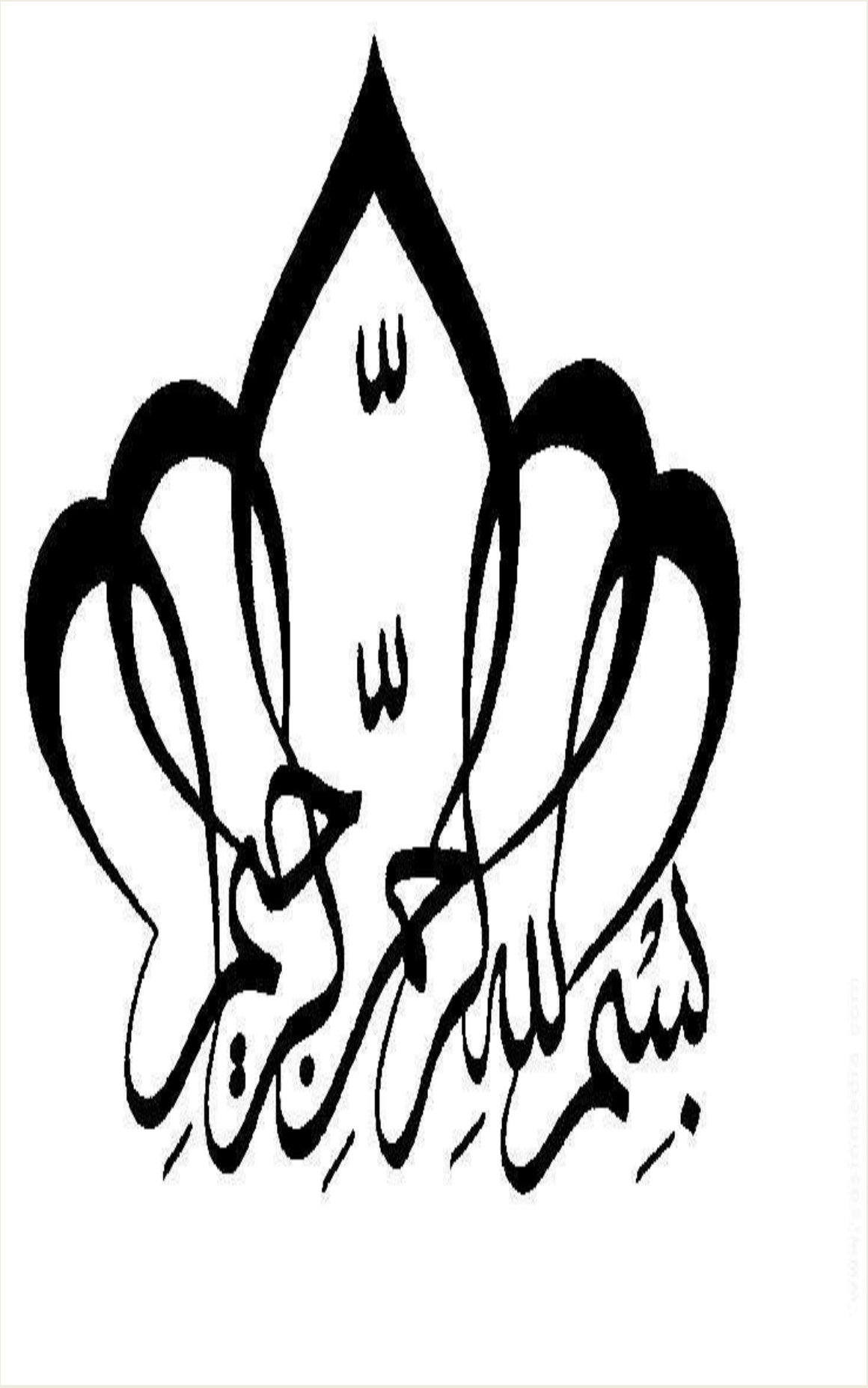
بسم الله الرحمن الرحيم

قصائد لها قصص مؤثرة 11

(لا شك أن القصيدة عندما تدفع إلى كتابتها قصة أفضل من سواها!

وأعتقد أنني في كل قصةٍ مؤثرة أقرأها أو أسمعها أكتب عنها!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي)

(من منا لا يعرف محمداً بن إدريس الشافعي إمام المذهب – رحمه الله رحمة واسعة -! كلنا يعرفه فقيهاً مناظراً مفحماً للبدعة وأهلها ، وناصراً للسنة وأهلها! فقد أغناه كتاب (الأم) في الفقه عن التعريف به كفقيه ، وأغناه كتابه (مسند الشافعي) عن التعريف به كمحدث! ولكن القليل منا يعرفه شاعراً نحريراً ، ألان الله له البيان والبديع والبلاغة والإبانة والفصاحة! فقد حظي ديوانه الموسوم بـ (الجوهر النفيس في شعر محمد بن إدريس) عن التعريف به كشاعر!
قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى مشفقاً على نفسه ومتهماً إياها بالتقصير في جنب الله:

أحب الصالحين ولستُ منهم *** وأرجو أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي *** وإن كنا سواءً في البضاعة

فقال له الإمام أحمد رحمه الله تعالى مادحاً الشافعي ومثنياً عليه ومطمئناً له ومهنئاً ومبشّراَ:

تحب الصالحين وأنت منهم *** ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من بضاعته المعاصي *** حماك الله من تلك البضاعة

ولقد قرأت شروحاً كثيرة لبيتي الشافعي الأوليين! ولكنني وجدت الأستاذة الأديبة فاطمة علي تشرح البيتين للشافعي بطريقة إبداعية - وكأنها ابنة الشافعي أو تلميذته - فتقول ما نصه: (من قول الإمام الشافعي: (أحب الصالحين ولست منهم لعلي أنال بهم شفاعة) فهو يقول عن نفسه بأنه يحب الأشخاص الصالحين الذين يفعلون الخير. ويتجنبون فعل السيئات ويسعون إلى رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته. فيتجنبون كل فعل سيءٍ قد يُدخلهم النار ويحاولون دائمًا الإصلاح من أنفسهم. ويكمل الإمام كلامه بقوله :"لست منهم" وذلك تواضعًا وإقرارًا بتقصيره. وذلك لأنه يعلم أن المؤمن مهما فعل فسيظل مقصر. ولا يكفي فعله لشكر فضل الله ورحمته ، وكلنا كذلك نسأل الله العفو والعافية. ويقول الإمام بعد ذلك: "لعلي أنال بهم الشفاعة" ، وهو يقصد أن: لعله ينال الشفاعة بسبب حبه للصالحين. فمن يحب سوف يعمل على تقليد من يحبه في كل أفعاله الحسنه. وقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن المرء مع من يحب! فعن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله ، قال: فإنك مع من أحببت ، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : فإنك مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر. فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم. وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله. كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب. وأما عن البيت الثاني والذي يقول فيه الإمام الشافعي: "وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة": فهنا يقول الإمام الشافعي أنه يكره من يتاجر بالمعاصي. أي أنه لا يحب الأشخاص الذين لا يُخفون ذنوبهم بل يُجاهرون بها. ويفعلون الذنوب دون ندم أو خجل من فعلها. ويكمل قوله: "ولو كنا سواءً في البضاعة" أي أنه يعترف أن لديه ذنوباً ومعاصي. فكلنا مخطئون ولدينا ذنوبنا ، ولكنه هنا يقول بأنه ليس معصوم. فهو أيضًا له ذنوبه! وسبب كرهه لمن يتاجرون بالمعاصي ليس أنهم

عاصون. فكلنا كذلك بل سبب الكره أنهم يتاجرون بها ولا يندمون عليها. فهذه القصيدة ليس الغرض منها أن يمدح الإمام الشافعي في نفسه ؛ والدليل على ذلك أننا لا نجد فيها أبدًا ما يدل على الشكر في الذات وتمجيدها سواء بالتعبير المباشر أو حتى باستخدام الكناية. بل إنه ليعترف بكونه بشراً يخطئ ويصيب ، ولكنه يحب الأشخاص الصالحين ، ويأمل أن يكون حبه لهم وإنكاره فعل من يتاجرون بالمعاصي أن يكون سبباً في الشفاعة له ودخوله الجنة).هـ. ومن فاطمة على إلى فاطمة عبد المقصود ، حيث تقول تحت عنوان: (أحب الصالحين ولست منهم) ما نصه بتصرفٍ زهيد: (كثيرًا ما تهفو الروحُ إلى أولئك الطيِّبين ، الذين تشعرُ حينَ تلقاهم أنهم أصحابُ قلوب رائقةٍ لا تَأْبَهُ لعوارض الدنيا ، ولا تتشوَّق لنَيْل حظوظِها ، تلقاهم فيرتاحُ القلبُ ، ويودُّ لو يرتقي فيَصِل إلى سمائهم العالية ، تَعلَمُ أن بينَك وبينهم أمدًا بعيدًا ؛ فهم على الطريق يُهرولون إلى الخيرات وإلى نبع النور ، بينما أنت تتلفَّتُ هنا وهناك مرَّات ومرات قبل أن تُكْمل على الطريق خطوةً ، لكنك تَشدُّ من عزمِك ، وتُغذِّي طموحَك كلما رأيتَ غدوَّهم ورَواحَهم. وإنك لتفقدُ صبرَك أو تجورُ على غيرك ، وإنك لتَغفُلُ عما هو حقٌّ وواجبٌ ، ويغيب عنك كثيرٌ من الخُلق الرفيع ، وتدَّعي أنك على الحقِّ والخير ، فإذا ظهروا عرفتَ أين مكانَك ، ورأيت كيفَ هدوءهم وصبرُهم وجَلَدُهم ، ورأيتَ حرصَهم على الواجبات وتغافلَهم عن المُسيئين ، ورأيتَ بَذْلَهم وأدبَهم ، فإذا بهم قد علَّموك كثيرًا دون أن تَنْطِقَ شِفاهم بحروف كثيرة. هم ذلك الطَّيْفُ الذي تراه فتشعرُ أن الهواءَ من حولك نَسمات صافيةٌ ، تَطِيبُ معها القلوب والأبدان ، هم أولئك الذين لا يَملَأون وقتَك بسفاهات الفارِغين ، بل تجدُ في كلِّ كلمة لهم مغزًى تَنتفِعُ به. إنهم كصديقتي التي لم أكن ألتقيها إلا قليلًا ؛ لأنها شَغَلتْ أوقاتها جميعًا بما يُصلِحُ أحوالَها وينفعُها ، تتركُ فيَّ ذلك الأثر الذي يدفعُ إلى الخير ، ويُحبِّب إليَّ الترقِّي. لن تَعدَم أن تجدَ أحدًا منهم بجوارك إن بحثتَ ، وقد يكونون أقربَ ما يكون إليك ؛ في أسرتك الصغيرة ، أو عائلتك الكبيرة فيمَن تعرفُ من الأصدقاء أو زملاءِ العمل ، أو حتى مَن كانوا في رفقتك يومًا ، أو من التقيتهم عرضًا في موقف من مواقف الحياة. هم الذين تحتاجُهم الروحُ وإلَّا لم تَجِدْ أنيسًا ، ويرتاحُ بهم القلب وإلا بقي مشتَّتًا حزينًا ، فلا تتردَّدْ في البقاء إلى جوارِهم إذا ظَفِرْتَ يومًا بهم ؛ لعلك تقتبسُ من خِصالهم وأخلاقهم ما ترتقي به ، وتندفع إلى سباقِ الخيرات).هـ. وإذن فالمعنى المراد أن المرء محشورٌ يوم القيامة مع من أحب! وهذا الذي نفهمه من حديث رسول الله – وتحت صلى الله عليه وسلم - ، ونفهمه كذلك من بيتي الشافعي – رحمة الله تعالى عليه -! عنوان: "المرء مع من أحب" يقول الأستاذ أباي محمد محمود ما نصه: (غاية الإكرام أن تحب إنساناً فتبلغ مناك في اللحاق به وإن قصر بك عملك عن درجته ، وقد وقعت هذه البشارة موقعها من قلوب المحبين المتولهين بحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه لما سمعوها منه فقد قال قائلهم (والكاتب هنا يعني أنس بن مالك) -: "ما فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذا الحديث". وكان ثوبان رضي الله عنه مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له وكان يراوده هذا الهاجس ، يخاف ألا يلقى النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت بسبب تفاوت الدرجات ، وفيه نزلت آية سورة النساء ، قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه ، يعرف في وجهه الحزن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما غير لونك؟!" ، قال: يا رسول الله.. ما بي ضر ولا وجع ، غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك ، لأني عرفتُ أنك تُرفع مع النبيين

– عليهم صلوات الله وتسليماته - ، وأنى إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل لا أراك أبداً ، فأنزل الله عز وجل قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وعند الطبراني من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: والله إنك لأحب إلى من نفسي ، وإنك أحب إلي من أهلي ومالي ، وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} الآية. بهذه المحبة الصادقة وبهذا التعلق استحقوا هذا الإكرام "المرء مع من أحب"! فيا لها من نعمة على المحبين سابغة. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره ، إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد! فقال له النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ما تشاء؟ فقال: المرء يحب القوم ولا يعمل بأعمالهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: المرء مع من أحب. وفي رواية البخاري: "كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ ، فقال: المرء مع من أحب". فألحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة!

كما يقول الخطابي رحمه الله. ومما ينسب إلى ابن حجر رحمه الله قوله:

وقائل هل عمل صـــــــالح ... أعددته يدفع عنك الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى ... وحبـــه فالمرء من أحب

ولحاق المحبوب بمن أحب وكونه معه لا يلزم منه أن تكون منزلته وجزاؤه مثله من كل وجه! قال ابن حجر في الفتح قوله: "إنك مع من أحببت أي ملحق بهم حتى تكون في زمرتهم ... وإن تفاوتت الدرجات"اهـ. ليس الأمر هنا على إطلاق المحبة فليست كل دعوى محبةٍ نافعة لصاحبها" فلا ينتفع من ادعى محبة قوم ، وخالفهم في أخلاقهم ، وأعمالهم رغبةً عنها بمحبتهم ، ولا يلحقه ذلك بهم. وكذلك – أيضاً – لو كان مشتغلاً عن متابعتهم ، وموافقتهم بما هو فيه من شهوات النفس ، وتُرَّهَاتِ الهوى ، والعكوف على تحصيل الدنيا بأي وجهٍ تيسرت به ، بحيث غلب عليه الظلم والغش والمكر والخديعة وغير ذلك ؛ فإنَّ ما يدعيه من محبتهم لا ينفعه ، ولا يلحقه بهم ؛ لأنه مجرد تَمَنٍّ ، ومحضُ ادِّعاء لا يُجدي ، وكيف تثبت له محبتهم وقد عكف على أوصاف من سواهم ، وجاء بأعمال من عداهم ممن ليسوا منهم؟ ومن هذا القبيل محبة الظَّلَمةِ والفَسَقةِ للصالحين ، وتقربهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم ، وإرسال الهدايا إليهم ، وهم مُكِبُّوْنَ على ظلمهم للناس ، وإسرافهم على أنفسهم ، فهؤلاء لا تنفعهم محبة الصالحين ، ولا تلحقهم بهم. واما من كانت مخالفته لهم لا على طريق الرغبة عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأَنَفَةِ من أحوالهم ، بل كان ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم ، والانحطاط عن عُلُوِّ همتهم ، أو على وجه غلبة الهوى عليه ، وضعفه عن مصادمته ومخالفته ، فوقعت منه الزلة ، وألَمَّ تلك اللمة ، ولو تيسر له اللحاق بهم في وصفٍ لم يتأخر عن الاتصاف به ، أو في خُلقٍ لم يتوان عن التخلق به ، فهذه المخالفة والتقصير لا يُقعدانه عن اللحاق بمن يحبهم ، ولا يؤخره عن الكينونة معهم ، وعلى ذلك تحمل الأحاديث والآثار الواردة

في ذلك". كما قال الغزي رحمه الله تعالى في حسن التنبه لما ورد في التشبه. المحبة إذن تجارة رابحة ، لكنها تستلزم الموافقة والمتابعة وإلا كانت مُجرد دعوى).هـ. ومن هنا كانت مُساجلتي ومُحاكاتي الشعرية للشافعي – رحمه الله تعالى - ، في هذين البيتين الرائعين! واتبعتُ في ذلك النمط من المعارضات الشعرية منهج الإمام أحمد بن حنبل تلميذ الشافعي في الثناء على الشافعي وإبراز مكانته ، فيما يبدو لنا والله حسيبه ووكيله! ولا نزكّي على الله ربنا أحداً!)

تُحِبُ الصالحين ، وأنت فيهم ... كمثل البدر يُهديهم شُعاعَهْ

وتكرهُ مَن يُجاهر بالمعاصي ... ترى العِصيانَ مِن أخزى البضاعة

ملأت الأرض عِلماً لا يُبارى ... وظني أن يُبلغك الشفاعة

وفقهت العباقرة احتساباً! ... وفقهُ الدين والتقوى صِناعة

وعلمت الأصولَ ، وكنت فيها ... إماماً كلهم يرجو اتباعه

وناولت المناقبَ كل فذٍ ... إليها أشهرَ الفذ اندفاعه

وخضت البحرَ لم تحذرْ عُباباً ... بزورق مُبحر أعلى شِراعه

ودَرّست المبادئَ والسجايا ... كأنك كنت تزرعُها زراعة

وربّيت الأماجدَ تصطفيهم ... وكلٌ منهمُ أبدى انتفاعه

ورسخت التمسك بالمَعالي ... ولم تأخذ مِن الدنيا لعاعة

وقدمت القصائدَ كاللآلي ... تفوقُ الدُر – صِدقاً – في النصاعة

و(جوهرُك النفيسُ) دليلُ قولي ... تَزينُ نصوصُه طِرسَ الطِباعة

وفذ في (الرسالة) عبقريٌ ... وفيها يَشتهي القاري مَتاعه

وفي (الأم) التفقهُ مُستنيرٌ ... يصدُ الخَصمَ مُحتملاً نِزاعه

ومُسندُك احتوى كم مِن حديثٍ ... رواهُ البعض ، أو روتِ الجماعة

وجابهت الطواغيَ دون خوفٍ! ... وغيرُك ساقَ – في البلوى - وِجاعه

وناظرت الخصومَ بفيض علم ... وخلّفَ علمُك الجمُ القناعة

ولكنْ لابتداع البعض بأسٌ ... وبعضٌ منهمُ لفظ ابتداعه

وأفحمت المُناوئ في التلاحي فأبدى – في المناظرة - التياعه

وكم سافرت أسفاراً طِوالاً! وكم عاملت تُجاراً وباعة!

وكم أهديت نصحَك من تعدى وإن يكُ لم يُناولك استماعه

وكم قابلت مُنفعلاً بحِلم ولطفٍ رافعاً كَف الضراعة!

وكم أحسنت في سِر وجَهر وشِيمتُك التفضلُ والوَداعة!

وكم أخلصت ترجو لَمّ شَمْل يُعاني الناسُ – في الدنيا – انقطاعه!

وكم أبدعت في إيصال رأي لتدفعَ ما افترى أهل الوضاعة!

وأقنعت (الرشيدَ) بلا افتئاتٍ وقد ذهبتْ بحِكمته الإشاعة!

فقال: (الشافعي) إمامُ حق! لأجلك قانعاً عقد اجتماعه

وقدّرَ ما تُقدّم من علوم وقال: أمُرْ تجد سمعاً وطاعة!

وفكّ القيد معتذراً لشيخ! ونظف ما اعترى - أسِفاً - ذراعه

فقلتَ: أعودُ منتصراً عزيزاً فقال: اذهبْ ، ولكنْ بعد ساعة

وكانت عنده شتى القضايا فأرهفَ – في تداولها - سماعه

على أهل الكلام رُئيت ليثاً فكلٌ منهمُ أزجى خِداعه

وسَعّر حقده حرباً ضروساً وبالغ في التنطع والفظاعة

وأشهرَ سيفه حسداً وحِنقاً وكان كلامُه أنكى شناعة

وجاء (الشافعي) فردّ كيداً وأبطل باطلاً يُغري سِباعه

ودافع عن حياض الدين فرداً وجندل مُنكَراً يُزجي ضِباعه

وأخمدَ فِتنة بَلغتْ مَداها كبَكر عندما لقيتْ (خزاعة)

ألا يا (شافعي) لك التحايا ومَتعك المُهيمنُ بالشفاعة

شفاعة (أحمدٍ) يوم التنادي! وخفّفَ عنك - في المأوى - وِجاعه!

أبتاهُ عُذراً!

(عسيرٌ على الإنسان أن يعجز عن حماية ذويه فضلاً عن حماية نفسه التي بين جنبيه! ولكنها إرادة الله تعالى! ولعل المِحن تُعقِبُ المِنح! ولعل الجراح تولدُ الأفراح! وأشهدُ بالله تعالى أن مِحنة طبيب قصيدتنا عاتية وقاسية للغاية! حيث كانت مناوبتُه ليلية في المشفى الذي يعمل فيه! وهو يعمل تحديداً في قسم الاستقبال والسجلات على حد ما علمت! المهم أنه ابتُليَ ابتلاءً شديداً عندما جاؤوا بجثثٍ لموتى انتُشلت من تحت الأنقاض ، بسبب القصف العشوائي الهمجي البربري الوحشي ، الذي استهدف المدنيين العزل في بيوتهم في أرض الرباط! وجيء بجُثث الموتى في عربة كبيرة لنقل البضائع! (ميتٌ فوق ميت) ، وكانت الجثث أشبه ما تكون بأضاحي العيد ، وذلك بعد أن تم ذبحُها ليُذهب بها إلى المَسلخ! وكان على الطبيب المُناوب تحريرُ شهادات الوفاة لهم! وإلى هنا فليست هناك مفاجأة ، لأن ذلك الطبيب يُحرر المئات من هذه الشهادات كل يوم! ولكنه فوجئ بجُثة أبيه من بين الجثث! فراح ينتحبُ ويبكي بحُرقةٍ ، ويقول: يا أبتاهُ عُذراً أنني لم أستطعْ حمايتك ولا الذود عنك! وإنما الذي أستطيع عمله لك فقط هو تحرير شهادة الوفاة ، وطي صفحتك إلى الأبد ، ولف جثتك في قماش التحضير للغسل والتكفين! ولكن لك مني وعدٌ أكيد أن لنا مع الأعداء ثأراً لا ننساه مطلقاً! بل نعد له العدة!)

أبـــي فـــؤادي ـ مـــن المأســـاة ـ مَحـــزونُ ... مُـــذ أدخِلـــتْ عَنبـــرَ المـــوتى الجثـــامينُ

فجعـــتُ لمّـــا أتـــى الجُثمـــانُ ثاعِبـــة ... جراحُـــــهُ ، وأبـــــي واللهِ مَغبـــــون

والـــدمعُ أغـــرقَ جُثمانـــاً صُـــلِيتُ بـــهِ ... والعـــزمُ ـ بـــالألم الرهيـــب ـ مقـــرون

خـــارتْ قـــوايَ ، وخـــانتْني مُجالـــدتي ... وكـــم تخيـــبُ ـ لـــدى البلـــوى ـ أظـــانين!

لـــم أقـــوَ قـــط علـــى أدنـــى مُجابهـــةٍ ... إذ سَـــربلتْ عَزمتـــي أنـــاتُ مطعـــون

علمتنـــي الجـــد فـــي تـــرْح وفـــي فـــرح ... وعِـــزة الـــنفس ـ للأمجـــاد ـ عُربـــون

أرشـــدتني لخِـــلال كنـــتُ أجهلهـــا ... وكـــان فيهـــا ـ مـــن الفتـــون ـ تحصـــين

فحُـــزتُ ـ فـــي الطـــب والتطبيـــب ـ مَنزلـــة ... يَغـــارُ ـ مِـــن وَصـــفها ـ الشـــم الأســـاطين

وكِيـــلَ مـــدحٌ وإطـــراءٌ وتهنئـــة! ... وكـــم أقيمـــتْ علـــى الحُسْـــنى البـــراهين!

واليـــوم تحـــت يـــدي الجُثمـــانُ أنظـــرُهُ ... والقلـــبُ منفطـــرُ الآهـــات مَحـــزون

لـــواعجُ البـــؤس تكويـــهِ وتجرحُـــهُ ... ومـــا لـــه فـــي الـــذي أضـــناه تســـكين

عُـــذراً أبـــي أننـــي لـــم أحـــم دِيرتنـــا ... مـــن الأعـــادي لهـــم بـــأسٌ وتمكـــين

أتـــوا علـــى الـــدار ، والأحقـــادُ تســـبقهم ... وأهـــلُ داري محـــاويجٌ مســـاكين

هـــمُ اســـتباحوا الحِمـــى اســـتباحة عجبـــتْ ... لهـــا العقـــولُ ، فمـــا لهـــا مـــوازين

مـــا ذنـــبُ شـــعب حِمـــاهُ اليـــومَ مُغتصَـــبٌ ... وغاصـــبُ الـــدار والأصـــقاع ملعـــون؟!

مـــا ذنـــبُ طِفـــل غـــدتْ جســـومُهم مِزقـــاً؟ ... وهـــل يُفيـــدُ ذوي الأمـــوات تـــأبين؟

هـــل ذنـــبُهم أنهـــم عاشـــوا بـــلا وطـــن؟ ... أم أن مـــوطنهم حقـــاً (فِلســـطين)؟!

أحرجتنـــي يـــا أبـــي بالصـــمت يُلجمُنـــي ... وفـــي صِـــماتِك تهتـــاجُ المَضـــامين!

اذهـــبْ إلـــى قبـــرك الميمـــون مبتشـــراً ... وكـــل قبـــر شـــهيدِ الحـــق مَيمـــون

عهـــداً ســـنثأرُ يـــا أبتـــاه ، نحـــن لهـــا ... رئبالـــة ، نحـــن فـــي الهيجـــا عـــرانين!

عليـــك رحمـــة رب النـــاس مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، وعـــاودَ بعـــد البـــدء عُرجـــون!

أختٌ مِن الأب!

(الحنانُ والوفاءُ والإخلاصُ والأخوة الصادقة ، لا تُباع هذه القيمُ ولا تُشترى! ولو كانت تُباعُ وتُشترى لاشتراها الأوباش والأراذل والأنذال ، لا حُباً فيها ، ولكن ليتجملوا بها أمام الناس! وبطلة قصيدتِنا أختٌ من الأب ، رعتْ إخوتها الصغار من أبيها ، كما رعت أباها المُسن الضعيف ، رغم أنها كانت أماً مُعيلة مسكينة! فلله دَرّها من عبقرية فذة ، قلّ أن يجودَ الزمانُ بمثلها! تقول الأخت الصغرى عن هذه أختها الكبرى الموفقة الصالحة الطيبة (وهي أختها من أبيها): توفيت زوجة أبي الأولى وتركت خلفها ابنة واحدة عمرها 15 سنة ، فتزوج والدي من أمي بعد فترة ليست بالطويلة ، فبدأت رحلة أمي مع الإنجاب! فخلال 11 سنة أنجبت أربعة أولاد وبنتين! ثم أصابها مرض نادر يسمى الضمور العصبي ، مما أقعدها عن الحركة تماماً. وبعدها توفيت رحمها الله تعالى. وهنا تصدرت أختنا من أبينا المشهد فقامت على رعايتنا وتربيتنا بالكامل رغم أن عندها خمسة من الأبناء. بل أن أمي رحمها الله عندما توفيت كان عندها طفلين أعمارهما دون السنة والنصف. فقامت أختي بإرضاعهما مع طفلتها التي هي في عمرهما ، وظلت ترعى أبناء الأسرتين بصورةٍ مستدامة. وتقوم حتى بمهام الطبخ والتنظيف والغسيل نظرا لظروف والدنا الصعبة والتي لم تكن تسمح بإحضار خادمة ، مما اضطر أختنا الكبرى (خديجة) للانتقال مع أولادها إلى جوار بيتنا (بعد وفاة زوجها) للإشراف على الأسرتين! والعجيب أننا كنا وما زلنا نناديها يا أمي وليس يا أختي. ولم يقتصر بر أختنا وحنانها علينا فقط ، بل كانت خادمة تحت قدمي والدي رحمه الله. فقد كان والدي في آخر حياته وقد قارب التسعين. قد أصيب بالزهايمر وضمور في الجسم وصعوبة في الحركة. فكانت أختي هي من تغسله و تلبسه وترافقه إلى دورة المياه وتقوم بكل شؤونه. ومن المشاهد المؤثرة: أن والدي أصيب في آخر عمره بمرض احتباس البول .. وكان يتألم غاية الألم منه فكانت أختنا الكبرى تجلسه على فخذها كالطفل الصغير (فقد كان رحمه الله صغير الحجم) ، ثم تقوم بالضغط على أسفل بطنه. مصحوباً بالدعاء والتسبيح وقراءة المعوذات حتى ينفك احتباسه. بل وكان كثيراً ما يفعل ذلك على ثياب أختي. فتقوم بتغسيل والدي وتغيير ثيابه. وكان هذا المشهد يتكرر في اليوم الواحد أكثر من مرة. واليوم يا أستاذي قد بلغت أنا الخمسين. وأختي قد تجاوزت السبعين وأصبحت امرأة مسنة! والحمد لله أن احوالنا المادية قد تحسنت كثيراً. فاشترينا لأختنا بيتاً كبيراً. وأحضرنا لها خادمة. بل ومن صور رضا الله عنها (والله أعلى وأعلم وأجل وأكرم): أنني رأيت أحد أبنائها وأحد إخوتي يحملانها على أكتافهما ، ويطوفان بها حول الكعبة. ويسعون بها على ذات الحال بين الصفا والمروة! ولا أذكر منذ سنوات أنها اضطرت للانحناء لغسل قدميها عند الوضوء! فهذه مهمة نقوم بها نحن وأبناؤها ، بل ونتسابق عليها! وتحت عنوان: (الإيثار لغة العظماء) يقول الدكتور خالد سعد النجار ما نصه بتصرف: (الإيثار خير دثار ، وأفضل شعار ، ودليل على رسوخ الإيمان والثقة بما عند الرحمن ، وهو علامة حب المرء لإخوانه ، وبرهان على سلامة النفس من دغل الأثرة والجشع والأنانية ، فالمؤمن الحقيقي والمحب والصادق لإخوانه هو الذي يجود بما في يديه وهو محتاج إليه ، يجوع ليشبع غيره ، ويكد ليرتاح إخوانه ، ويسهر لينام أحبابه. الإيثار هو تقديم المرء غيره على نفسه فيما هو في حاجة إليه من أمور الدنيا ، ويقابله الأثرة التي هي استبداد المرء بالفضل واستحواذه عليه دون غيره. والإيثار أعلى درجات المعاملة مع الناس ، ويليه العدل وهو اختصاص كل فردٍ بحقه ، وأسوأ درجات المعاملة الأثرة. والإيثار يرفع المجتمع إلى قمة الأمن ، لأن أفراده ارتفعوا عن

حظوظهم الدنيوية ، وآثر بها كل منهم أخاه ، فهو لا يفكر في أن يستوفي حقه كاملاً فضلاً عن التفكير في الأثرة والاستبداد. قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -رضي الله عَنْهُ- أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِي - صلى الله عليه وسلم - فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ ، فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلا الْمَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَكْرِمِى ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِى ، فَقَالَ هَيِّئِى طَعَامَكِ ، وَأَصْبِحِى سِرَاجَكِ ، وَنَوِّمِى صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً ، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: «ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا». فَأَنْزَلَ الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}. ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم ، وبهذا البذل السخي ، وبهذه المشاركة الرضية ، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين. قال ابن القيم: "فتأمل سر التقدير ، حيث قدر الحكيم الخبير سبحانه استئثار الناس على الأنصار بالدنيا وهم أهل الإيثار ليجازيهم على إيثارهم إخوانهم في الدنيا على نفوسهم بالمنازل العالية في جنات عدن على الناس فتظهر حينئذ فضيلة إيثارهم ودرجته ، ويغبطهم من استأثر عليهم بالدنيا أعظم غبطة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، فإذا رأيت الناس يستأثرون عليك مع كونك من أهل الإيثار فاعلم أنه لخير يراد بك. وقال - رحمه الله تعالى - أيضاً: "والإيثار أن تؤثر الخلق على نفسك ، فيما لا يحرم عليك دينا ، ولا يقطع عليك طريقاً ، ولا يفسد عليك وقتاً. يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم ، كأن تطعمهم وتجوع ، وتكسوهم وتعرى ، وتسقيهم وتظمأ ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب ضرر أو إتلاف لا يجوز في الدين ، مثل أن تؤثرهم بمالك وتقعد كلا مضطرا مستشرفا للناس أو سائلا ، وكذلك إيثارهم بكل ما يحرمه على المؤثر دينه ، فإنه سفه وعجز يذم المؤثر به عند الله وعند الناس «ولا يقطع عليك طريقاً» أي لا يقطع عليك طريق الطلب والمسير إلى الله تعالى ، مثل أن تؤثر جليسك على ذكرك وتوجهك وجمعيتك على الله. فتكون قد آثرته على الله وآثرت بنصيبك من الله ما لا يستحق الإيثار. فيكون مثلك كمثل مسافر سائر على الطريق لقيه رجل فاستوقفه وأخذ يحدثه ويلهيه حتى فاته الرفاق ، وهذا حال أكثر الخلق مع الصادق السائر إلى الله تعالى فإيثارهم عليه عين الغبن ، وما أكثر المؤثرين على الله تعالى غيره ، وما أقل المؤثرين الله على غيره. وكذلك الإيثار بما يفسد على المؤثر وقته قبيح أيضا. مثل أن يؤثر بوقته ويفرق قلبه في طلب خلفه ، أو يؤثر بأمر قد جمع قلبه وهمه على الله ، فيفرق قلبه عليه بعد جمعيته ويشتت خاطره ، فهذا أيضا إيثار غير محمود. وكذلك الإيثار باشتغال القلب والفكر في مهماتهم ومصالحهم التي لا تتعين عليك على الفكر النافع واشتغال القلب بالله ، ونظائر ذلك لا تخفى بل ذلك حال الخلق والغالب عليهم. وكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أحدا ، فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم ، وتأمل أحوال أكثر الخلق في إيثارهم على الله من يضرهم إيثارهم له ولا ينفعهم ، وأي جهالة وسفه فوق هذا؟ ومن هذا المنطلق تكلم الفقهاء في الإيثار

بالقرب وقالوا إنه مكروه أو حرام ، كمن يؤثر بالصف الأول في الصلاة غيره ويتأخر هو أو يؤثره بقربه من الإمام يوم الجمعة أو يؤثر غيره بالأذان والإقامة أو يؤثره بعلم يحرمه نفسه ويرفعه عليه فيفوز به دونه. وتكلموا في إيثار عائشة ـ رضي الله عنها ـ لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بدفنه عند رسول الله في حجرتها وأجابوا عنه بأن الميت ينقطع عمله بموته وبقربه ، فلا يتصور في حقه الإيثار بالقرب بعد الموت ، إذ لا تقرب في حق الميت وإنما هذا إيثار بمسكن شريف فاضل لمن هو أولى به منها فالإيثار به قربة إلى الله عز وجل للمؤثر والله أعلم. ولا يستطاع الإيثار إلا بثلاثة أشياء: تعظيم الحقوق ، ومقت الشح ، والرغبة في مكارم الأخلاق. الأول: تعظيم الحقوق ، فإن من عظمت الحقوق عنده قام بواجبها ورعاها حق رعايتها واستعظم إضاعتها وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدها كما ينبغي فيجعل إيثاره احتياطا لأدائها. الثاني: مقت الشح ، فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار ، فإنه يرى أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار. الثالث: الرغبة في مكارم الأخلاق ، وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره ، لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق. عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم ، وإنا في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم. قال يحيى بن معاذ الرازي: عجبت من رجل يرائي بعلمه الناس وهم خلق مثله ، ومن رجل بقي له مال ورب العزة يستقرضه ، ورجل رغب في محبة مخلوق والله يدعو إلى محبته ثم تلا: {وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. قال محمد بن واسع: ما رددتُ أحداً عن حاجةٍ أقدر على قضائها ، ولو كان ذهاب مالي. قال ابن تيمية: الإيثار مع الخصاصة أكمل من مجرد التصدق مع المحبة ، فإنه ليس كل متصدق محباً مؤثراً ، ولا كل متصدق يكون به خصاصة ، بل قد يتصدق بما يحب مع اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخصاصة. قال ابن القيم: فالمحب وصفه الإيثار ، والمدعي طبعه الاستئثار من لنا بمثل هؤلاء؟! لما بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل العقبة أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة ، فعلمت قريش أن أصحابه قد كثروا وأنهم سيمنعونه ، فأعملت آراءها في استخراج الحيل ، فمنهم من رأى الحبس ، ومنهم من رأى النفي. ثم اجتمع رأيهم على القتل فجاء البريد بالخبر من السماء وأمره أن يفارق المضجع ، فبات على ـ رضي الله عنه ـ مكانه ونهض الصديق لرفقة السفر. فلما فارقا بيوت مكة اشتد الحذر بالصديق ، فجعل يذكر الرصد فيسير أمامه ، وتارة يذكر الطلب فيتأخر وراءه ، وتارة عن يمينه وتارة عن شماله إلى أن انتهيا إلى الغار ، فبدأ الصديق بدخوله ليكون وقاية له إن كان ثم مؤذ . فلما وقف القوم على رؤوسهم وصار كلامهم بسمع الرسول والصديق ، قال الصديق وقد اشتد به القلق: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» لما رأى الرسول حزنه قد اشتد لكن لا على نفسه ، قوي قلبه ببشارة «لا تحزن إن الله معنا» فظهر سر هذا الاقتران في المعية لفظاً ، كما ظهر حكماً ومعنىً ، إذ يقال رسول الله وصاحب رسول الله ، فلما مات قيل خليفة رسول الله ثم انقطعت إضافة الخلافة بموته ، فقيل أمير المؤمنين. فأقاما في الغار ثلاثاً ثم خرجا منه ولسان القدر يقول: لتدخلنها دخولاً لم يدخله أحد قبلك ولا ينبغي لأحد من بعدك .. كان تحفة ثاني اثنين مدخرة للصديق دون الجميع ، فهو الثاني في الإسلام ، وفي بذل النفس ، وفي الزهد وفي الصحبة ، وفي الخلافة ، وفي العمر ، وفي سبب الموت ، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مات عن أثر السم وأبو بكر سم فمات. أسلم على يديه من العشرة: عثمان وطلحة

والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وكان عنده يوم أسلم أربعون ألف درهم فأنفقها أحوج ما كان الإسلام إليها ، فلهذا جلبت نفقته عليه «ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر» فهو خير من مؤمن آل فرعون ، لأن ذلك كان يكتم إيمانه والصديق أعلن به ، وخير من مؤمن آل ياسين ، لأن ذلك جاهد ساعة والصديق جاهد سنين ، عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار ويصيح {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً}. فألقى له حب المال على روض الرضا ، واستلقى على فراش الفقر ، فنقل الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة ، ثم علا على أفنان شجرة الصدق ، يغرد بفنون المدح ، ثم قال في محاريب الإسلام يتلو {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى}. دعي إلى الإسلام فما تلعثم ولا أبى ، وسار على المحجة فما زل ولا كبا ، وصبر في مدته من مدى العدى على وقع الشبا ، وأكثر في الإنفاق فما قلل حتى تخلل بالعبا [أي حتى توفى] تالله لقد زاد على السبك في كل دينار دينار {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ}. قال منصور الغضاري: شاهدت الحافظ عبد الغني المقدسي في الغلاء بمصر ثلاث ليال يؤثر بعشائه ويطوى. اشتهى الربيع بن خثيم حلواء ، فلما صُنعت دعا بالفقراء فأكلوا ، فقال أهله: أتعبتنا ولم تأكل ، فقال: وهل أكل غيري؟! قال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحارث ، فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة ، فنزع قميصه وأعطاه إياه ، واستعار ثوبا فمات فيه. قال حماد بن أبي حنيفة: إن مولاة كانت لداود الطائي تخدمه ، قالت: لو طبخت لك دسما تأكله؟ فقال: وددت. فطبخت له دسما ثم أتته به ، فقال لها ، ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم. قال: اذهبي بهذا إليهم ، فقالت: أنت لم تأكل أدما منذ كذا وكذا. فقال: إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش ، وإذا أكلته صار إلى الحُش. عن أبي الحسن الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا ولهم أرغفة معدودة لم تُشبع جميعهم ، فكسروا الأرغفة وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام ، فلما رفع فإذا الطعام بحاله ، ولم يأكل أحد منه شيئا ، إيثارا لصاحبه على نفسه. عن مسعر قال: شوي لنافع بن جبير دجاجة ، فجاء سائل فأعطاها إياه ، فقال له إنسان في ذلك ، فقال: إني أبغي ما هو خير منها).هـ. حقيقة الإيثار خلق العظماء الذين يعيشون لغيرهم أكثر مما يعيشون لأنفسهم! وليس يدرك صحة هذا الكلام النفيس إلا من يؤثرون غيرهم على أنفسهم! وحقيقة أخرى تقول: (ما استحق أن يولد ويسعد بالحياة من عاش لنفسه فقط)! وإذا تأملنا حياة الأنبياء والمرسلين وحياة الصحابة والتابعين وجدنا لذلك الخلق مكانته فيهم! وليس يتمسك بخلق الإيثار إلا من صفت نفوسهم وتعلق بالآخرة أضعاف ما تعلقت بالدنيا! وتحت عنوان: (الإيثار خلق كريم) يقول الأستاذ أحمد عماري ما نصه بتصرفٍ زهيد: (إن خلق الإيثار من أخلاق الإسلام العظيمة الجليلة ، خلق من محاسن الأخلاق الإسلامية ، هو مرتبة راقية من مراتب البذل والكرم ، ومنزلة عظيمة من منازل العطاء والسخاء ، خلق يبعث على المودة والرحمة ، ويدل على الصفاء والنقاء ، أثنى الله عز وجل على المتصفين به ، وبيّن أنهم المفلحون في الدنيا والآخرة ؛ فقال سبحانه: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). إنه الإيثار ؛ وما أدراك ما الإيثار؟ الإيثار: أن يُقدّم المرءُ غيرَه على نفسه في جَلب النفع له ودفع الضر عنه. والإيثار: كفّ الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذلها لمن يستحقها. والإيثار: تقديم الغير على النّفس في حظوظها الدّنيويّة رغبة في الحظوظ الدّينيّة ، وذلك ينشأ عن قوّة اليقين وتوكيد المحبّة ، والصّبر على المشقّة. الإيثار! وما

أدراك ما الإيثار! رحمةٌ من الله الكريم الغفار ، رحمةٌ أسكنها الله قلوبَ المؤمنين ، فبذلت وضحّت لوجه الله رب العالمين ، اقتحم أصحابُها العقبة ، ففكوا الرقبة ، وأطعموا في كل يومٍ ذي مسغبة ، يتيماً ذا مقربةٍ أو مسكيناً ذا متربةٍ ، قلوبُ أهلها رقيقة لينة حليمة رحيمة ، لا تحتمل فواجع المسلمين ، بل تهتز لدعاء المصابين والمنكوبين. الإيثار! وما أدراك ما الإيثار! رحمة الله الكريم الغفار ، يوم تُخَطُّ في الدواوينِ الحسناتُ ، ويوم تُرْفَع به لأصحابه الدرجاتُ ، ويوم تغفر للمتخلقين به السيئات ، فكَم مِن أيدٍ لهم سَخَتْ آناء الليل وأطراف النهار ، فغُفِرَت معها ذنوبُ العُمْر ، ومُحِيَت بِها سيئاتٌ وخَطِيئات! فالله أكبر! ما أعظم فوز أهل الإيثار! يوم خلفوا الدنيا وراء ظهورهم ، واستقبلوا الآخرة أمام عيونِهم. الإيثار! وما أدراك ما الإيثار! أن تسعى في بذل الخير والمعروف والإحسان ، طمعاً في رحمة الله الرحيم الرحمان ، بإجابة دعوةٍ مِن أرملة ، أو دعوةٍ مِن بائسة ، أو دعوةٍ مِن مكروب ، أو دعوةٍ مِن مهموم أو مغموم ، أو كربة تفرِّجها على مَدين مُعسِر. إنه الإيثار ؛ الذي يحمل صاحبه على البذل والعطاء ، والكرم والسخاء ، مما تحبه النفس من الكنوز والأموال ، قال الله تعالى: (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ). يقول السعدي: يعني: (لن تنالوا وتدركوا البر ، الذي هو اسم جامع للخيرات ، وهو الطريق الموصل إلى الجنات ، حتى تنفقوا مما تحبون ، من أطيب أموالكم وأزكاها. فإن النفقة من الطيّب المحبوب للنفوس ، من أكبر الأدلة على سماحة النفس ، واتصافها بمكارم الأخلاق ، ورحمتها ورقتها ، ومن أدَلّ الدلائل على محبة الله ، وتقديم محبته على محبة الأموال ، التي جُبِلت النفوس على قوّة التعلق بها). الإيثار ؛ ذلِكُم الخلقُ الذي يدل على صفاء النفس ونقائها من البخل والشح والأنانية. فلصاحب الإيثار نفس تواقة إلى الخير ، مسرعة إلى الإحسان. وفي الصحيحين عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: (أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ الغِنَى ، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا ، وَلِفُلاَنٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ). روى مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ. إنه الإيثار ؛ الذي به تحصل الكفاية الاقتصادية والمادية في المجتمع ، فطعام الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة ، والبيت الكبير الذي تستأثر به أسرة واحدة مع سعته يكفي أكثر من أسرة ليست لها بيوت تؤويها. وهكذا. روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ. وفي صحيح مسلم عن جَابِر بْن عَبْد اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ). إنه الإيثار ؛ الذي يزرع في النفوس المودة والمحبة ، والرأفة والرحمة ، وينزع من القلوب الكراهية والبغضاء ، فإن القلوب مجبولة على تعظيم صاحب الإيثار ومحبته ، كما أنها مجبولة على بغض البخيل المستأثر ومقته. للإيثار أسباب ووسائل تعين عليه: أولها وأعلاها وأسماها وأشرفها: الإيمان بالله ، والسعي إلى مرضات الله. حينما يسعى العبد إلى الله حثيثاً ، مُجِدّاً ومسرعا لا بطيئا ومتريثاً ، حين يتعلق قلبه بالدار الآخرة ، فلا يفتُر عن حسنة يبذلها ، أو قُرْبَة بإذن الله يكسب بها أجراً وثواباً.. فين يكون إيمان العبد قوياً ، ويقينه في الله عظيماً ، وحسن ظنه بربه حاضراً حينئذ يهون على

النفس الإيثار ، ويُحبَّبُ إليها البذل والعطاء. ومن أعظم الأسباب المعينة على الإيثار أيضاً: ذكرُ الموت والبِلَى ، وقربِ المصير إلى الله جلَّ وعلا. أن يذكر العبد أنه إلى الله صائر ، وأنه مغموم بين الْجَنادل والْحَفائر ، فما ذُكِر الموت في كثيرٍ إلا قلله ، ولا في جليلٍ إلا حقَّره. فيا من تشكو من مرض الأنانية وحب الذات ، تَذكّر الموتَ وسكرتَه! تذكر القبرَ وضجعته! تذكر القبر وضمّته! يومَ يصير الإنسان وحيداً فريداً ، قد سار إلى الله ذليلاً حقيراً ، يومئذٍ تهون عليه تجارته ، وتهون عليه أمواله ، ويهون عليه أولاده ، وربما صاح بأعلى صوته: "يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه". فما الذي يأخذه الإنسان من تجارته؟! وما الذي يجنيه من سوقه وعمارته؟! وما الذي يأخذه من الدنيا غيرُ زادِه وكفنِه؟! إنا إلى الله صائرون ، وإنا إليه راجعون ، وبين يديه مختصمون: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)! ومما يعين على التخلق بخلق الإيثار: رغبة العبد فيما عند الله عز وجل من خير وعطاء ، الطمع في الفوز والفلاح ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. قال تعالى في وصف الأبرار أصحاب النعيم: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا). فمن رغب في النجاة فليكن من أهل الإيثار ، ومن رغب في الفلاح فليكن من أهل الإيثار؛ قال سبحانه: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). وليس بعد إيثار الأنبياء والمرسلين – عليهمُ الصلاة والسلام ـ مثل إيثار الصحابة رضوان الله عليهم. وها هم الصحابة الكرام يضربون أروع الأمثلة في الإيثار وأجملها ، ومن يتأمل في قصص إيثارهم ظن ذلك ضرباً من وكيف لا يكونون أهل إيثار خيال ، لولا أنه منقول لنا عن طريق الأثبات ، وبالأسانيد الصحيحة! وهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعلمهم الإيثار ويحثهم عليه ، ويبين لهم فضله ومكانته. روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ – وهم قبيلة من اليمن ـ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ. وروى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي ، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً ، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا ، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا ، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ ، أَوْ عَجِبَ ، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). ومن تأمل حال الأنصار رأى صورة من الإيثار يعجز عن وصفها اللسان ، ويضعف عن التعبير عنها البيان ، كيف لا ، وقد قال الله تعالى في حقهم: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). روى البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى ، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ. ولما طُعِنَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلاَمَ ، ثُمَّ سَلْهَا ، أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي ، فَلَأُوثِرَنَّهُ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي ، فَلَمَّا أَقْبَلَ ، قَالَ: لَهُ مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، قَالَ: "مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ المَضْجَعِ ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي ، ثُمَّ سَلِّمُوا ، ثُمَّ قُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي ، فَادْفِنُونِي ، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ المُسْلِمِين...". أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودي. وروى مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاَثَ تَمَرَاتٍ ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً ، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا ، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا ، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا ، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا ، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ). وعن أبي الجهم بن حذيفة العدويّ ، قال: (انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به ، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم. فإذا رجل يقول آه. فأشار ابن عمّي إليّ أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام: انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمّي فإذا هو قد مات). ذكره البيهقي في شعب الإيمان ، والغزالي في إحياء علوم الدين ، 3 (258) ، وابن كثير في تفسيره. فانظروا إلى إيثار هؤلاء الأفاضل الكرام ، لقد بلغ الإيثار والسخاء بأحدهم أن يقول: لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له. كانوا أهل إيثار وسخاء ، كانوا أحبة في الله متراحمين متواصلين متباذلين ، يوم كان القرآن دليلَهم ، يوم كان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إمامَهم وأمامَهم ، يوم كانوا عاملين بكتاب الله ، آخذين بسنة رسول الله ، متخلقين بأخلاق الإسلام. فكم من عيون منهم بكت لبكاء عيون من المسلمين! وكم من قلوب لهم تألمت لآلام المتألمين. فأين هذه النماذج الكريمة؟! وأين هذه القلوب العظيمة؟! أين هي مِن نماذجِ اليوم؛ يوم صاح الأيتام ، وصاحت الأرامل ، وصاح المحتاج المكروب ، فلم تجد هذه الحناجر لها مغيثاً غير الله جل جلاله؟! أين هذه القلوب الرحيمة؟! وأين الإيثار؟! يوم قُطِعَتِ الأرحام ، فضلاً عن أُخُوّة الإسلام ، حتى اقتتل الرجلان على شبر من الأرض ، وتهاجر الأخَوَان على متاع من الدنيا زائل! يوم سَبَّ المسلمُ أخاه ، وانتهك عرضَه ، واستباح غَيْبَتَه على متر أو مترين من الأرض ، وإنا لله وإنا إليه راجعون. فمتى نعود إلى خلق الإيثار؟ متى نتخلق بخلق الإيثار؟ متى نتخلى عن الأنانية وحب الذات؟ ومتى نطهر القلوب من الكراهية والأحقاد والضغائن؟).هـ. وتقول الأستاذة سحر يسري تحت عنوان: (الإيثار خلق النفوس الكبيرة) ما نصه: (وأما ثمار الإيثار اليانعة: فمنها ـ انتشار التعاون والتعاضد بين المسلمين ، وشعور الفرد خاصة المحتاج أن المسلمين لُحمةً واحدة وكيان واحد ، وهذا الكلام ينطبق تمامًا على الأسرة إذا مارس أفرادها هذا الخلق العظيم ؛ فإنه ولا بد سيزيد من الترابط بينهم. ـ تحقيق الكفاية المادية في

المجتمع ، وهو أمرٌ مقصودٌ شرعًا ، حتى لا يعود بين المسلمين فوارق شاسعة في المستويات المادية الأمر الذي يولد الحقد والحسد والطمع في نفس الفقير ، ويولد الأثرة والأنانية في نفس الغني ، وكلها أخلاق رذيلة مفسدة على مستوى الفرد والجماعة. - بتحقيق الإيثار يتحقق الكمال الإيماني في النفس قال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [رواه البخاري]. كيف تكتسبين خلق الإيثار؟ ابنتي زهرة..قد تتأثرين بهذا الكلام عن خلق الإيثار وتتمنين أن يكون من أخلاقك ، وذلك لن يتم لك إلا بالممارسة العملية لهذا الخلق ، وهكذا تكتسب الأخلاق الحسنة حتى تصير من سجايا المرء وطبائعه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يُعفه الله ، ومن يستغن يُغْنِه الله ، ومن يتصبر يصبره الله) [رواه البخاري] ، يعني أن من تكلَّف هذه الفضائل ، وحَرَص عليها ، وتعاطاها: حصل له مقصوده من التخلق بها ، حتى تصبح جزءًا طبيعيًا راسخًا في كيانه وشخصيته. ويكاد يُجمع رجال التربية على أن المَلكات الخلقية – مهما كانت قناعة الإنسان بها – لا تحصل له إلا من خلال اعتياد ممارستها ، والمواظبة عليها ، وفي هذا المعنى يقول الإمام الماوردي: (الأدب مكتسب بالتجربة ، أو مستحسن بالعادة. وكل ذلك لا يُنال بتوفيق العقل ، ولا بالانقياد للطبع ، حتى يُكتسب بالتجربة والمعاناة ، ويُستفاد بالدربة والمعاطاة) بمعنى أن الخلق – حتى وإن كان فطريًا – لا بد له من التدريب والتعويد حتى يرسخ ، وتتشربه النفس ، وفي هذا المعنى أيضًا يؤكِّد الراغب الأصفهاني فيقول: (كل متعاطٍ لفعل من الأفعال النفسية فإنه يتقوى فيه بالازدياد منه ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، فباحتمال صغار الأمور يمكن احتمال كبارها ، وباحتمال كبارها يستحق الحمد) ومصداق هذا الفهم كوسيلة لترسيخ الخلق في النفس. وأخيرًا زهرتي الحبيبة ، لتبدئي من الآن مسيرة عطاء لا ينضب ، وإيثار لكل محتاج على نفسك ، وستجدين في العطاء حلاوة تفوق بكثير حلاوة الأخذ..حلاوة تُحَسُّ ولا توصف بالكلمات..إنها قوة وإرادة يقذفها الله في قلوب عباده الذين وسّع عليهم في رزقهم ونصيبهم من الخلق الحسن).هـ. وإذن فمسألة الأخوة لا بد وأن تتسم بالعطاء والبذل والجود ، ابتغاء مرضاة الله ، وإلا فلا قيمة لها مطلقاً! وهذه الأخت من الأب قد فرضت شخصيتها ومروءتها على قلمي ، فانطلقتُ أكتب فيها نصاً يحمل عنوان: (أختٌ من الأب)! ألا ليت الإخوة والأخوات الأشقاء وغير الأشقاء يعتبرون بقصة هذه الأخت الصالحة التي خدمت الكل ، وضحّت من أجل الكل! ولم تفرق بين أخ شقيق وغير شقيق وأخت شقيقة وغير شقيقة! بل عاملت الكل معاملة لا تفرقة فيها! فتحية لك عاطرة بالاحترام والتقدير ، والدعاء والابتهال إلى الله تعالى بأن يأجرك على بذلك هذا جناتٍ ونهراً!)

أختٌ مِن الأب مَن مِنا يُباريها؟ إنا – بطِيبتها – كم ننثني تِيها!

ومَنْ يُحاكي الذي أتتْهُ راضية مِن طيّب العُرف بين الناس يُعْليها؟

أمّنْ يُقدّرُ ما جاءتْه مِن مِنح؟ مَن ذا الذي يَقدُرُ الفضلى يُكافيها؟!

أمّن يُقلدُها الأمداحَ في زمن صنائعُ الخير تُبكي مَن يُؤديها؟!

أمّن يُناولها الألقابَ سامية؟ أمّن يُوَصّفها حُباً وتنزيها؟

أمّـــنْ يُـــؤدي لهـــا بعـــضَ الـــذي عملـــتْ ... مِـــن الصـــنائع ماضـــيها وآتيهـــا؟!

أمّـــنْ يَـــردُ لهـــا الجميـــلَ مُعترفـــاً ... بالفضـــل يَـــذكرُه جَهـــراً وتنويهـــا؟!

أمّـــن يُضـــارعُها فـــي الصـــبر قانعـــة ... أن الحيـــاة عـــذاباتٌ تُقاســـيها؟!

أمّـــن يُتوّجُهـــا تاجـــاً يليـــقُ بهـــا؟ ... مَـــن غيـــرُ رب الـــورى بـــالخير يَجزيهـــا؟

أعطـــتْ ، وربّـــتْ بـــلا كَـــلٍّ ولا مَلـــل ... ورسّـــختْ قِيَمـــاً زكَـــتْ معانيهـــا

ووَطـــدَتْ أســـسَ الأخـــلاق ، تحسَـــبُها ... تُرســـي مبـــادئَ مـــا أحلـــى مَراميهـــا!

جـــادت بعطـــفٍ علـــى الصـــغار مُبْديـــة ... لطـــائفَ الحـــب لـــلأرواح تُهـــديها

كـــم جففـــتْ دمـــعَ مَـــن يبكـــون غائبـــة ... فعوّضـــتْهم بأفعـــال تُحاكيهـــا!

كـــم أذهبـــتْ بالوفـــا أحـــزانَ مَـــن كُسِـــروا ... فغـــرّدتْ أنفـــسٌ أضـــحت تُواســـيها!

كـــم ضـــمّدتْ بالهنـــا جـــراحَ مَـــن طعِنـــوا ... لأنهـــم عَـــدِموا أمّـــاً تُـــداويها!

كـــم عالجـــتْ بالرجـــا كُـــروبَ عائلـــةٍ ... ضـــاقَ الجميـــعُ بهـــا ، قالـــت: ســـأفديها!

كـــم ناولـــتْ نصـــحَها للكـــل مُحســـنة! ... نِعـــمَ النصـــائحُ لا نلقـــى الأذى فيهـــا!

كـــم أســـرجتْ خيلهـــا فـــي كـــل خندمـــةٍ ... تحمـــي حِمـــى أســـرةٍ سُـــوآى أعاديهـــا!

كـــم أطعمتْنـــا مِـــن الطعـــام أطيبَـــهُ ... ككـــل أم تلـــي حُسْـــنى ذراريهـــا!

لأن أمـــي قضـــتْ أيامَهـــا ، ومضـــتْ ... وكـــل نفـــس مُصـــابُ المـــوت يَطويهـــا

وجـــاء دَورُ التـــي فـــي الأصـــل بنـــتُ أبـــي ... مِـــن زوجـــةٍ رَحلـــتْ ، والـــزوجُ يبكيهـــا

وجـــاء لابنتـــه زوجٌ ليَخطِبَهـــا ... فأعلنـــتْ شـــرطها – فـــي القـــوم - تنبيهـــا

إن الـــذين أنـــا رُبّيـــتُ بيـــنهمُ ... لهـــم حقـــوقٌ أنـــا عهـــداً ســـأزجيها

لا ، لســـتُ أخـــذلُ يومـــاً أســـرة نُكِبـــتْ ... وســـوف أرفـــعُ أعبـــاءً تُعانيهـــا!

أهلـــي ، وعِشـــرة عُمْـــر لســـتُ أجحـــدُها ... وذكريـــاتٌ حَلـــتْ ، قلبـــي يُناجيهـــا

وإخـــوتي كلهـــم ، أحـــبهم ، وأبـــي ... لهـــم علـــيّ دُيـــونٌ لســـتُ أحصِـــيها

إن شِـــئت أبقيتنـــي هنـــا بجـــانبهم ... إنـــي أســـيرة دار عَـــز بانيهـــا

أعطـــى ، وكـــافح لـــم يبخـــل بعارفـــةٍ ... أبـــي مُهـــذِبُ أخلاقـــي وراعيهـــا

أو شِـــئت أيّـــدتْني حتـــى أوفـــيَهم ... حقـــوقهم ، مَـــن هُنـــا غيـــري يُوَفيهـــا

فقـــال مَـــن خطـــبَ الفتـــاة: أقبلهـــا ... علـــى الـــذي شـــرطتْ ، ولا أخليهـــا

وواظبـــتْ أختُنـــا علـــى مودتنـــا ... والكـــل يُكْبرُهـــا جـــداً ، ويُطريهـــا

وجـــادَ ربـــي عليهـــا بالعِيـــال هُـــدوا ... للخيـــر فـــي عيشـــةٍ طابـــت مَراقيهـــا

وزوجُهـــا فـــارقَ الـــدنيا ، وخلّفهـــا ... فـــي حالـــةٍ رَثـــةٍ تُخشـــى عَواديهـــا

والحِمـــلُ ضُـــوعِفَ ، لكـــنْ أختُنـــا اجتهـــدتْ ... واللهُ بـــارك فـــي حُســـنى مســـاعيها

طـــبْخٌ وكَـــنسٌ وتغســـيلٌ وتربيـــة ... والكـــل قـــال: أيـــا (أمـــي) يناديهـــا!

أمـــا أبـــي فلـــه برنـــامجٌ عَسِـــرٌ ... لـــه مطالـــبُ عـــزتْ لســـتُ أحكيهـــا

والأخـــتُ تخـــدمُ كُـــلاً حسْـــبَ طاقتهـــا ... ولـــم نُـــؤدِ الـــذي جـــادتْ أياديهـــا

تقبّـــلَ اللهُ منـــكِ الســـعيَ أجمعَـــهُ ... يـــا قِصـــة شـــرفت أقـــوالَ تاليهـــا

أنـــتِ القصـــيدة يختـــالُ البيـــانُ بهـــا ... والـــوزنُ يَطـــربُ فـــي دنيـــا قوافيهـــا!

الخمسة أولادي!

(المروءة لا تُباعُ ولا تُشترى! وعجبت لمروءة مُطلقة يتزوجها أرمَلٌ له ثلاثة أطفال ، ثم يرزقها الله منه بتوأم ، ثم هي تقول: الخمسة أولادي! إذا لم نكتب الشعرَ عن مثل هذي فعمّن نكتبه! ونسأل: من أين وكيف بدأت قصتها؟ وكيف انتهت؟ إن أحد الجيران كان قد تُوفيت زوجته ، وقد تركت له أبناء ثلاثة من الذكور: أكبرهم في الصف الثالث الابتدائي ، وبعد وفاتها بعدة أشهر ، سمع الجميع بإقباله على الزواج بامرأة مُطلقة بسبب استحالة حملها ، فقال الجار في نفسه: إنها مُناسبة لي جدًا ، وذلك لتفرغها التام لأولادي ، وخاصة أنني أسافر كثيرًا خارج مُحافظتي ، وذلك لمحافظات أخرى مجاورة ، وهذا بسبب ظروف عملي ، ولي أسبوعٍ واحد كل شهر! وكانت هذه الزوجة جميلة جدًا ، وفي منتصف العشرينات ، وأنيقة جدًا بدرجة يصعب وصفها! حتى إن الجميع تعجب من كون فتاة كهذه ستربي ثلاثة أطفال! ومع مرور الوقت لاحظ الأهل والجيران مدى تغير الأولاد في الشكل والنظافة والدراسة ، وحتى في طريقة الكلام للأفضل ، وشاهدوا كذلك تغييراً ملحوظاً في نفسياتهم الهادئة جدًا ، والمرح البادي عليهم ، طوال أوقاتهم ولباقتهم الشديدة ، فقد اشتركت زوج أبيهم لهم في النوادي الرياضية لممارسة الأنشطة ، وكانت بنفسها معهم ذهابًا وإيابًا ، لم يسمع الجيران أبدًا أنها تُعاقب أحدهم ، أو يعلو صوتها عليه ، بل كان الهدوء هو السائد دائمًا! حتى ذات يوم أصيبتْ بألمٍ شديد في معدتها فاكتشفت حملها! وكان الأمر بالنسبة لها مُستحيلاً ، فذهبت لطبيبةٍ وأخرى وأخرى ، ليُؤكدن جميعهن لها أنها بالفعل حامل! فكانت فرحتها أكبر من أن يستوعبها أي عقل ، وخاصة أنه بعد شهرين أكدت لها الطبيبة أنها حامل بتوأم (ذكر وأنثى) ، وكانت تبكي من الفرحة ، وتشعر بسعادة بالغة ، لم تخطر يومًا على بالها! وقُبيل ولادتها قال لها الزوج: عند الولادة سأترك أولادي الثلاثة عند أختي ، ريثما تعودين من بيت أهلك بعد أن تستريحي من الولادة! فانتفضت من مكانها وهي تقول: والله لا يحدث أبداً أن أذهب دونهم لمكان ، سيبقى الثلاثة معي في وبالفعل ولادتي وفي بقائي عند أهلي! إن أهلي أكرم الناس ، وأنا أكرم من أهلي مجتمعين! كان ما قالت! وعند الولادة طلب منها الابن الأكبر أن تُسمي المولودة الأنثى على اسم أمه ، وأعلمَها أنها رغبة الجميع ، فلبت طلبه على الفور ، لتغمر قلبه سعادة وحبًا ، وبعد عودتها لبيتها لم تُهمل في حق أحدهم يومًا ، وكانت كلمتها الدائمة: (الخمسة أولادي) ، ولا أطيق عليهم أي أذى أو حُزن يمس قلوبهم ، اتقيت الله فيهم وعوضني الله بهم وبأبيهم وأكرمني بما حُرمت منه! فكانت هذه القصيدة في الإشادة بها وبمروءتها النادرة! ومن إعجابي بالقصة جعلت كلمتها: (الخمسة أولادي) عنواناً للقصيدة والمروءة معاً! حيث احترتُ في العنوان جداً!)

عـــــن مَثَلاتـــــي أنـــــا أختلـــــفُ ... بالخمســـــــة إنـــــي أعتـــــرفُ

هـــــــم أولادي ، وأنـــــــا أمٌ ... قلبـــــي – بالرحمـــــة - يتصـــــف

لا غيـــــرة تقتـــــلُ إحســـــاني ... لـــــيس يُســـــاورُ نفســـــي جَنَـــــف!

أبـــــذلُ خيـــــري دون تـــــوان ... وأراهـــــم – بـــــودادي - شَـــــغفوا

يأسِـــــرُ معروفـــــي خـــــاطرَهم ... إن رضـــــاهم عنـــــي شـــــرف

مـــــا جئـــــتُ لأخطـــــفَ والـــــدَهم ... تخسَـــــرُ مَـــــن أبّـــــاً تختطـــــف

وتزوّجـــــــتُ أسُـــــــدٌ فراغـــــــاً ... والنيـــــــة جانبَهـــــا الصـــــلف

أشـــــــفقتُ علـــــــيهم إشـــــــفاقاً ... ولـــــذا علـــــيّ جميعـــــاً عطفـــــوا

مـــــا اتخـــــذوني زوجَ أبـــــيهم ... بـــــل أمَّـــــاً ليســـــت تختلـــــف!

جـــــاءتْ لـــــتُعلم ، وتُرَبِّـــــي ... فلهـــــا – مِـــــن جيئتهـــــا - هـــــدف

زيجتُهـــــا مَشـــــروعٌ ســـــام ... فعلـــــى ثغـــــر هـــــذي تقِـــــف!

وكبيـــــــرُ الأولاد أتـــــــاني ... وإلـــــى طلـــــب منـــــي يهفـــــو

ولـــــداً كنـــــتُ ولـــــدتُ ، وبنتـــــاً ... هـــــذا التـــــوأمُ نِعـــــمَ الخلـــــف!

واختـــــارَ اســـــم (الأم) لبنتـــــي ... والبـــــاقون بهـــــذا هتفـــــوا

كـــــي نـــــذكرَ أمّـــــاً قـــــد رحلـــــتْ ... يَشـــــقى مَـــــن لـــــيس لـــــه ســـــلف

قلـــــتُ لهـــــم: وافقـــــتُ وربـــــي ... راضـــــية أنـــــا مـــــا بـــــي أفـــــف

قـــــالوا: أمّـــــان لنـــــا صِـــــدقاً ... ولكـــــلٍّ – فـــــي العِيشـــــة - كَنـــــف

أمّ رحلـــــــتْ عـــــــن عالمنـــــــا ... كانـــــــت شمســـــــاً لا تنكسِـــــــف!

والأخـــــــرى تحيـــــــا طيبـــــــة ... معهـــــــا لا يقربُنـــــــا الأســـــــف

قلـــــتُ لهـــــم: يَكفينـــــي هـــــذا ... نِعـــــمَ الفهـــــم! ونِعـــــمَ الثقـــــف!

عهـــــداً لا أخـــــذلكم أبـــــداً ... إن حَـــــلّ الضـــــنكُ أو التـــــرف

أنـــــتم أحبـــــابي وصِـــــحابي ... وفـــــؤادي - بكـــــمُ - يـــــأتلف!

القمر المنتقب الصغير!

(إنه لمن الجمال الذي لا حدود له ، أن تُنشّئ الأمهاتُ بناتِهن من الصغر على الحِشمة والحجاب! حتى إذا بلغن سن التكليف ، لم يكن عسيراً عليهن الحجاب لأنه بات جزءاً من ثيابهن التي ألفِنها من الصغر! خاصة في زماننا هذا الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! قال صاحب محاضرة: (كيف نربي فتياتنا على الحجاب؟) ما نصه بتصرف: (إن زي الفتاة ومظهرها ، دليلٌ على عفتها وطهارتها ، أو علامة على عكس ذلك ، فإن ما تلبسه المرأة ، يمكن أن يكون في أكثر الأحول ، دليل للحكم على نوعية ما تحمله من فكر ، وخلق! ولكن لا يستطيع أن ينكر أحد بأن المرأة المحتشمة المحترمة في زيها ، متأدبة في مِشيتها ، مع الوقار في الهيئة ، كل هذا إنما ينم عن داخلٍ نقي ، ومنبتٍ زكي ، ونفسٍ طاهرة ، وبقدر ما يظهر على تلك الفتاة من عفة ، بقدر ما تبتعد عنها همم أولئك اللئام ، من أهل الشر ، وأفكار ، وأنظار الذئاب ، وأطماع الكلاب ، مع تطلعات مرضى القلوب ، ولصوص الأعراض ، فإن الفتاة التي تتفنن في إظهار مفاتنها ، من خلال الموضات المثيرة ، التي تظهر أكثر مما تُخفي من البدن ، الذي أمر الله بإخفائه ، وستره ، من خلال لبس الأزياء العارية ، أو الضيقة ، التي تصف تقاطيع البدن ، أو الملابس الخفيفة الشفافة ، التي تشف البدن عما تحتها ، أو من خلال الموضات الصارخة ، والعجيبة ، والغريبة ، التي تلفت الانتباه ، وتعلق أعين الناظر إليها ، وهذا كله يعرض الفتاة للفسقة ، ومرضى القلوب والنفوس ، ومن هنا كان حديثنا عن فتياتنا و الحجاب من الأهمية بمكان ، بل إنها في نفس الوقت ، تعرض نفسها لخطر هي في غنى عنه ، ومن ثمَّ كان ترغيب الفتاة في الحجاب ، من أهم الأمور التي يجب أن نسلط عليها الضوء! ونسأل ونجيب: لماذا نسعى إلى ترغيب الفتيات في الحجاب منذ الصغر؟ والجواب: لأن الآباء والأمهات ، أو المربين سوف يقفون بين يدي الله – جل وعلا - ، ويسألهم الله عن بناتهم ، كيف قاموا بتربيتهم؟ وماذا عن قضية فتياتنا والحجاب؟ وكما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "كلكم راعٍ ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته" ، هذا بشكل عام ، فعلى الزوج ، والأب ، والأخ ، وأولي الأمر ، أن يرغبوا الفتيات في الحجاب ، وألا يُترك الحبل على غاربه لتبرج الفتاة ، فمن شبَّ على شيءٍ ، شاب عليه ، فنخشى أن يكون ديوثاً ، ولا يغار على حرمة أهله ، ومن هنا وجب على ولي أمر الفتاة ، العمل على ترغيب الفتيات في الحجاب ، وتدريبهن عليه منذ الصغر. لأن الإسلام يأمر بتدريب الصغار على العبادة قبل أن يكلف بها ، أي قبل بلوغهم ، فإن الصلاة على سبيل المثال فرض عين ، على كل مسلم ومسلمة ، إلا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أمرنا بتدريب الصغار على الصلاة منذ السابعة من العمر ، وأن يُضرب عليها في العاشرة من العمر ، وهذا بالطبع قبل التكليف والبلوغ ، وقد اختص النبي – صلى الله عليه وسلم – الصلاة من بين العبادات ؛ لكونها عماد الدين ، ولكن علينا أن نعلم أهمية موضوع فتياتنا والحجاب ؛ لأن الحجاب مثل الصلاة ، فهو فريضة على المسلمة ، بأمر صريح من الله – جل وعلا – ومن هنا ، وجب الترغيب للفتاة على الحجاب منذ الصغر ؛ تدريبًا لها على لبس الحجاب بعد الكبر! ومن هنا تبدو أهمية ترغيب البنات في الحجاب منذ الصغر ، حيث أننا لو أطلقنا الحرية للبنات منذ الصغر ، في ارتداء ما يرغبن فيه من الأزياء ، ولبس الموضة ؛ تقليدًا لغيرهن من غير الملتزمات ، دون حزمٍ ، أو توجيه ، أو إرشاد ، فإنهن بالطبع سوف يعتدن على ذلك الأمر ، ومن ثم تأتي المفاجأة ، حين يصلن لسن التكليف ، بمن يأمرهن بالحجاب ، فتكون لهن كالصدمة بالنسبة لهن ، وهذا بالطبع يؤدي إلى صعوبة الأمر ، وعدم القدرة على

تنفيذ هذا الأمر بعد الوصول الى سن التكليف ، وفرضية ارتداء الحجاب في تلك المرحلة العمرية بعد البلوغ ، بينما لو علمناهن حب الحجاب ، والقناعة به منذ الصغر ، لطلبن ارتداءه من تلقاء أنفسهن ، قبل أن يؤمرن بارتدائه بعد التكليف أنهن لو لم يحببنه ، ويقتنعن به منذ الصغر ، فقد يرتدينه بالإكراه ؛ خوفًا من أولي الأمر ، مما يؤدي إلى تحايلهن بعيدًا عن أعين أولي الأمر بشتي الطرق لمسخه ، وإخراجه عن وظيفته كما حدث من قبل للكثير من المحجبات أو حتى خلعه ، وهذا بالطبع يتنافى مع الدين السمح ، ولأن الله – جل وعلا – قال: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" ، كما أن هذا الأمر يتنافى مع تعليمهن تقوى الله في السر والعلانية. ونسأل ونجيب: ما هي أهم طرق الوصول لترغيب الفتاة في الحجاب؟ والجواب: أولًا ، وثانيًا ، وثالثًا ، وقبل كل شيء ، فإن الدعاء هو من أهم الأشياء ، بل هو الأساس في كل الأساليب التي نتخذها ، فلا معنى لأي مجهود مبذول ، دون أن نلجأ إلى الله – جل وعلا - ، الذي بيده كل شيء ، فو الله لو صدقنا الله فقط ، ليسر الله سائر السبل بفضله – جل وعلا - ، وجوده ، وكرمه التقرب إلى الله – جل وعلا – بفعل الطاعات بشكل عام ، والتزام الأم بكامل الحجاب الشرعي دون تهاون ، فإن طاعة الله – جل وعلا – بركتها الطيبة في النفس ، والذرية ، والجزاء من جنس العمل ، فمن لم تلتزم به ، كيف تتوقع أن تكون بناتها محجبات؟ فإن فاقد الشيء لا يعطيه ، ومن هنا فإن التزام الأمهات بالحجاب الشرعي ، يجعلهن قدوةً طيبة أمام بناتهن ، وبالطبع فإن الفتاة سوف تقلد الأم ؛ لأنها ترى فيها الأسوة الحسنة! العمل على تربية البنت على الطاعة بكل أوجهها ، وتعليق البنات بالله – جل وعلا – بمختلف وسائل التربية ، لأن حب الفتاة لربها ، سيجعلها تقوم بالأعمال ، والأمور ، التي تجعلها تتقرب إلى الله ، والتي من بينها الحجاب والتحشم ، وهو من أمر ربها – جل وعلا! أن تعمل الأم على إبراز القدوات الصالحات ، وربط الفتاة بهن ، فإن هذا يعمل على ترغيب الفتيات في الحجاب ، سواء تم هذا من خلال قصص الصالحات ، أو من أرض واقعها كذلك الأمر ، فمن المهم أن ترى الفتاة من حولها في زماننا هذا من تطبق ذلك من أجل أن يترسخ في ذهنها أن الالتزام بالحجاب ، من الأمور التي من الممكن حدوثها ، بل وأن تكون تلك الأمثلة محببة إليهن ، كما أنها ناجحة في الأمور الحياتية ، فتُصبح لديهن الرغبة في تقليد أولئك القدوات الصالحات ، وحب تقليدهن! العمل على توفير البيئة الصالحة الموفقة حول الفتاة ، من صديقاتٍ صالحات ، ومحجبات ، وفي خِضم ذلك ، فإن الفتاة ستحب الحجاب ، وبذلك الأمر يتم ترغيب الفتيات في الحجاب ، والاقتداء بهن ، وأيضًا إلحاق الفتاة في المدارس الإسلامية الصالحة وغيرها ، مما يحيط بالفتاة من عوامل في المجتمع! العمل على تشجيع الفتاة والمديح لها ؛ من أجل التزام الشرع ، وارتداء الحجاب ، ومن الأمور التي تساعد على ترغيب الفتيات في الحجاب ، المكافآت ، والثناء عليهن ، ودعمهن المستمر! تعويد الفتاة على لبس الحجاب من الصغر ، وإشعارها بالاعتزاز بذلك الأمر ، من خلال رؤية الأم ترتدي الحجاب ، مع ما تقدمه لها من المديح ، وعبارات التشجيع ، وغيرها من العوامل التي تساعد على ترغيب الفتيات في الحجاب! وقصة فابيان أشهر عارضة أزياء فرنسية سابقاً تزيد الأمر وضوحاً: فابيان إحدى أشهر عارضات الأزياء الفرنسيات سابقًا ، بعد أن هداها الله إلى الإسلام وارتدت الحجاب ، تقول: "لولا أن منَّ الله عليَّ برحمته ، لضاعت حياتي ، في عالم سافل قذر ينحدر فيه الإنسان ، حتى يصبح مثل الحيوان ، لا يهمه إلا إشباع رغباته ، وغرائزه ، بلا قيمة ولا مبادئ" ، ولقد قالت فابيان هذا الكلام ، بعدما ارتدت أفخر أنواع الثياب والملابس ، مما لم تحلم به أي فتاة ، وقد جربت من حظوظ الموضة ما تتوق إليه أي امرأة في الدنيا ، ولكنها

أدركت بأن هذا ما هو إلا سراب فقط ، ونهاية الإنسان للحساب ، فعلينا أن نجعل الله نصب أعيننا ، وأن نستر أبداننا ، ونحافظ على عِفتنا ، ونحرص على الاهتمام بكل من فتياتنا والحجاب! والشيخ المنجد يرى أنه يجب على الأب أن يأمر ابنته بالحجاب ، وأن يلزمها به في حال بلوغها ، وأن يمنعها من الخروج من البيت بدونه ؛ لأنه مسئول عن رعيته ، كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا) رواه البخاري ومسلم! وعلى الأب أن يشدد في ذلك ، وأن لا يتهاون فيه ، لأنه أمر بواجب ، ومنع من معصية تتكرر بتكرر الخروج هذا هو الأصل الذي يجب العمل به ، لكن إذا كانت البنت تهدد بإيذاء نفسها في حال إرغامها على الحجاب ، أو منعها من الخروج بدونه ، وكان هذا التهديد حقيقياً ، بحيث يغلب على الظن أنها ستؤذي نفسها أذى بالغا ، أو تفكر في الهرب من البيت وترك الأسرة ، فحينئذ يكتفي الأبوان بالأمر والتوجيه والنصح ، مع إحسان المعاملة ، والترغيب في الصالحات ، وتقوية الإيمان ، وغرس محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم في قلب الفتاة ، فلعل هذا يكون دافعاً لها لارتداء الحجاب! وينبغي إحاطة الفتاة ببعض الصديقات الصالحات ، فإن أثر الصداقة قد يكون أقوى من تأثير الوالدين ، كما ينبغي الاستعانة بمن يُسدي لها النصح ، من قريب أو عالم أو داعية ، فقد تكون لديها شبهة ، أو غفلة عن خطورة التبرج وإثمه ، والحال أنها ستجمع بين منكرين عظيمين: عقوق الوالدين ، وترك الحجاب! وتسأل الكاتبة الأديبة هناء محمد: (كيف نحبب بناتنا في الحجاب؟) وتجيب قائلة: (الحجاب فرض وهو ما يجب أن يعرفه الجميع يقينًا! ليس كما أصبح يُطلق الآن من بعض الدعوات إلى إن الحجاب هو حرية شخصية ، لذا يجب أن نتفق على هذه النقطة بداية ، فنؤكد بأن الحجاب فرض على المرأة المسلمة. وقد جاء ليجعلها عزيزة سامية المكانة ، فهو لم يُفرض لتقييد الحرية ، بل للحماية من الوقوع في المهانة والمفاسد ، ويحميها من أعين الناظرين بسوء! وفضائل الحجاب كثيرة ومتعددة: ومنها: أن الحجاب طاعة لله عز وجل ، حيث أمر الله نساء المسلمين بالحجاب فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ". والحجاب عفة حيث قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ". ويقصد هنا بـ "فَلَا يُؤْذَيْنَ": أن ظهور مفاتن المرأة ومحاسنها فيه إيذاء لها ولذويها! والحجاب طهارة: فقد قال تعالى: "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ" ، وصف هنا الحجاب بأنه طهارة للقلوب المؤمنة للرجال والنساء. فإن العين إن لم تر لا يشتهي القلب! ونسأل ونجيب أخيراً: كيف نحبب بناتنا في الحجاب؟ يقع البعض في أخطاءٍ عند محاولة تعويد بناته على لبس الحجاب ، إذ يستخدم البعض العنف فينفرهم منه ، أو يتساهل ويتهاون أكثر من اللازم ، وهما أسلوبان خاطئان للتعود على ارتداء الحجاب ، إذ يجب أن نجعل بناتنا يُحببن الحجاب ، ويمكن أن يتم ذلك باتباع بعض الخطوات التي يقوم بها كلا الأبوين معًا ، والتي تتمثل في البدأ في الصغر: – فيجب أن نبدأ مع بناتنا منذ الصغر في تعويدهن على الحجاب ، ولا ننتظر حتى يكبرن ، فإذا انتظرنا ذلك تكون قد تكونت قناعتهن بشكل يمكن أن يكون مخالفاً لما يخص الحجاب ، وبخاصه إذا كان يوافق هوىً في أنفسهن ، ويراعى أن يتم الأمر بشكل متدرج ، فأنت تتعامل مع طفلةٍ صغيرة! وأيضاً: إظهار الإعجاب بالحجاب: – كونوا

دائمي التحدث عن الحجاب والإعجاب به وإظهار محاسن ارتدائه ، حتى تجعله محبباً إلى نفس بناتك! والحجاب أمر إلهي: – يجب أن تعرف البنت وتقتنع بأن الحجاب أمر إلهي وفريضة عليها ، وعلمها بأنها إذ ترتدي الحجاب ، فهى تفعل ذلك لله تعالى ، وليس من أجل البشر. ولا ننسى دور النموذج أو القدوة: – أيها المربون: أظهرو أو اعرضوا عليهن نماذج من النساء المحجبات الناجحات ، ولنا في زوجات الرسول أفضل المُثل ، وفي عصرنا الحديث ابحثوا عن النساء الناجحات المحجبات لعرضهن كنماذج أمامهن. ولا نُغفِل مبدأ المقارنة: – اعقدوا لهن المقارنات بين النماذج المحجبة من النساء الصالحات والأخريات السافرات ، وبخاصة النماذج الساقطة. وأيضاً: التعريف بسلوك المرأة الصالحة: – حدثوا بناتكم دائمًا عن سلوك المؤمنات والملتزمات وجزائهن ، وكيف أنهن دائمًا يكُن السبب في الخير والهداية. ولا ننسى الصحبة الصالحة المسلمة المؤمنة الموحدة ودورها: احرصوا على متابعة من تصاحبهن بناتكم ، فحافظوا على أن تجعلوا صحبتهن من البنات المحتشمات حتى يتأثرن بهن. والأم أفضل قدوة: – فالبنت غالبًا ما تقوم بتقليد أمها ، لذا فإن كانت الأم خير نموذج للمرأة المحتشمة ، سيكون من السهل تطبيع بناتنا على الاحتشام. والدروس العلمية مهمة: – فواظبوا على جعل بناتكم يحضرن دروس العلم والقرآن في المساجد ، فهذه الدروس تفرض عليهن أن يلتزمن بالحجاب حتى يعتدنه ويتشربنه ولا يستطعن الاستغناء عنه. وأخيراً التشجيع المستمر: – فحفزوهن على ارتداء ا لحجاب ، بتعريفهن بأنهن إذا كُن محتشمات ويرتدين الحجاب ، فإنهن سينلن والآن ماذا عن قمرنا المنتقب الجزاء الكبير الأوفى من الله عز و جل ، ألا وهو الجنة).هـ.

الصغير المحترم هذا ، الذي كتبنا في مدحه ، والإشادة به هذه القصيدة المتواضعة البسيطة؟!)

قمـــرٌ أطـــل مـــن الســـماء الصـــافية ... فأضـــاءَ دنيـــا – بـــالتبرج ـ داجيـــة

قمـــرٌ أهـــلّ ، فـــلا تســـلْ عـــن حُسْـــنهِ ... وجمالـــــه ، وخِلالـــــه المُتســـامية

قمـــرٌ تجلبَـــبَ بالحيـــاء تعبـــداً ... مُسترشـــداً ، وبكـــل نفـــس راضـــية

قمـــرٌ تهـــابُ العـــينُ طلـــة وجهـــهِ ... فاختـــار ســـترَ الوجـــه ، يَعـــذرُ رائيـــه

قمـــرٌ تربّـــي ، فالفضـــائلُ سَـــمتُهُ ... فـــي بيئـــةٍ فيهـــا الرذائـــلُ باديـــة

قمـــرٌ يُناولنـــا الحَشـــامة والحيـــا ... غمـــرتْ زهـــاءَ الوجـــه ، بـــل والناصـــية

قمـــرٌ تـــأبّى أن يُغازلـــهُ الغثـــا ... إمـــا تمكـــيجَ ، شـــأنَ أشـــقى غانيـــة

قمـــرٌ تســـامى فـــي التمسّـــك بالهُـــدى ... لينـــال فـــي الأخـــرى الجنـــانَ العاليـــة

لـــم تُغـــرهِ مُتـــعُ الحيـــاة ، وإن حلـــتْ! ... مَـــن رامَ زخرفهـــا طوتْـــهُ الداهيـــة

مازلـــتُ أعجـــبُ مِـــن عباءتـــه التـــي ... جلـــتْ لنـــا ذكـــرى الســـنين الماضـــية

ذكـــرى لأســـلافٍ مَضـــوا تحـــت الثـــرى ... عاشـــوا علـــى سُـــنن الرشـــاد الهاديـــة

قمـــرٌ صـــغيرٌ لـــيس بعـــدُ مكلفـــاً ... لمّـــا تُصـــارعُهُ (الســـلومُ) الباليـــة

لمّـــا تُجَرّعْـــهُ التقاليـــدُ اللظـــى ... لـــم تســـقه العـــاداتُ كـــأسَ الهاويـــة

لـــم تُملـــهِ الأعـــرافُ ســـاقط شـــرطها! ... وشـــرائط الأعـــراف حقـــاً عاتيـــة

وحضـــارة اللـــذات مـــا أزرتْ بـــهِ ... إن الحضـــارة ـ فـــي المـــدائن ـ فاشـــية

قمـــرٌ صـــغيرٌ ، مـــا أجـــلّ بهـــاؤهُ! ... أغـــرى بنظرتـــه الشـــرود الغاويـــة

ودنـــا إلـــى قلمـــي يُسِـــر بكِلمـــةٍ ... كانـــت بيانـــاً بـــالحروف النادية

قالـــت لـــه: صـــغ مـــا رأيـــت قصـــيدة ... ولـــك اختيـــارُ البحـــر ثـــم القافيـــة

واحـــذرْ مبالغـــة تُنـــاقضُ نصَـــها ... وتخيـــر الألفـــاظ تُفصـــحُ صـــافية

وتخيـــر العنـــوانَ يأســـرُ قارئـــاً ... وابعـــدْ عـــن التشـــبيب يُخـــزي الجاريـــة

وصِـــفِ الحجـــابَ جميلـــة أوصـــافهُ ... حتـــى تُحبـــبَ ـ فـــي التســـتر ـ عاريـــة

وصِـــفِ النقـــابَ مُـــدَعّماً بأدلـــةٍ ... إن الـــدليل يـــردُ كيـــدَ الهاذيـــة

ورأيـــتُ مـــن قلمـــي اســـتجابة مـــا ارتـــأتْ ... وســـمعتُه يعِـــدُ الفتـــاة الزاكيـــة

ويقـــولُ: أفعـــلُ إن وعـــدتِ بموثـــق ... والوعـــدُ مســـؤولٌ ، وإنـــكِ واعيـــة

هـــو أن تكـــوني هكـــذا مســـتقبلاً ... لا أن تعـــودي بعـــد رُشـــدٍ عاصـــية

إمـــا أتـــى التكليـــفُ كُنـــتِ حشـــيمة ... بحجابهـــا ونقابهـــا مُتباهيـــة

قالـــت: يمـــينَ الله أفعـــلُ إننـــي ... فـــي طاعـــة الـــرحمن ألقـــى العافيـــة!

المنتقبات الخمس الصديقات!

(صديقاتٌ حَشيماتٌ خمس ، تعاهدْن على الحب والنصح ، وبذل المعروف ، وإسداءِ الخير للغير! ودخلتْ بينهن إحدى النساء من عَدوّات أنفسهن ، ولم يكن لها ذاتُ السمت ولا ذات الطبع ولا ذات الخلق! وأرادتِ الإيقاعَ بينهن فلفظنها جميعاً وطردْنها من بينهن! وتحت عنوان: (الوشاية والنميمة والوقيعة آفات ينبغي اجتثاثها!) يقول الأستاذ عبد الله متولي ما نصه بتصرف يسير: (يذكر التاريخ في صفحاتٍ سيئةٍ ذلك الدور المشين الذي لعبه الوشاة... فأشعلوا النفوس حقداً وأوقدوا للحرب نيراناً. إن شر الناس ذو الوجهين...الذي يأتي هذا بوجه ، وهذا بوجه ، وينقل كلام هذا لذاك على سبيل الإفساد بينهما ، وقد يتقوّل على أحدهما ما لم يقل ، فيجمع بين النميمة والبهتان. (وكذلك تنقل الكلام وتوشي وتفسد ذات البين كل عدوة نفسها!) ، إنها الوشاية... يا لها من خلق ذميم.. وسلوك مشين.. فكم تقطعت من أواصر ، وتفرقت من قلوب ، وتهدمت من بيوت ، بسبب المشائين بالنميمة ، الساعين بالإفساد بين الناس ، المفرقين بين الأحبة ، المتتبعين للعورات! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ، تقول: اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا)! رواه الترمذي. غير أن بعض الناس ينسى قيمة اللسان ويتناسى أخطاءه ومساوئه فيطلق له العنان بالوشاية ، وما ذلك إلا لمرض في القلب حيث (...إنما جُعل اللسان عن الفؤاد دليلاً) ، فنجد الواشي ساعياً بالغيبة والنميمة محاولاً الوقيعة بين الأصدقاء والإخوة ، فلا يروق له بال ، ولا يطمئن له حال إلا إذا قطع الأوصال ، وفرَّق بين الناس فإذا بالصداقة تصبح عداوة وإذا بالتفاهم والود يتحول إلى حقد وبغضاء ، والتقارب والتعارف يستحيل إلى تباعد ونكران ، وكل ذلك جرَّاء الوشاة الذين في قلوبهم مرض يحرك ألسنتهم بالنميمة غير عابئين بما ينتج عن أقوالهم وأكاذيبهم من نتائج سيئة وأفعال مشينة في العلاقات بين الناس. وما أكثر الوشاة الذين يحاولون تزيين أقوالهم للوقيعة وكأنهم يحاولون المحافظة على المعنى اللغوي للفعل الذي اشتقت منه الوشاية ، لأن وَشِيَ الثوب معناه طرَّزه وحلاه وحسنه ، فالواشي يستخدم من أساليبه الدنيئة ما يُحسِّن به بضاعته السيئة ومساعيه المسمومة للدسِّ والخديعة ويجعل من اللسان أداة طَيِّعه لمآربه الدنيئة الخادعة التي توعز الصدور وتباعد بين الناس في مختلف مجالات الحياة. إن الوشاية تبدأ من القلب ويترجمها اللسان وترجع بنتائجها إلى القلوب فتُوصد الأبواب وتقطع السبل وتفتح أبواب الشر ، ويظن الواشي أنه قد أرضى نفسه وأراح فكره وحقق مآربه ناسياً ما وصفه به القرآن الكريم بأنه (فاسق) ومتناسياً أنه محاسب على كل ما يلفظ به لسانه (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). ولخطورة الوشاية في المجتمع فقد حرص الإسلام على تهذيب اللسان وما يتبعه من جوارح فقال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}. كما حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على حفظ ألسنتنا فقال: (مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت). متفق عليه. كما جعل من يمسك لسانه عن إيذاء المسلمين من أفضل المسلمين ، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله أيُّ المسلمين أفضل؟ قال: (من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه. وكثيرة هي التوجيهات النبوية التي فيها العلاج الناجح لمن يسعى بالوشاية بين الناس سواء كان في الأسرة أو في العمل سعياً منه للوقيعة أو نيل مرتبه دنيوية زائلة ، أو بالوشاية بين الأصدقاء ليرضي قلبه الحاقد بدق إسفين العداوة بين الإخوان والأصدقاء. إن مَنْ يسعون بالوشاية في حاجة لأن

يمسكوا ألسنتهم عن الوقيعة وبث الضغينة بين الناس ، أمَّا من يسمعون لمن يسعى بالوشاية فليراجعوا ويتفهموا قول الحق تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} ، وليتذكروا دائماً تلك الأسوة الحسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحدٍ شيئاً فإني أُحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر). رواه أبو داود والترمذي. ما أحوجنا نحن المسلمين إلى محاربة هذا السلوك القبيح والأخذ على أيدي المشائين بين الناس بالوشاية والنميمة حتى تسلم مجتمعاتنا من أحد أهم أسباب الفرقة والبغضاء وخراب البيوت ويدميرها وحتى يحيا الجميع في أمن وسلام فلا بد من اجتثاث هذه الأمراض من جسد الأمة. قال يحي بن أبي كثير: يُفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة. ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان ، لأن عمل الشيطان بالوسوسة ، وعمل النمام بالمواجهة. وقال أبو حامد الغزالي: «قال الحسن: من نم إليك نم عليك. وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته. وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة ، وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض! وقال تعالى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} ، ولو أن هذا النمام المفسد واجه عاقلاً موفقًا فأسكته وكبّته ، ولم يصغ إلى وشايته ، لانقطع شره ، وبطل كيده. وقد قال الحكماء: قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعي ، فلو كان صادقًا في قوله لكان لئيمًا في صدقه ، حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة. ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز ، فذكر له عن رجل شيئًا ، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: {إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} ، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية [هماز مشاء بنميم] ، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبدًا).هـ. ونشكر للأستاذ هذا التفصيل الشرعي واللغوي للغيبة والنميمة والوقيعة والوشاية! ولعله واضح من العنوان أن هذه آفاتٌ ذميمة ينبغي اجتثاثُها من بين المؤمنين والمؤمنات! لماذا؟ لآن هذه الآفات تقطع الصلات وتزهق روح ذات البين! ويقول الأستاذ عبد الملك القاسم تحت عنوان: (النميمة) ما نصه بتصرف زهيد: (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» ففي هذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنّه لا ينبغي أن يتكلم الشخص إلاّ إذا كان الكلام خيراً ، وهو الذي ظهرت له مصلحته ، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم. قال الإمام الشافعي: "إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه ، فإن ظهرت المصلحة تكلم وإن شك لم يتكلم حتى يظهر". فماذا عن تعريف النميمة؟ اسم النميمة إنّما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى القول فيه. كما تقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا. وليست النميمة مختصة به ، بل حدها كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه ، أو كرهه ثالث. وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء ، وسواء كان المنقول عن الأعمال أو من الأقوال. وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن ، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه. بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلاّ ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية. مثل أن يرى من يتناول مال

غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، أما إذا رآه يخفي مالًا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر. وإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة. وبهذا يتضح أنّ النميمة نقل كلام النّاس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد وكشف السر وهتك الستر. والبهتان على البريء أثقل من السموات وويلٌ لمن سعى بوشاية بريء عند صاحب سلطان ونحوه ، فصدقه ، فربما جنى على بريء بأمر يسوءه وهو منه براء. قال يحيى بن أكثم: "النمام شر من الساحر ، ويعمل النمام في ساعة ما لا يعمل الساحر في سنة". ويقال: "عمل النمام أضر من عمل الشيطان ، لأن الشيطان ، بالخيال والوسوسة وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة". حكم النميمة: النميمة من أقبح القبائح وكثر انتشارها بين النّاس حتى ما يسلم منها إلا القليل. والنميمة محرمة بإجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتب والسنة وإجماع الأمة. قال الحافظ المنذري: "أجمعت الأمة على تحريم النميمة وأنّها من أعظم الذنوب عند الله عز وجل. وقد حُرمت النميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين. أدلة تحريم النميمة: قال الله تعالى: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}. وقال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}. وقال جل وعلا: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}. قيل الهمزة: النمام. وقال تعالى: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}. قيل: كانت نمامة حمالة للحديث إفسادا بين النّاس ، وسميت حطبا لأنّها تنشر العداوة والبغضاء بين النّاس كما أنّ الحطب ينشر النّاس ، والنميمة من الأذى الذي يلحق المؤمنين ويُفسد بينهم. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً}. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمام» [متفق عليه]. وقد ذكر صلى الله عليه وسلم أنّه لا يدخل الجنة نمام، فإذا لم يدخل الجنة لم يكن مأواه إلاّ النار، لأنّه ليس هناك إلاّ الجنة أو النار ، فإذا ثبت أنّه لا يدخل الجنة ثبت أن مأواه النار. وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى. قال: «المشاؤن بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبراء العيب». ولنتأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أشاع على مسلم كلمةً يشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة». هذا جزاؤه يوم القيامة وقبل ذلك عذاب القبر. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله». قال العلماء في معنى «وما يعذبان في كبير»: "أي في زعمهما وقيل: كبير تركه عليهما". ويقال: "أنّ ثلث عذاب القبر من النميمة". ولقد حرم الله جل وعلا المشي بالنميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين ورخص في الكذب في الإصلاح بين الناس ورغب في الإصلاح بين المسلمين. قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». دوافع النميمة: إنّ ممّا يدفع الإنسان إلى النميمة بين النّاس بواعث خفية منها: أولًا: جهل البعض بحرمة النميمة وأنّها من كبائر الذنوب، تؤدي إلى شر مستطير ، وتفريق أحبة ، وتهديم بيوت ، وإشاعة التباغض والتناحر بين المسلمين. ثانيًا: التشفي والتنفيس عما في النفس من غلٍ وحسد وذلك بالنميمة بين الأحبة. ومحاولة التنقص من المحسود أمام النّاس. ثالثًا: مسايرة الجلساء ومجاملتهم والتقرب إليهم بخبر جديد وأمر يستمعون إليه. رابعًا: إرادة إيقاع السوء للمحكي عنه كنقل الكلام إلى من بيده سلطة أو قوة. أو مرادة إيقاع الضرر بأي شكل كان. خامسًا:

إظهار الحب والتقريب للمحكى له وكأنّه أصبح من أعوانه وأحبابه فلا يرضى بما قال عنه فلان من الناس ، بل ينقل إليه كل ذلك وربما يزيد رغبة في زيادة محبة المنقول إليه. سادسًا: اللعب والهزل فإن هناك مجالس تقام على الضحك والهزل ونقل الكلام بين النّاس. سابعًا: إرادة التصنع ومعرفة الأسرار والتفرس في أحوال النّاس فينم عن فلان ويهتك ستر فلان. ماذا تفعل مع النمام؟ أخي الكريم: كل من حملت إليه النميمة وقيل له أن فلانًا قال فيك كذا وكذا ، أو فعل في حقك كذا وكذا ، أو هو يدبر في إفساد أمرك ، أو في ممالأة عدوك ، أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول: أن لا يصدقه لأنّ النمام فاسق وهو مردود الشهادة. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ}. الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله. قال الله تعالى: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ}. الثالث: أن يبغضه في الله فإنّه بغيضٌ عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى. الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: {اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}. الخامس: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث والتحقق ، اتباعاً لقول الله تعالى: {وَلا تَجَسَّسُوا}. السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ، ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون به نماماً ومغتاباً وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت. قال الحسن: "من نمَّ إليك نمَّ عليك". وهذه إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته ، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين النّاس والخديعة وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض. قال تعالى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}. والنمام منهم. وقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ من شرار النّاس من اتقاه النّاس لشره» والنمام منهم. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قاطع» قيل: وما القاطع؟ قال: «قاطع بين النّاس» وهو النمام وقيل: قاطع الرحم. قال مصعب بن عمير: "نحن نرى أنّ قبول السعاية شر من السعاية لأنّ السعاية دلالة والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعي فلو كان صادقاً في قوله لكان لئيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة". من صفات النمام قال الله تعالى: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}. ووصف القرآن الكريم النمام بتسع صفات كلها ذميمة: الأولى: أنّه حلاف.. كثير الحلف ولا يكثر الحلف إلاّ إنسان غير صادق يدرك أن النّاس يكذبونه ولا يثقون به فيحلف ليداري كذبه ويستجلب ثقة النّاس. الثانية: أنّه مهين.. لا يحترم نفسه ولا يحترم النّاس قوله ، وآية مهانته حاجته إلى الحلف ، والمهانة صفة نفسية تلصق بالمرء ولو كان سلطاناً ذا مال وجاه. الثالثة: أنّه همَّاز.. يهمز النّاس ويعيبهم بالقول والإشارة في حضورهم أو في غيبتهم على حدٍ سواء. الرابعة: أنّه مشاء بنميم.. يمشي بين النّاس بما يفسد قلوبهم ويقطع صلاتهم ويذهب بمودتهم. وهو خلق ذميم لا يقدم عليه إلاّ من فسد طبعه وهانت نفسه. الخامسة: أنّه مناع للخير.. يمنع الخير عن نفسه وعن غيره. السادسة: أنّه معتدٍ.. متجاوز للحق والعدل إطلاقا. السابعة: أنّه أثيم.. يتناول المحرمات ويرتكب المعاصي حتى انطبق عليه الوصف الثابت والملازم له "أثيم". الثامنة: أنّه عتل.. وهي صفة تجمع خصال القسوة والفضاضة فهو ذا شخصية كريهة غير مقبولة).هـ. ومن هنا حييتُ شعراً ونثراً منتقبات قصيدتنا البطلات الخمس! ذلك أنهن اكتشفن أن بينهن ساقطة واشية مغتابة نمامة ، إن بقيت أوقعت بينهن وأفسدت علاقتهن ، وأزهقت روح المودة! فسارعن إلى اجتثاثها من

بينهن كما تُجتث الشجرة الخبيثة من الأرض لئلا يستشري خبثها فيمن حولها من الناس!
وكانت قصيدتي هذي ترجمة لإعجابي بسلوك المنتقبات الخمس الحكيمات العاقلات الفطنات!)

لـــم تكـــنْ بلـــواكِ - عنـــا - خافيـــة ... بـــل فطِنّـــا لِلّكـــاع الداهيـــة!

مُـــذ عرفنـــاكِ خَبَرْنـــا بالـــذي ... تنتـــوي أختُ الشـــرور الواشـــية!

مُـــذ كشـــفناكِ أخـــذنا حِـــذرَنا ... مـــن شَـــرودٍ - عـــن جِوانـــا - نائيـــة!

مُـــذ ســـمعنا منـــكِ قلنـــا: لا تعِـــي ... ثـــم قـــال الـــبعضُ: هـــذي هاذيـــة!

ثـــم قلنـــا: عَلهـــا أن تهتـــدي ... ثـــم تُمْســـي لســـواها هاديـــة!

وزعَمنـــا الخيـــرَ يـــأتي لاحقـــاً ... لكـــنِ الـــزعمُ انقضـــى فـــي ثانيـــة

لـــم تـــزلْ تُوشِـــي ، وتغتـــالُ الإخـــا ... وتُمَنينـــا بحِـــرص الحانيـــة

لـــم تـــزلْ تُغـــري بقـــول وادع ... مثـــل شِـــعر زخرفثْـــهُ القافيـــة

لـــم تـــزلْ فينـــا كفيـــروس فشـــا ... وإذا عَـــدْواهُ تُهـــدي القاضـــية

نحـــن قررْنـــا بـــألا تُصـــبحي ... بيننـــا أختـــاً تُزيـــلُ العافيـــة

اغرُبـــي عنـــا بعيـــداً ، إننـــا ... لا نحِـــبُ التُرّهـــاتِ الواهيـــة

إن تكلمْنـــا فعـــدلٌ قولنـــا ... قولنـــا لا يحتـــوي مـــن لاغيـــة

اخرجـــي - مـــن بيننـــا - مهزومـــة ... جَمْعُنـــا لا يَحتفـــي بالغافيـــة

كـــم برئنـــا مـــن قلـــيلات الحيـــا ... إذ بُلِينـــا بـــالأمور الباليـــة!

كـــم صُـــدِمْنا فـــي أخَيّـــات الهـــوى ... عنـــدما غلـــبْن دربَ الهاويـــة!

فاتخـــذناهُ قـــراراً صـــائباً ... بعـــدَ تفكيـــر وشـــورى واعيـــة!

اذهبـــي ، لا تنكئـــي آلامَنـــا ... ودَعِينـــا مـــن وُعـــودٍ غاويـــة!

المنتقبة والقطة المبتلاة!

(شعورٌ نبيلٌ جداً أن نكون رُحماء بالحيوانات ، خاصة الأليفة التي لا يكون لنا منها الضرر الظاهر! ومنتقبة قصيدتنا بسبب حسها المرهف والرحمة التي أودعها الله تعالى في قلبها ، لم تقبل أن ترى تعذيب قطةٍ مبتلاةٍ بائسة ، على يد صِبية لا يدركون! واستحق ذلك مني قصيدة أشكرها على ذلك الشعور النبيل هذا! لقد كانت أختنا المنتقبة المؤمنة الحشيمة (شذى الزهر) وهذا اسمها تجلس إلى جوار زوجها في سيارتهما الخاصة ، في طريقهما لقضاء شأن من شؤونهما. وفجأة وقعتْ عينها على أولاد كانوا قد ظفروا بقطةٍ ربطوها بالحبال ، وأمعنوا في تعذيبها! فأوقفت السيارة ، وراحت تنصح للأولاد وتعظهم ، وتبين لهم أن هذه القسوة ليست من ديننا في شيء ، وراحت تُحذرهم عقاب الله تعالى ، وتسوقُ لهم من حديث رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم -: (دخلتِ امرأة النار في هرة) الحديث! ولمّا لم يستجيبوا قررتْ أن تأخذها من بين أيديهم ، وتُشفق عليها! وأعطتْهم بعض الحلوى عِوضاً عن القطة التي أخذتْها منهم ، وأحسنتْ إليها وأطعمتْها وأشربتْها وآوتْها! فشكرتُ لها ذلك الكرم والجود شعراً بقصيدةٍ عنونتُ لها بـ: (المنتقبة والقطة المبتلاة)! إنه لمِنْ أعْظم الصِّفات التي تَمَيَّز بِها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفة الرحمة ، والنصوص في ذلك كثيرة ، ولذلك حَرِصَ عليها ودَعا إليها وقال فيما قال: "مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَم". رواه البخاري ومسلم. وقال أيضاً: "لا تُنْزَع الرَّحْمَة إلا من شَقِيٍّ". رواه الترمذي ، وقال: حسن صحيح. ومن مَظاهر رحمته الشاملة رحمته بالحيوان الأعجم ، الذي سخَّره الله لخِدْمة الإنسان ، فمِنَ الواجب صيانةُ هذه النِّعمة حتى يدومَ الانتفاع بها ، بل إنَّ رحمتَه شَمِلَتْ الحيوانات الأخرى التي لا تظْهر فيها المنْفعة المُباشرة في الأمور الأساسية للحياة ؛ لأنَّها على كل حال مخْلوقات تُحِس بما يُحِس به كلُّ حيوان. ومن مظاهر وألوان الرفق بالحيوان: ولهذه الرَّحمة ألوان ومظاهر ، منها: 1- عدم حبْس الطعام عنها وتجْويعها وترك العناية بها ، وجاء في ذلك حديث البخاري ومسلم: "عُذِّبت امرأة في هِرَّة حبَسَتْها ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض" ، وحديث أبي داود أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرَّ ببعيرٍ قد لَحِق ظهرُه ببطْنِه ، أي هزيل من الجوع ، فقال: "اتقوا الله في هذه البهائم ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة". 2- تيسير إطعامها والعناية بها ، وقد أخبر ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلًا نزل بئرًا فسقى كلبًا يلهث من شدة العطش ، فشكر الله له فغفر له ولما سأله الصحابة عن الأجر في سقي البهائم قال: "في كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ". رواه البخاري. وفِي حديث رواه مسلم: "ما مِن مُسلم يَغْرِس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة". وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُصْغِي الإناء للهرَّة ـ أي يُمِيلُه ـ حتَّى تَشرب ، ثم يتوضأ بما فَضُل منها ، كما رواه الدارقطنى عن عائشة. وقد يُقَال: إن هناك تعارضًا بين الترغيب في سقْي الكلب والأمر بقتله ، وقد تحدَّث عن ذلك ابن حجر في فتح الباري " ج52/5" بأن قوله "في كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجرٌ" مخصوص ببعض البهائم مما لا ضرر فيه ؛ لأنَّ المأمور بقتْله كالخِنْزير لا يجوز أن يقوى ليزداد ضَرَرُه ، وكَذا قال النَّووي: إنَّ عمومه مخصوص بالحيوان المحترم ، وهو ما لم يُؤْمَر بقتله ، فيحصل الثواب بسقْيِه ، ويَلْحَق به إطعامه وغير ذلك من وجوه الإحسان إليه ، واستدلَّ به على طهارة سُؤْر الهر ، وهو ما يَتَبقَّى في الإناء بعد شُرْبه منه. 3- عدم إلحاق ضررٍ بالحيوان أيًّا كان هذا الضرر ، ومنه تَحْمِيله ما لا يُطِيق وإرهاقه في السَّيْر ، ففي مسلم وغيره قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سافرْتم في الخِصْبِ فأعْطُوا الإبل حظَّا من الأرض". ،

ورُوي عن أبي الدَّرداء قوله لبعير له عند الموت: "يا أيُّها البعير لا تُخَاصِمْني عند ربِّك ، فإني لم أكن أُحَمِّلُك فَوْق طاقتِك" ، وأخرج الطبراني أثراً عن علي قال: إذا رأيتم ثلاثة على دابَّة ، فارجُموهم حتَّى يَنزِلَ أحدُهم. 4- عدم اتخاذ الحيوان أداةً للَّهْو ، كجعله غرضًا للتسابُق في رمْيِه بالسِّهام ، ويُشْبهه ما يُعْرَف اليوم بمصارعة الثِّيران ، فقد مرَّ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بفِتْيان من قريش نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَه ، وجَعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبْلهم ، فقال لهم: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعنَ مَن اتَّخَذ شيئًا فيه روحٌ غرضًا". رواه البخاري ومسلم. 5- الإحسان إلى الحيوان عند الذَّبْح ، وجاء في ذلك حديث الطبراني والحاكم وصححه: أنَّ رجلًا أضْجَع شاة ليَذْبَحها وهو يُحِدُّ شَفْرَته ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتُريد أن تُمِيتَها مَوْتَتين ، هلَّا أحددْتَ شَفْرَتك قبْل أن تُضْجِعَهَا؟" ، وفي حديث آخر: "إنَّ الله كَتَبَ الإحسانَ علي كل شيء ، فإذا قَتَلْتُم فأحْسِنُوا القِتْلَة ، وإذا ذَبَحْتُم فأحْسِنُوا الذِّبْحَة ، ولْيُحِدَّ أحدُكم شَفْرَته ، ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَه". رواه مسلم. يقول ربيعة الرأي: من الإحسان ألا تُذْبَح ذبيحة ، وأخرى تنظر إليها. 6- روى أبو داود أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان في سفَر ومعه بعض أصحابه ، فذهب لبعض شأنه ، فأخذ جماعة منهم فرْخَيْن لطائر يُسَمَّى "قُبَّرَة" فجعلتْ تَحُوم وتعلو وتهبط لتُخَلِّص ولَدَيْها منهم ، فلما رآها ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "مَن فَجَعَ هذه بولدها؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إليها". تلك بعض المَظاهر التي تدل على مدى رحمة الإسلام ونبي الإسلام بالحيوان ، سبق به ما تنادَوْا به حديثًا من وجوب الرِّفق بالحيوان ، وهو دليل على أنه دين صالح لكلِّ زمان ومكان يقوم بهذه الأعمال على أنَّها طاعة وقُرْبَة إلى الله يُرْجَى عليها الأجْرُ. وجاء في (إسلام أون لاين) وتحت عنوان: (ضوابط تربية القطط في البيوت) ما نصه بتصرف: (القطة طاهرة ليست نجسة كالكلاب. فقد روى أحمد والدارقطنى والحاكم والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم دُعِيَ إلى دار قوم فأجاب ، وإلى دار آخرين فلم يجب. فقيل له في ذلك ، فقال: "إن في دار فلان كلباً" ، فقيل له : وإن في دار فلان هرة ، فقال صلى الله عليه وسلم: "الهرة ليست نجسة ، إنما هي من الطوافين عليكم والطوافات". وفي السنن الأربعة وصححه البخاري من حديث كبشة بنت كعب بن مالك ـ وكانت تحت بعض ولد أبي قتادة ـأن أبا قتادة رضي اللّه عنه دخل فسكبت له وَضُوءًا ، فجاءت هرة فشربت منه ، فأصغى لها الإناء حتى شربت ، قالت كبشة: فرأني أنظر إليه ، فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم ، فقال: إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: "إنها ليست بنجس ، إنها من الطوافين عليكم والطوافات". أي كالخدم المماليك في البيوت ، وفي سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "الهرة لا تقطع الصلاة ، إنما هي من متاع البيت". وذكر النووى في شرح المهذب أن بيع الهرة الأهلية جائز بلا خلاف عند الشافعية ، إلا ما حكاه البغوى في شرح مختصر المزني أنه قال : لا يجوز وهذا شاذ باطل ، والمشهور عنه جوازه وبه قال جماهير العلماء. قال ابن المنذر: أجمعت الأمة على جواز اتخاذها ، ورخَّص في بيعها ابن عباس والحسن وابن سيرين وحماد ومالك والثوري والشافعى وإسحاق وأبو حنيفة وسائر أصحاب الرأى. وكرهت طائفة بيعها ، منهم أبو هريرة وطاووس ومجاهد وجابر بن زيد روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب والسنور ، أى القط. ويقول النووى: إن النهى هنا يراد به الهرة الوحشية ، فلا يصح بيعها لعدم الانتفاع بها ، إلا على وجهٍ ضعيفٍ فى جواز أكلها ، أو المراد له النهى التنزيه لا التحريم. ويقول الدميرى فى كتابه: "حياة الحيوان الكبرى": إذا كانت الهرة ضارية بالإفساد فقتلها إنسان فى حال إفسادها دَفْعًا جاز ولا ضمان عليه ، كقتل الصائل

دفعاً ،وينبغى تقييد ذلك بما إذا لم تكن حاملاً ، لأن فى قتل الحامل قتل أولادها ولم تتحقق منهم جناية. وأما قتلها فى غير حالة الإفساد ففيه وجهان ، أصحهما عدم الجواز ويضمنها. وقال القاضى حسين: يجوز قتلها ولا ضمان عليه فيها ، وتلحق بالفواسق الخمس فيجوز قتلها ، ولا تختص بحال ظهور الشر. وكلام الدميرى فى مسألة خطف هرة لحمامة أو غيرها وهى حية. لكن لو حدث من الهرة إفساد آخر بخطف الطعام أو التبرز على الفراش أو فى مكان هام ، واعتادت ذلك على الرغم من مطاردتها فلا وجه لتحريم قتلها ، لأنه من باب دفع الضرر ، مثلها في ذلك مثل الكلاب الضالة المؤذية).هـ. ومن هذه المقدمة إلى نص القصيدة في الإشادة بخلق (شذى الزهر) ورقتها ورحمتها بالحيوان! فلنطالع إذن ما منّ الله تعالى علينا به في ذلك!)

بُـــــورِكَ الجهـــــد المُعَنـــــى والوفـــــا ... عنـــدما طبّقـــتِ هـــديَ (المصـــطفى)!

ضـــوعفَ الأجـــرُ المرجّـــى يـــا (شـــذى) ... إنـــــه لـــــولا الرجـــا مـــــا ضُـــوعِفا

فـــــزتِ إذ أنقـــــذتِ أشـــــقى هـــــرةٍ ... حالهـــــا يبـــــدو كمـــــا المُستضـــــعف!

قيّـــــدتْ ، فاستأســـــرتْ ، فاستســـــلمتْ ... ولـــــذا عانـــــت مَصـــــيراً مُجْحفـــــا

أوهـــــنَ الأولادُ ظلمـــــاً عزمَهـــــا ... مـــــا بـــــدا منهـــــا يُضـــــاهي مـــــا اختفـــــى

أرهقوهـــــا بالمآســـــي ليـــــتهم ... رحمـــــوا جســـــماً - إلـــــى الحســـــنى - هفـــــا

كـــــم أذاقوهـــــا بلايـــــا هـــــزلهم ... وأنالوهـــــا العـــــذابَ المُقرفـــــا!

كـــــم أذلوهـــــا ، وكـــــالوا جَـــــورَهم ... جهـــــرة جَمْـــــعٌ ، وجمـــــعٌ فـــــي الخفـــــا

فصـــــبيٌ ضُـــــفرتْ أشـــــطانُهُ ... وعلـــــى الخنـــــق صـــــبي أشـــــرفا

وصـــــبيٌ أشـــــهرَ الســـــوط لهـــــا ... وصـــــبيٌ – للتســـــلي - خطرفـــــا

وصـــــبيٌ بحُصِـــــي خصّـــــها ... وهْـــي تـــأبى – فـــي الـــبلا – أن ترجُفـــا

ربمـــــا أغـــــراهُ رجْـــــفٌ إذ رمـــــى ... فاشـــــتهى هـــــذا الفتـــــى أن يُردِفـــــا

وأتتْهـــــا نجـــــدة ميمونـــــة ... واســـــتطاعتْ بأسَـــــها أن تكشِـــــفا

أنقـــــذتْها مـــــن حِمـــــام مُحْـــــدق ... لـــــم تجـــــدْ منـــــه بتاتـــــاً مَصـــــرفا

يـــــا (شـــــذى الزهـــــر) لقـــــد أكرمتِهـــــا ... بـــــدفاع عَـــــز عـــــن أن يُوصـــــفا

ســـــاقكِ الله إليهـــــا نجـــــدة ... تبـــــذلُ المعـــــروفَ يَحـــــدوها الوفـــــا

كـــــاد أن يُغشـــــى عليهـــــا حســـــرة ... والشـــــذى فـــــاح فوافاهـــــا الشـــــفا

لكـــــن الصـــــبيانُ غـــــالى طيْشُـــــهم ... فـــإذا الحلـــوى تُهـــدّي مـــن جفـــا

و(شـــذى الزهـــر) اصـــطفتْها جـــارة ... إيـــه يـــا عصـــماءُ! طـــابَ الإصـــطِفا!

رقـــة فـــي القلـــب ســـام وَصـــفُها ... وضـــميرٌ مُخبـــتٌ عَـــذبُ الصـــفا

وشـــعورٌ مُرهـــفٌ يُفضـــي إلـــى ... نبـــل أخـــلاق عـــلا واستشـــرفا

يا(شـــذى الزهـــر) بـــكِ الشـــعرُ شـــدا ... يـــا نشـــيداً حقـــه أن يُعزفـــا

يـــا قصـــيداً نـــورُهُ مـــن أحـــرفٍ ... بـــارك المـــولى الســـنا والأحرُفـــا

فـــاقبلي منـــي التحايـــا غضـــة! ... واقبلـــي الإطـــراءَ ظِـــلاً مُورفـــا!

مُنتهـــى جهـــدي قصـــيدٌ مُـــورقٌ ... صَـــوّرَ الحـــق ، وجَـــافى الزخرفـــا

رب كـــافئ مـــا أتـــتْ مِـــن صـــالح ... لـــم تُـــرد يومـــاً بـــه أن تُعرفـــا!

المنتقبة واليتيمتان!

(شعورٌ نبيلٌ جداً إكرامُ اليتيم والإحسانُ إليه! وإنها لعبادة مفتقدة عند الكثيرين في زماننا! فأما منتقبة قصيدتنا المحسنة إلى اليتيمتين ، فقد ضربتْ عصفورين بحجر واحدٍ: فأما العصفور الأول فاشترتْ أمومتها بلا مقابل ، وأما الثاني فأكرمتْ يتيمتين لا عائلَ لهما حسبة لله تعالى! فلقد ابتُليتْ هذه المنتقبة بابتلاءين في غاية الشدة! وصبرتْ واحتسبتْ! فعوّضها الله تعالى خيراً وثباتاً في دين! فأما الابتلاء الأول فكونها عاقراً! واجتهدتْ في التداوي والعلاج على أرقى مستوى ، وعند أمهر الطبيبات ، ولكنها إرادة الله تعالى! فصبرتْ ورضيتْ بما قسمه الله تعالى لها! ونصحتْ زوجها بأن يتزوج من أخرى ، رجاء أن يرزقه الله الولد منها ، فأبى وقال: حُبي لكِ لا يُطاوعُني بأن تكون لك ضُرة ولو كانت صالحة! واستمر الأمرُ على ذلك سنين إلى أن جاء الابتلاء الثاني ، ألا وهو موتُ زوج أختها الصغرى الوحيدة التي تصغرُها بعقدٍ من السنين! وعندها بنتان: الأولى لها ثلاث سنوات والثانية لها خمس سنوات! وبعد انقضاء عِدتها ، لاح لها في الأفق زوج (عريس) ، ولكن ما الحل في هاتين البنتين اليتيمتين؟ هل يضمهما له مع أمهما كما كان الصحابة يفعلون وهو مَحرمٌ أبديٌ لهما متى دخل بأمهما! لأن القاعدة الفقهية تقول بأن الدخول بالأمهات يُحرّم البنات؟! هل يفعل هذا؟ أم أن العُرف الجاهلي السائد يمنع ذلك ، حيث يجعل من أولاد المطلقة أو المتوفى عنها زوجها دراكولا سيأكل الزوج وسيحول البيت إلى جحيم؟ لقد غلبه العرفُ والتقليدُ والهوى للأسف ، وقالها صريحة: لقد عزمتُ على الزواج منكِ ، لا من بُنيتيك! وإذن فماذا تفعل الأم؟ لقد كانت حيرة كبرى! فأمها ميتة ، وأخواها الكبيران: كل مشغولٌ ببيته وأولاده ، وما أبدى واحدٌ منهما أي اقتراح لحل المشكلة الآنية! وهنا اقترحتْ عليها أختها الكبرى العاقر أن تكفيها مؤنة ابنتيها ، وذلك بأن تضمهما إليها ، وتأخذهما عندها ، وتتكفل بتربيتهما ، وترعاهما حسبة لله تعالى! فتصبح بذلك أماً ونعم الأمهات ، وخالة ونعم الخالات! واستأذنتْ زوجها فوافق على الفور! فكانت فكرة رائعة وسُرّ الجميع بذلك ، وملأتِ البنتان فراغ الخالة الأم وحلتا مشكلة الأم بمُكثهما عند خالتهما! والخالة أم كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم -. وتحت عنوان: (كفالة اليتيم : فضلها وصورها) وفي أرشيف إسلام أون لاين كانت هذه الكلمات: (إن كفالة اليتيم من الأمور التي حث عليها الشرع الحنيف ، وجعلها من الأدوية التي تعالج أمراض النفس البشرية ، وبها يتضح المجتمع في صورته الأخوية التي ارتضاها له الإسلام. على أنه لا بد أن يُتنبه أن كفالة اليتيم ليست في كفالته مادياً فحسب ، بل الكفالة تعني القيام بشؤون اليتيم من التربية والتعليم والتوجيه والنصح ، والقيام بما يحتاجه من حاجاتٍ تتعلق بحياته الشخصية من المأكل والمشرب والملبس والعلاج ونحو هذا. يقول فضيلة الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة - أستاذ الفقه وأصوله بجامعة القدس بفلسطين -: كفالة اليتيم من أعظم أبواب الخير التي حثت عليها الشريعة الإسلامية! قال الله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ). وقال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا). ووردت أحاديث كثيرة في فضل كفالة اليتيم والإحسان إليه ، منها: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما). رواه البخاري. قال الحافظ ابن حجر في

شرح الحديث: [قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ، ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك] ، ثم قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى ، وهو نظير الحديث الآخر: (بعثت أنا والساعة كهاتين) الحديث. وقال الحافظ أيضاً: [قال شيخنا في شرح الترمذي: لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة ، أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو منزلة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكون النبي صلى الله عليه وسلم شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً ، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ، ولا دنياه ، ويرشده ، ويعلمه ، ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك أهـ ملخصاً] فتح الباري. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من ضم يتيماً بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة]. رواه أبو يعلى والطبراني وأحمد مختصراً بإسناد حسن. كما قال الحافظ المنذري. وقال الألباني صحيح لغيره. انظر صحيح الترغيب والترهيب. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ يشكو قسوة قلبه؟ قال: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك ، يلن قلبك وتدرك حاجتك). رواه الطبراني ، وقال الألباني حسن لغيره. انظر صحيح الترغيب والترهيب. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر) رواه البخاري ومسلم ، وغير ذلك من الأحاديث. وكفالة اليتيم تكون بضم اليتيم إلى حجر كافله أي ضمه إلى أسرته ، فينفق عليه ، ويقوم على تربيته ، وتأديبه حتى يبلغ ؛ لأنه لا يتم بعد الاحتلام والبلوغ ، وهذه الكفالة هي أعلى درجات كفالة اليتيم! حيث إن الكافل يعامل اليتيم معاملة أولاده في الإنفاق والإحسان والتربية وغير ذلك ، وهذه الكفالة كانت الغالبة في عصر الصحابة ، كما تبين لي من استقراء الأحاديث الواردة في كفالة الأيتام ، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يضمون الأيتام إلى أسرهم. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تصدقن يا معشر النساء ، ولو من حُليكن) قالت: فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة فأتِهِ فاسأله ، فإن كان ذلك يجزي عني ، وإلا صرفتُها إلى غيركم! قالت: فقال لي عبد الله: بل ائتيه أنت! قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتي حاجتها قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة! قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن امرأتين بالباب ، تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما ، وعلى أيتام في حُجورهما ، ولا تخبره من نحن قالت: فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هما؟ فقال : امرأة من الأنصار ، وزينب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الزيانب؟ منهما؟ قال: امرأة عبد الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهما أجران أجرُ القرابة وأجرُ الصدقة). رواه البخاري ومسلم. والشاهد في الحديث: (وعلى أيتام في حجورهما). وعن عمارة بن عمير عن عمته ، أنها سألت عائشة رضي الله عنها: في حجري يتيم أفآكل من ماله؟ فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وولده من كسبه). رواه أبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن. وتكون كفالة اليتيم

أيضاً بالإنفاق عليه ، مع عدم ضمه إلى الكافل كما هو حال كثير من أهل الخير الذين يدفعون مبلغاً من المال لكفالة يتيم يعيش في جمعية خيرية أو يعيش مع أمه أو نحو ذلك ، فهذه الكفالة أدنى درجة من الأولى ، ومن يدفع المال للجمعيات الخيرية التي تعنى بالأيتام يعتبر حقيقة كافلاً لليتيم وهو داخل إن شاء الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا). قال الإمام النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة) كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه ، أو من مال اليتيم بولاية شرعية. وأما قوله: وله أو لغيره فالذي له أن يكون قريباً له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه ، والذي لغيره أن يكون أجنبياً] شرح النووي على صحيح مسلم. وكفالة اليتيم المالية تقدر حسب مستوى المعيشة في بلد اليتيم المكفول بحيث تشمل حاجات اليتيم الأساسية دون الكمالية ، فينبغي أن يتوفر لليتيم المأكل ، والمشرب ، والملبس ، والمسكن ، والتعليم بحيث يعيش اليتيم حياة كريمة ، ولا يشعر بفرق بينه ، وبين أقرانه ممن ليسوا بأيتام . ولا بأس أن يشارك أكثر من شخص في كفالة اليتيم الواحد. انتهى. وتحت عنوان: (الإسلام وإكرام اليتيم) يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه ما نصه بتصرف زهيد: (الإحسان إلى اليتيم خلق إسلامي رفيع حثنا الإسلام عليه وندبنا إليه ، بل وجعله من أفضل الأعمال وأزكاها قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ). ولقد جاء الإسلام واليتيم ليس له حظ في الحياة فأمر بإكرامه والإحسان إليه ، حينما هاجر المسلمون إلى الحبشة وأرادت قريش إرجاعهم ، وقف جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، أمام النجاشي ملك الحبشة يشرح له محاسن الإسلام وأخلاقياته السامية فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ ، لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّيَامِ . أخرجه أحمد وابن خزيمة. ولقد أكد القرآن الكريم على حقيقة الإحسان إلى اليتيم ، وعدم الاعتداء على ماله ، قال تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ". وقال: "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا". وجعل الإسلام من السبع الموبقات التي توبق صاحبها وتدخله نار جهنم (أكل مال اليتيم) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ

مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ). أخرجه البخاري ومسلم. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) وَ(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) قَالَ: اجْتَنَبَ النَّاسُ مَالَ الْيَتِيمِ وَطَعَامَهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ) إِلَى قَوْلِهِ (لأَعْنَتَكُمْ). أخرجه أحمد وأبو داوود. ومن هنا يتبين لنا كيف هو حرص شريعتنا على الاهتمام باليتيم ، ورعايته كأنه أحد أبنائنا ، قال الشاعر:

لا تنتهب مال اليتامى ظالماً * * * ودع الربا ، فكلاهما فسقان!

وحذر القرآن من إهانة اليتيم وأذاه بأي نوع من الاهانة والأذى ، قال سبحانه: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى". وأكد القرآن كذلك على أن الله تعالى يحفظ حق اليتيم ويبقى صلاح الوالدين له بعد الممات ، قال تعالى: "وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً". كما أكد على أن إكرام اليتيم سبيل إلى الفوز بالجنة ، قال تعالى في وصف المؤمنين المتقين: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا". ولقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة من أولى الحقوق بالرعاية والعناية ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: حَقَّ الْيَتِيمِ ، وَحَقَّ الْمَرْأَةِ. أخرجه النسائي في "الكبرى" والألباني في "السلسلة الصحيحة". وكذا جعل صلى الله عليه وسلم خير البيوت البيت الذي فيه يتيم يكرم وشرها البيت الذي فيه يتيم يهان ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ، وَهُوَ يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ. أخرجه "البُخاري" في "الأدب المفرد" و"ابن ماجة"! وأنا في هذه القصيدة أصفُ شعور الخالة ، عندما ضمتْ إليها بنتي أختها اليتيمتين البائستين! فأنشدتُ شعراً أحكيهِ على لسانها! فلقد سعدتْ بالنتين أيما سعادة ، وامتلأ بيتها بشْراً وسعادة وفرحة لا وصف لها!)

بكمـــــا قلبـــــي تخطـــــاهُ الضـــــجرْ واحتـــــوتْ نفســـــي أهـــــازيجُ الســـــمرْ

وابتهجـــــتُ رغـــــم لأواء الجَـــــوى وانتشـــــتْ روحـــــي ، وباتـــــتْ تبتشـــــر

أنتمـــــا أنـــــسٌ يُسَـــــلي عيشَـــــنا وحُبـــــورٌ نســـــتقي منـــــه العِبَـــــر

أنتمـــــا خيـــــرٌ بـــــدتْ آياتُـــــه ... وتباشـــــيرٌ إليهـــــا نفتقـــــر

أنتمـــــا دنيـــــا علينـــــا أقبلـــــتْ ... عـــن حِمانـــا تـــدفعُ - اليـــومَ - الكـــدر

أنتمـــــا فجـــــرٌ زهـــــتْ أنـــــوارُهُ ... فـــي ليـــال لـــم يُنوّرْهـــا القمـــر

أنتمـــــا شـــــمسٌ أضـــــاءتْ بيتنـــــا ... فغـــــدونا - بضـــــياها - نفتخـــــر

إيـــهِ يـــا نفـــسُ افرحـــي ، واستبشـــري ... قيـــدُ بُؤســـاكِ – مـــن الســـعد - انكســـر

خالـــــة كانـــــتُ ، وأمـــــاً أصـــــبحتْ ... كيـــــف؟ قلـــــتُ: ذا قضـــــاءٌ وقـــــدر!

أنتمـــــا بنتـــــايَ ، هـــــذا مطمحـــــي ... أنتمـــــا قلبـــــي ، وســـــمعي ، والبصـــــر!

لكمـــــا أمّـــــان: أمٌ أنجبـــــتْ ... ثـــــم أمٌ ظـــــلَ طفـــــل تنتظـــــر!

رحَـــــلَ اليُـــــتْمُ ، فـــــلا تستيئســـــا ... أُهجـــــرا الكـــــربَ مَليـــــاً ، والضـــــجر

أرســـــلا - للعـــــيش - أحلـــــى نســـــمة ... مـــــا اســـــتوى فـــــرحٌ وحـــــالٌ مُعتكـــــر

ودّعـــــا بُؤســـــاً يُـــــدني عيشـــــكم ... واعقـــــدا العـــــزمَ علـــــى حُـــــب الظفـــــر!

لكمـــــا بيتـــــي مَـــــلاذ آمـــــنٌ ... فاقطفـــــا مـــــن دُوحـــــه أشـــــهى الثمـــــر!

وانعمـــــا بـــــالعيش حلـــــواً هانئـــــاً ... واطرحـــــا الإرجـــــافَ أرضـــــاً ، والحـــــذر

رب باركْهـــــا حيـــــاة عذبـــــة ... وفـــــقَ منهـــــاج المليـــــك المقتـــــدر!

المنتقبتان الضرّتان!

(ما أجمل التفاهمَ والتحابَ والمودة بين الضرّتين! إنه ليس أحلى من طرْح العداوة والبغضاء جانباً ، لتسود حياة عائلية طيبة كريمة ، وفق المنهج الرباني ، مع مراعاة تحقيق العدل والمساواة بين الزوجتين! تلك المَزيّة التي يغفل عنها كثيرٌ من المعددين للأسف! تزوج هذا الرجل بامرأة مؤمنةٍ حشيمة ميسورة منتقبة ، ولكنها كانت من عوام المؤمنات! وللأسف زوجُها لم يسع في تثقيفها ولا توعيتها ، واستمرتِ الحياة إلى أن تزوج عليها بلا مقدماتٍ ولا تمهيد! ولكن زوجه الثانية كانت من خواص المؤمنات الحشيمات المنتقبات ديناً وعلماً وحشمة ودعوة! وقال لها زوجها بأنها ستخوض حرباً ضروساً مفتوحة مع زوجه الأولى ، لأن بضاعتها في الشرع بضاعة مزجاة ، ويضاف إلى ذلك غيرتها الشديدة وحبها المفرط لزوجها! ولكن الزوج الثانية قالت له في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: سيهدي الله قلبها على يدي! ولا عليك منها دعها لي! ولما علمتِ الزوج الأولى بزواج زوجها عليها طلبت الطلاق على الفور الأمر المعهود والمعروف عند المتسرعات والمتهورات! وبعد محاوراتٍ ومداوراتٍ التقت الزوجتان ، وكان الأخذ والرد ، والحلم والطيش ، والجد والهزل ، والمد والجزر ، حتى هدى الله قلب الأولى ، وقبلت بالثانية أختاً لها في الله ، ومعلمة ومعينة على الحق! وتسكنان بيتاً واحداً. ولهذي ليلة ولتلك أخرى ولله الحمد! فلا ريب أبداً في أنه ينبغي أن يكون شأن المرأة مع ضرتها ، على أساس من التعامل الحسن ، فهي أخت لها في الإسلام على أي حال وفي أي منطق وحسْب أي اعتبار ، وتجمع بينهما مصلحة مشتركة ، ولكن لا يستغرب في الوقت ذاته أن تنتاب المرأة الغيرة على ضرتها ، فتسيء معاملتها ، أو يصدر منها تصرف لا ترتضيه الأخرى! هذا واد عليعا بالطبع والفطرة والجبلة! ومن هنا ؛ فالصبر من خير ما يُتسلى به في مثل هذه المواقف ، وفي الصبر خيرٌ كثير ، وفضائل جمة ، ونصيب صاحبة النوبة من زوجها المبيت عندها ليلًا ، ويدخل النهار تبعًا له ، وقد منع الفقهاء الزوج من الدخول على المرأة في ليلة الأخرى لغير ضرورة ، أو في النهار لغير حاجة ، فإن وجدت ضرورة للدخول عليك ليلًا ، أو حاجة للدخول نهارًا ، فليس من حق زوجته تلك منعه من ذلك. وفي المقابل ؛ ليس من حقك التواصل مع زوجك وهو عندها ، إن لم تدع لذلك ضرورة ، أو حاجة! ولا بأس بأن يأتي إلى بيتك ليأخذ أولاده إلى المسجد ، أو المدرسة ، وأما دخوله عليك ، فالحكم فيه ما سبق! وإن كان زوجك وعدك بقضاء العيد معك ، ومع أولادك ، فينبغي أن يفي لك بذلك ما أمكن ، فالوفاء بالوعد مستحب على الراجح من أقوال الفقهاء ، وإن صادف يوم العيد نوبتك ، فمبيته عندك حق لك، كما أنه إذا صادف نوبتها كان الحق لها! وتحت عنوان: (كيف أتعامل مع ضرتي وكيدها لي؟) تقول الأستاذة مروة يوسف عاشور ما نصه بتصرف: (ورد في "صحيح مسلم: "أنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (ولا تسأل المرأة طلاقَ أختها ؛ لتكتفِئ ما في إنائها ، أو ما في صحْفَتها). فلستُ أدري لِمَ تصرُّ بعضُ الزوجات المسلمات على هذا الفعْل؟! ولِم تعميها نارُ الغيرة عن إنصاف تلك المرأة التي لا ذنبَ جنتْه يداها ، ولا ظلم اقترفتْه في حقِّها؟! قد يكون الزوج سببًا في هذا البغض للضرة ؛ بتهديد زوجته بالزواج عليها ، وأنَّ القادمة سيكون لها كذا وكذا ، قد يكون المجتمع والبيئة لهما أثرٌ كبير. وقد يكون الإعلام الفاسد له الدور الأعظم والذنب الأكبر ، لكن المحصّلة واحدة! ظُلمٌ يقع على إحدى الزوجتين ، وسوء تصرُّف من الزوج ، والله ـ تعالى ـ قد قال لهم: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا). يظنُّ الزوج المسكين أنه إنْ جعلَ مسكن الزوجة السعيدة الجديدة قريبًا

من الأولى ، فإنَّ ذلك سيكون سببًا لراحته وسهولة التواصُل والتوفيق بين البيتين ، هيهات هيهات! فكيد النساء يقفُ له بالمرصاد ، وعقل زوجتِه السابقة يخطط ويعد العُدة له للزوجة الجديدة ، ولكل من سوَّلتْ له نفسُه بموالاتهما! أقترحُ عليك أيها الزوج باختصار أن تجعل مسكنًا أبعدَ من هذا ، وكلما بَعُدَ المسكن كان أفضل لك وللزوجتين! أعلم أنَّ الألم شديدٌ والضغط يزيد ، لكن نحن الآن نحاول إنقاذَ ما يمكن إنقاذه ، فسنحتاج لصبرك وتفهُّمك ، وبعض الذكاء الذي حباكِ الله به. ولو تأمَّلْنا في حياتنا لوجدْنا بها من السلبيَّات والإيجابيَّات الشيء الكثير ، فكيف نتعامل مع هذه الأمور؟ وكيف نوظِّف الجميعَ لصالحنا؟ يكون ذلك بالنظر إلى الإيجابيَّات وتجاوز السلبيَّات ، ومحاولة القضاء عليها أو التغاضي عنه! أولاً: اعلمي يا كل زوجة تزوج عليها زوجها أن ما أصابك لم يكنْ ليخطئك ، وما أخطأكِ ، لم يكن ليصيبك ، وكلُّ هذا قد كتبَه الله عليك قبل أن تُولَدي ؛ يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إنَّ أحدَكم يُجمع خلقه في بطن أُمِّه أربعين يومًا ، ثم يكون عَلَقة مثل ذلك ، ثم يكون مُضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله مَلَكًا فيؤْمَر بأربعة: برزقه ، وأجَله ، وشَقِي أو سعيد...) ؛ مُتفق عليه! ثانيًا: أنتِ مأْجورة على كلِّ هَمٍّ وحزن وغَمٍّ وصبرٍ على زوجكِ ، فتذكُّرك لهذا قد يخفِّف الألَمَ على نفسك ، ويهوِّن الثِّقَل على قلبك ؛ ورَدَ في الحديث: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها) ؛ رواه البخاري! فاحْمَدي الله أنِ ابتلاك ليعافيك ، وأصابك ليضاعف لك الأجر ، وتذكَّري أنَّ هذه الدنيا وإنْ طالتْ أيامُها ، فهي قصيرة وهي عند الله حقيرة ؛ (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ). فذريهم وما يفعلون ، وتوجَّهي إلى الله بالدعاء أنْ يرزقَك الصبرَ وينصرك على الظالمين. ثالثًا: سلي نفسَك بصراحة: لماذا تزوَّجك زوجك؟ لا شكَّ أنه وجدَ عندك ما لم يجده عندها ، فتصبَّري بهذا الشعور واسْعَدي به ، واستزيدي من العطاء وإظهار محاسنك الخُلقيَّة والخلقية له ، وساعديه على تجاوز المشكلات بدلاً من خوض الجديد منها معه ، وتذكَّري ذلك وقتَ وقوع الشجار بينكما ، فتوقَّفي حينها وقولي: لماذا تزوَّجني؟ فهلاَّ كنتِ له خير مُعين على نوائب الدهر ، وخيرَ رفيق وقتَ الحاجة؟ رابعًا: لماذا تتصرَّف زوجته على هذا النحو؟ الغيرة ولا سواها ، أليس كذلك؟ فهذه المرأة مستحقة للنظر إليها بعين الشفقة والعطف ، تملكتْها الغيرة حتى أعمتْها عن الحقِّ! فيكون إذًا ما عليك أن تسلكيه معها هو امتصاصُ تلك الغيرة ، ومحاولة إقناعها أنَّها الأولى والأخيرة في حياته ؛ سواء كان ذلك عن طريق بناتها أم أبنائها أم الزوج نفسه ، أم أي وسيلة تَرَيْنها مناسبة ، لكن ما نريده أن تستشعرَ تلك الزوجة ـ والأفضل لو تعاملينها معاملة المريضة ؛ حتى لا يمتلئ قلبُك عليها حقدًا ـ أنها الأولى والأخيرة في حياته ، وأنه يذْكرها ليلاً ونهارًا ، وأنه لا يكاد يسعد في بيتك ، وقد يسهل إقناع امرأة في مثْل عُمْرها بشيءٍ من هذا! فجرِّبي أن تعقدي معه جلسة محاورة ، فتُحَدِّثيه فيها عن معاناتك ، وتطلبي أن يعاونك على هذا ؛ لتجنُّب سخطها والهرب من خططها ، فمشاركته لك في هذه الخطة سيفيدك كثيرًا إن شاء الله! خامسًا: اشغلي نفسَك ووقتك بكلِّ نافعٍ ومفيد ، وطوِّري من نفسك ، واستغلي فراغَك ووحدتك في التسلُّح بالعِلم ، وخير مُعين على ذلك التأمُّل في كتاب الله ، وقدرته وعجيب صُنْعه ، تأمَّلي قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وقعَ الظلم عليه من إخوته ، والظلم من القريب يكون أشدَّ ألَمًا ، وأعمق أثَرًا ؛ (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) ، ثم تعرَّض لمواقف

وشدائد عظيمة ، لكن في النهاية كان له النصرُ من الله! كيف تعامَلَ يوسف مع تلك المِحَن المتتالية؟ كان يعمل ولم يَصُده كلُّ ما تعرَّض له عن ذِكْر الله والدعوة لعبادته ، حتى في أَحْلَك المواقف وهو داخل السجن ، تأمَّلي في كتاب الله ستجدين ما يثلجُ صدرَك ويقوِّي عزيمتك!

سادسًا: استغلي صِغَر سنِّك وقدرتك على الدلال ، وكسب رضا زوجك ، وأسْر قلبِه ، ولا تفتحي مجالات التشاحُن بينكما ، ولا تُكْثري من الشكوى منها أو من بناتها أو من الوحدة ، وتسلَّحي بالصبر ، حتى يأذن الله بالفرج ؛ إنَّ الفتاة في عُمْرك لها قدرة على كسْب مودة الزوج الكبير بسهولة ، فجرِّبي أن تعامليه معاملة خاصة ؛ ليجدَ عندك ما لا يجده في مكانٍ آخرَ ، ولا تجعلي فكرة السِّحْر تسيطر عليك ، فتصدَّك عن فِعْل الخير ، فقط تسلَّحي بالأذكار الشرعيَّة ، واستعيني بالله ، وتوكَّلي عليه ، ورد في "صحيح البخاري" قول النبي – صلى الله عليه وسلم: (مَن قال: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير ، في يومٍ مائة مرة ، كانتْ له عدْل عشر رقاب ، وكُتبتْ له مائة حسنة ، ومُحيتْ عنه مائة سيئة ، وكانتْ له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمْسي ، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به ، إلا رجل عمل أكثرَ منه). في النهاية أؤكِّد على أهمية تغيير المسكن وإبعاده عنها ، فحاولي إقناع زوجك بهذا).هـ.

وإذن فالغيرة من الزوجة الثانية أمر وارد جداً! وأصلاً تعدد الزوجات في الإسلام شُرع أولاً لمصلحة المرأة لا لمصلحة الرجل ، ولكن جهل بعض الرجال بحكمة التعدد جعلهم يُعدِّدُون دون مبرر مشروع ، ومع هذا ففطرة المرأة ترفض أن يكون لها شريك في زوجها ، وتضيق كل الضيق بهذا ، ولكن المرأة المؤمنة تدرك أن شرع الله لا يجوز الاعتراض عليه. فما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. وغيرة المرأة من الزوجة الثانية أو الثالثة أمر معروف منذ القدم ، ولنا في حياة رسول الله عبرة وعظة ، فقد كانت هناك غيرة بين زوجاته ، وفي موقف السيدة عائشة من إطراء الرسول صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة ، وهي في قبرها ما يدل على أن المرأة تغار من ضرتها ، حتى ولو كانت قد رحلت عن دنياها. ولهذه نوصي كل مسلمة بأن تؤمن بأن زوجها إذا كان قد تزوج عليها لأمر مشروع فعليها أن تعتصم بالصبر والرضا ولها في ذلك أجر ، وأن تؤمن بأن الحق تبارك وتعالى حينما شرع التعدد لم يكن يجامل الرجال على حساب النساء حاش لله! إن رب العالمين لا يجامل أحداً! وإنما كان يريد للأمة أن تحيا حياة فاضلة لا تعرف فساداً في الأخلاق. ونود أن نقول: إن المرأة لا ينبغي أن تكون أنانية ، فترفض أن تعيش معها امرأة أخرى ؛ لأن ظروف المجتمع القاهرة قد تفرض التعدد ، وخاصة في أعقاب الحروب وموت الشباب أو إذا زادت نسبة مواليد النساء عن الرجال في بعض المجتمعات ، فالمرأة خيرٌ لها أن تعيش مع نصف رجل أو ربع رجل ، من أن تظل طول حياتها بلا رجل ، فذلك مدعاة لكثير من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية! وغيرة المرأة من ضرائرها ـ كما أسلفنا ـ أمر جبلت عليه ، وهو غير مكتسب ، ولذا فإنها لا تؤاخذ عليه إلا أن تتعدى ، وتقع بسبب الغيرة فيما حرم الله عليها من ظلم أختها ، فتقع في غيبة أو نميمة ، أو تؤدي بها غيرتها إلى طلب طلاق ضرتها أو الكيد لها وما شابه ذلك. والغيرة تغيُّر القلب ، وهيجان الغضب ؛ بسبب الإحساس بمشاركة الغير فيما هو حقٌّ الإنسان ، فهي حمية شديدة تشتعل في النَّفس لمزاحمة الآخرين لها في شيء تحبه ، وتحمل صاحبَها على ما لا يليق ؛ من الأقوال ، والأعمال. وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، وما من خُلق إلَّا وله طرفان ووسط ، والغيرة المعتدلة من الأخلاق المحمودة في الإسلام ، بل من منازل: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وأصل

الغيرة غير مكتسب للنساء ، لكن إذا أفرطت في ذلك بقدر زائد عليه تُلام ، وضابط ذلك ما ورد في الحديث عن جابر بن عتيك الأنصاري رفعه: «إن من الغيرة ما يحب الله عز وجل ، ومنها ما يبغض الله عز وجل ، فأما الغيرة التي يحب الله عز وجل فالغيرة في الريبة ، وأما الغيرة التي يبغض الله عز وجل فالغيرة في غير ريبة» ، فالغيرة منهما -أي: من الزوج والزوجة - إن كانت لما في الطباع البشرية التي لم يسلم منها أحد من النساء ، فتعذر فيها ، ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل ، وعلى هذا يحمل ما جاء من السلف الصالح عن النساء في ذلك. وقال ابن مفلح: قال الطبري وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك! وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله شرحًا لحديث كسر عائشة لإناء إحدى ضرائرها: وقالوا: أي جميع من شرحوا الحديث: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها ، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة ، وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعًا: (أن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه). وإذن فالاعتدال مطلوب ومنشود! تغار المرأة من ضُرتها ، تلك فطرة الله التي فطر النساء كل النساء عليها! ولكنها الغيرة المعقولة التي تراعي حدود الله تعالى وتحترم تشريعه وتقبل به! فلا ينبغي على أي من الضرتين أن تدفعها الغيرة العمياء الرعناء لأن تحدث الضرر بأختها في الإسلام قبل أن تكون زوجة ثانية أو أولى! فلا ينبغي أن تكون الغيرة سبيلاً إلى الفرقة والتفكك والذل والشقاق! ألا إن الزوجة الثانية أخت لها ولزوجها في الله والإسلام!)

مُـــدِّي لضُـــرتكِ العَســـراء يُمنـــاكِ ... وجَنبيهـــا الـــذي تُمليـــهِ طغـــواكِ

أتيـــتُ ضَـــيفة دار أنـــتِ رَبتُهـــا ... فأكرمِيهـــا ، وخُصّـــيها برُحْمـــاك

أتيـــتُ أبسُـــط كَـــفّ الصـــفح راجيـــة ... منـــكِ الـــوداد يُحَلـــي عَـــذبَ لقيـــاك

أتيـــتُ ، والكـــلُ جَـــافَوْني بـــلا ســـبب ... وقـــد عـــدمتُ نســـاءَ الحَـــيّ إلاك

أتيـــتُ ضُـــرة خيـــر لا تريـــدُ سِـــوى ... أن تســـتجيب لمَـــا تُمليـــه شـــكواك

أتيـــتُ أحمـــلُ أســـفاري ومِحبرتـــي ... وفـــي يَســـاري كمـــا تـــرين مِحراكـــي

أتيـــتُ أهـــديك عِلمـــاً لا حُـــدودَ لـــهُ ... مِـــن سُـــنة (المصـــطفى) وفضـــل مَـــولاك

أتيـــتُ أنشـــدُ جَمـــعَ الشـــمل مُوقنـــة ... أن يصـــرفَ الله شـــجوانا وشـــجواك

أتيـــتُ يســـبقني عـــزمٌ أتيـــهُ بـــه ... بالحـــب والأنـــس والإخـــلاص ناجـــاك

أتيـــتُ والـــزوجُ وَعّـــاني وناصـــحني ... ببـــدء حـــرب ضـــروس حـــين ألقـــاك

فقلـــتُ: كـــلا ، يَمـــينَ الله أختـــتُ هُـــدى ... وســـوف يُتحفنـــي جَميـــلُ مَـــرآك

وســـوف أســـعدُ إن عاينـــتُ طلعتهـــا ... وقـــد تُبـــادلني الشـــعورَ عينـــاك

أخيتـــي أفصِـــحي عـــن كـــل خـــاطرةٍ ... وأخبـــري مـــا الـــذي يُـــودي بنُعمـــاك

للضـــيف حـــق فكـــوني اليـــوم مُكرمتـــي ... حاشـــاكِ أن تطـــردي الضـــيفانَ حاشـــاك

سِـــترٌ أنـــا وغطـــا ، ولســـتُ غـــادرة ... فصـــارحيي مـــا الـــذي قـــد كـــان أبكـــاك؟

ثِنتـــان نحـــن لـــزوج مـــا أتـــى غلطـــاً ... حتـــى تقـــولي: بهـــذا الفعـــل أرداك

هلمّـــيْ نـــدحضُ حِقـــداً فـــي القلـــوب غلـــى ... فصـــدّقيني بـــأن الحقـــد أضـــناك

هلمـــيْ نطـــوي جراحـــاً لا عـــلاجَ لهـــا ... فقـــد تـــؤدي بنـــا يومـــاً لإهـــلاك

هلمـــيْ نتلـــو كتـــابَ الله ، ندرســـه ... قـــواكِ ربـــي علـــى التجويـــد قـــواك

هلمـــيْ نقـــرأ مـــن حـــديث أســـوتنا ... إن الحـــديث مِـــن الأهـــواء يرعـــاك

هلمـــيْ نرقـــى علـــى حُظـــوظ أنفســـنا ... إن التجـــرد بـــالإخلاص ناجـــاك

ولـــن يكـــون لنـــا بيتـــان قـــد فصِـــلا! ... مـــأوايَ - يـــا أختُ فـــي ذي الـــدار - مـــأواك

وبـــادليني شـــعورَ الحـــب مرتفعـــاً ... عـــن التكلـــف عـــاداني ، وعـــاداك

هـــداكِ ربـــي إلـــى دُروب طاعتـــه ... مُـــدّي إلـــيّ بعهـــد الله يُمنـــاك

الواعظة الصغيرة!

(حارني أمرُ الطفلة (سُمية) والتي تعيش مع أسرتها في إحدى قرى (الإسكندرية) بمصر! حيث اعتادتْ هذه الطفلة الصغيرة الكبيرة أن تذهب إلى الدروس والمحاضرات ، واعتادت أن تنصت وتسأل في الذي لا تعيه! وكانت المسائل على نوعين: نوع تدركه فلا تسأل فيه ، ونوع لا تدركه وإنما هو من شأن المرأة شابة فيما فوق ، فكانت الأم تكتفي بقولها: (عندما تكبرين تعرفين هذه!) واعتادت الفتاة الصغيرة هذي أن تنكر على بنات العائلة المعاصي الظاهرة من تبرج وسفور ومكياج ونمص للحواجب ومصافحة الرجال الأجانب والمزاح المسف مع شباب العائلة وغير ذلك الكثير! والعجيب أن يسألوها عن الدليل فتذكره! فخصصتها بهذه القصيدة! وتحت عنوان: (رسالة إلى ذات النقاب) كانت كلمات من إعداد القسم العلمي بدار الوطن نأخذ منها بتصرفٍ زهيدٍ: (قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من غيرة سعد؟ والذي نفسي بيده ، لأنا أغير منه ، والله أغير مني· فما الذي دهى بعض المسلمين؟! يسمحون لنسائهم بكشف وجوههن أو ترقيق الخمار لأسباب تافهة وبحجج واهية؟! وماذا دهى بعض شبابنا؟ حيث يرضون لنسائهم بلبس البرقع المزركش الشفاف الذي يُجمل المرأة ويُظهر زينتها ، أو النقاب المُترهل المُخالف للسنة الذي يُظهر جمال عينيها ، وقد لا يرضى ولكنه لا يمنعها من ذلك؟ فهل زالت الغيرة من قلوبهم على أعراضهم؟ سئل فضيله الشيخ محمد بن صالح العثيمين: بعض الرجال يسمح لزوجته أو أخته بلبس النقاب ، وينكر على من ينصحها بتغطية وجهها كاملاً؟ فهل يأثم بذلك؟ وبماذا تنصحونه؟ فأجاب فضيلته: "نظراً لما اعتاد النساء عندنا من تغطية الوجه كاملاً وترك النقاب ، ونظراً لما حدث من السماح لهن بالنقاب من التوسع فيه حتى صرن يخرجن الحاجب والوجنة ، ويحصل بذلك شر وبلاء ، فإننا نرى أن ينظر الإنسان إلى المصالح والمفاسد ، ويتجنب ما فيه المفسدة! الغيرة الغيرة يا معشر الأزواج! فأرونا معاشر الأزواج الغيرة على نسائكم ، وامنعوهن من لبس ما فيه فتنة؟ فأنتم مسؤولون عنهن أمام ربكم يوم القيامة ، يوم تسألون عن الأمانات هل حفظتموها؟ وعن الرعية هل رعيتموها؟ فماذا أعددتم للسؤال؟ (الشيخ ابن عثيمين هنا لا يُحرّم النقاب مطلقاً كم يفهم بعض السفهاء البلهاء ، الذين طاروا بفتوى الشيخ في الأمصار والديار ، وافتروا على الله الكذب ، واتهموا الشيخ بِفرية كشف الوجه! أيها البلهاء ويا أيها السفهاء ، إن الشيخ يُقارن في فتواه هذي بين الإسدال الذي يعني ستر الوجه كاملاً ، وبين النقاب الذي يظهر العينين! فاختار الشيخ الإسدال وهو الأفضل ولا شك! فمن أين فهمتم أن الشيخ إذ رفض النقاب أنه يُبيح كشف وجه المرأة المسلمة للأجانب من غير محارمها؟! ألا إن النقاب كان معروفاً على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – ويؤيد ذلك كله قوله – صلى الله عليه وسلم -: (لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين!) وإذن فليكن معلوماً موقف الشيخ ابن عثيمين أيها الحمقى الذين تصطادون في الماء العكر!) والعاقل من وعظ بغيره! لنقرأ معاً فقرة بعنوان: (دمعة غدير) تقول فيها غدير قبل التزامها بالحجاب: كم بكيت لأن فستاني لا يعجب الحاضرات! كم بكيت لأن فريقي المفضل خسر المباراة! كم بكيت لضياع النسخ الأصلية لأشرطة غناء فناني المفضل! كم بكيت لأن تجعيد شعري لم يعجب الحاضرات ، كم بكيت وبكيت.. كدت أنتهي وبكائي لا ينتهي ، كنت أبكي بحثا عن السعادة ، وبينما أنا في دياجير الظلام وصحاري التيه هداني ربي إلى بصيص من النور ساقه إلي عبر شريط إسلامي كان بالنسبة لي نقطة تحول وعلامة بارزة ، أسأل الله أن يحرم

اليد التي قدمته لي على النار. بفضل الله عدت وما أجملها من عودة! وبفضله حييت وما أجملها من حياة! وبفضله بكيت وما أجمله من بكاء! بكيت حسرة وندما على الماضي أيام الغفلة والضياع. دمعه الماضي دمعة ، ودمعة الحاضر دمعة ، لكن شتان بينهما ، دمعة الماضي عذاب وإحباطٍ وحسرةٍ أخشى أن تكون حُجّة علي في الآخرة ، ودمعة الحاضر خشية وسعادة وسمو وأنس أرجو أن تكون سبباً في أن يُظلني الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ويا أسفاه على من عرضن مفاتنهن للرجال في الأسواق وغيرها بحُجة الحرية! ووضعن العباءة على الكتف بحجة الأناقة! ولبسن البنطال والثياب المفضحة مسايرة للموضة! ولبسن النقاب الفاتن بحجة ضعف النظر! ولبسن المُطرز والمزركش من العباءات والخمر الشفافة بحجة وجودها في الأسواق! واستحسن القيطان في أكمام العباءة بحجة أنه أسود... فإلى الله المشتكى!) ثبتنا الله وإياك يا عزيزتي يا غدير! أما (الويكيبيديا) فقد أعطتنا من المعلومات عن النقاب في أمتنا المسلمة وفي غيرها من الأمم ما يجعل الإنسان يحتار وكأنه دخل مغارة علي بابا ماذا يسجل وماذا يترك! معلومات رائعة موثقة تؤيدها الآيات والأحاديث وروايات التاريخ والروايات والقصص والأشعار والأمثال والحكم! ووثقت (الويكيبيديا) كلامها عن النقاب بمجموعة من الصور والوثائق العجيبة! وفيها رد مفحم على من ينكرون (النقاب) ويقصرونه على أمة من الأم دون سائر الأمم! وأراها حجة دامغة لهؤلاء المحرفين الكاذبين! تقول (الويكيبيديا) عن النقاب ما نصه بتصرفٍ كبير وضروري: (النقاب هو قطعة من القماش تغطي به المرأة وجهها باستثناء عينيها ، وغالباً ما يكون أسود اللون. ينتشر النقاب في بعض الأقطار ذات الأغلبية المسلمة كما ترتديه نساء طائفة الحريديم اليهودية في القدس! وغالبًا ما يتم الخلط بين مصطلحي النقاب والبرقع. فالنقاب يغطي الوجه مع ترك العينين مكشوفتين ، ترتديه النساء المسلمات اليوم في العديد من البلدان المختلفة ، بينما يغطي البرقع الجسم بالكامل من أعلى الرأس إلى أخمص القدم ، مع وجود حاجز شبكي يسمح لمن ترتديه بالرؤية ، وعادة ما يوجد فقط في أفغانستان وأحيانًا في آسيا الوسطى. وإذا تطرقنا إلى المعنى اللغوي فكلمة (النقاب) هي كلمة يراد بها التعبير عن ما تغطي به المرأة رأسها وعند بعض فقهاء المسلمين هو ما يتم به تغطية الرأس والصدغين أو العنق كذلك ، وللتفريق بين الحجاب والنقاب يقال بأنَّ الحجاب يقوم بستر كافة جسد المرأة وشعرها ولكن النقاب هو ما تستر به المرأة رأسها ووجهها ، والفرق بين الحجاب والنقاب أن الحجاب ساتر عام أما النقاب ساتر لوجه المرأة فقط. النقاب أيضاً في كثير من الحالات تظهر منه عيون المرأة ، وهناك أنواع أخرى من النقاب التي تشمل توسيع فتحتي العين ومنها ما يظهر الخد والأنف والجبهة. وإذا ذهبنا إلى عصر ما قبل الإسلام فلقد استخدمت أشكال مختلفة من حجاب الوجه منذ عصور ما قبل الإسلام. وعُرف غطاء الوجه والبرقع واللثام عند العرب منذ الجاهلية ، واستمر لما بعد الإسلام ، ومما يدل عليه هو قول الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد الذي لم يُدرك البعث المحمدية عى صاحبها أزكى الصلاو وأتم التسليم:

إن تغذُ في دوني القناع ، فإنني طب بأخذ الفارس المستلئم

والإغداف هو: إرخاء القناع على الوجه ، وأَغْدَفَت المرأَةُ قِنَاعَها: أَرسلَتْه على وجهها!

أما الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني فيقول في بيته المشهور الذي يثبت تغطية وجوه النساء:-

سقط النصيف ولم تُرد إسقاطه فتناولتْه ، واتقتنا باليد

والنصيف كما جاء في معجم لسان العرب هو: ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها كلها ، وسمي نصيفاً لأنه نصف بين الناس وبينها فحجز أبصارهم عنها، قال: والدليل على صحة ما قاله قول النابغة: سقط النصيف ، لأن النصيف إذا جعل خماراً فسقط فليس لسترها وجهها مع كشفها شعرها معنى. أما الرحالة والمؤرخ ابن جبير فقد زار جزيرة صقلية ، ووصف زي النساء المسيحيات في مدينة أطرابنش قائلاً: «وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين: فصيحات الألسن ، ملتحفات ، منتقبات ، خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب ، والتحفن اللحف الرائقة ، وانتقبن بالنقب الملونة ، وانتعلن الأخفاف المذهبة ، وبررن لكنائسهن أو كنسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر. وتذكر الدكتورة هدى درويش في كتابها: "حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية" أن النقاب والبرقع كان معروفاً في الديانة اليهودية ، وتورد نصوصاً عديدة من التوراة تدل على ذلك ، كما تورد نصوصاً عن النصرانية في الحجاب والغطاء. أما قاسم أمين فقد نقل عن لاروس في كتابه: "تحرير المرأة" قوله: «كانت نساء اليونان يستعملن الخمار إذا خرجن ويخفين وجههن بطرف منه كما هو الآن عند الأمم الشرقية. ترك الدين النصراني للنساء خمارهن وحافظ عليه عندما دخل في البلاد فكن يغطين رؤوسهن إذا خرجن في الطريق وفي وقت الصلاة. وكانت النساء يستعملن الخمار في القرون الوسطى ، خصوصاً في القرن التاسع فكان الخمار يحيط بأكتاف المرأة ويجر على الأرض تقريباً. واستمر كذلك إلى القرن الثالث عشر حيث صارت النساء تخفف منه إلى أن صار كما هو الآن نسيجاً خفيفاً يستعمل لحماية الوجه من التراب والبرد. ولكن بقي بعد ذلك بزمن في إسبانيا وفي بلاد أمريكا التي كانت تابعة لها». إذ من الواضح أن حديث لاروس كان عن لباس نساء اليونان قبل المسيح ، وأن النصرانية جاءت ، وحافظت على الخمار. ويعتقد بعض الباحثين أن غطاء الوجه كان في الأصل جزءاً من لباس المرأة بين فئات معينة في الإمبراطورية البيزنطية ، واعتمد في الثقافة الإسلامية أثناء الفتح العربي في الشرق الأوسط. ومع ذلك ، فرغم تصوير الفن البيزنطي قبل الإسلام للنساء عادة بحجاب للرأس أو غطاء الشعر ، فإنه لا يرسم النساء بنقاب على الوجه. وفي أوائل القرن الثالث من الميلاد ، أشار الكاتب النصراني ترتليان بوضوح في بحثه "حجاب العذارى" إلى أن بعض «الوثنيات» العرب يرتدين غطاءً لا يغطي فقط الرأس وإنما أيضاً كامل الوجه. علق إكليمندس الإسكندري أيضاً على الاستخدام المعاصر لأغطية الوجه. هناك أيضاً اثنين من المراجع في الكتاب المقدس في سفر التكوين 38.14 والتكوين 24.65 تحث على تغطية الوجه. هذه المصادر الأولية تظهر أن بعض النساء في مصر ، السعودية ، كنعان وفارس استخدمن النقاب لفترةٍ طويلةٍ قبل ظهور الإسلام. يذكر الكتاب المقدس أيضًا في سفر التكوين كيف رأى يهوذا فتاة تسمى تامار على قارعة الطريق وكانت تغطي وجهها: «فلما رآها يهوذا ظن أنها امرأة ساقطة ، لأنها كانت تغطي وجهها». وهو مما يدل على أن تغطية الوجه كان معروفاً قبل الإسلام. وتتنوع أشكال النقاب وغطاء الوجه الذي ترتديه المرأة المسلمة في جميع أنحاء العالم. لكن جميعها تظهر العينين وهناك نوعين من الأشكال الأكثر شيوعاً هي نصف النقاب والنقاب الخليجي. ونصف النقاب هو قطعة نسيج تلف حول الوجه فوق الحجاب وتربط بعلاقات من الخلف ، وتكون العينين وجزء من الجبهة مرئية. وفي الخليج تطور نصف النقاب ليصبح لثمة تردها المرأة على أنفها ، وأحيانا تستخدم طرف الخمار وتلفه على الوجه حتى طرف الأنف. والنقاب الخليجي ويغطي كامل الوجه. يتألف من شريط علوي يلتف على

الجبهة ، وقطعة واسعة من القماش الأسود تغطي الوجه ، وتترك العينين مكشوفة. العديد من النساء يفضلن وضع طبقة خفيفه على النقاب فوق العين حيث يمكن ارتدائها أو رفعها عالياً فوق الحجاب. حين تقوم بانزال الغطاء فإن الشخص الذي يطالع المرأة لن يكون قادراً على رؤية عينيها ، بينما هي سوف تكون قادراً على الرؤية من خلال النسيج الرقيق. وأخرى أقل شيوعاً من أشكال النقاب هو نمط البرقع الأفغاني الطويل الذي يمتد من الرأس إلى القدمين مع شبكٍ صغير على الوجه. وهناك الشادور الغطاء الفارسي تلبسه النساء في إيران ، الذي يتكون من قطعة وشاح كبيرةٍ مثلثة. يربط الوشاح من الخلف أسفل الرأس ، ويوضع فوق الأنف ويغطي الوجه كاملاً ما عدا العينين. وإذا جئنا للمذاهب الإسلامية الأربعة: يُعتبر النقاب واجبًا في المذهب الحنبلي والشافعي ، بينما يُعتبر مستحبًا في المذهبين الحنفي والمالكي. يرى الكاتب محمد الغبان بأن ظهور الاختلاف في الرأي بين المسلمين بين من يرى وجوب تغطية الوجه وبين ما يبيح كشفه لم يظهر إلا منذ وقت قريب وبعد دخول الاستعمار الغربي بلاد الإسلام. الغالبية العظمى من أقوال العلماء وأئمة المسلمين على مر التاريخ الإسلامي تذهب إلى أنه يجِبُ على المرأةِ سَتْرُ بدَنِها كُلِّه أمامَ الرجُلِ الأجنبيِّ ، بما في ذلك الوجهُ والكَفَّانِ. وهو مذهبُ الجُمهورِ: الحنفيَّة ، والأظهَرُ مِن مذهَبِ الشافعيَّة والصَّحيحُ مِن مذهَبِ الحنابلةِ ، وهو قولُ جمعٍ مِن عُلَماءِ المالكيَّة وغيرِهم ، وحُكِيَ فيه اتِّفاقُ المُسلِمينَ. ومنذ عام 2009 م النقاب أثار جدلاً بين العلماء والناس والفقهاء على حدٍ سواء بشأن ما إذا كان فرض أو استحباب أو عرف. يُذكر أن شيخ الأزهر الراحل محمد سيد طنطاوي رفض السماح بارتداء النقاب في مؤسسات التعليم الأزهري ، مما دعا المجلس الأعلى للأزهر للرد على الشيخ الطنطاوي بأن النقاب مسموحٌ به في المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر في وجود الرجال. أثارت هذه الحادثة غضب بعض رجال الدين وذكر بعض الحقوقيين أن قرار الشيخ الطنطاوي مخالفٌ للقانون والدستور ، في حين ذكر علماء آخرين إن النقاب ليس مفروضاً في الإسلام الذي أقر بأن وجه المرأة ويديها ليس من "العورات". وفي اليهودية: يزعم البعض أن النقاب ينحدر من أصول يهودية! ومن بينهم نائبة البرلمان آمنة نصير ، أستاذة العقيدة والفلسفة الإسلامية في جامعة الأزهر حيث صرحت في صحيفة المصري اليوم قائلة: «إن النقاب ليس من الإسلام ، وإنما هو شريعة يهودية ، وإذا عدنا إلى العهد القديم وسفر التكوين نجد النقاب. وإذا رجعنا إلى التلمود وهو كالسنة عندنا ، سنجد الحبر الشهير موسى بن ميمون يقول: إذا خرجت المرأة من بيتها دون النقاب فقد خرجت من اليهودية. وإنه في العصر الجاهلي كانت القبائل اليهودية والعرب يتشاركون في مناطق واحدةٍ ، والتشدد في النقاب من القبائل اليهودية انتقل إلى القبائل العربية! وجاء الإسلام ووجد النقاب عادة منتشرة ومتجذرة فلم يفرضه ولم يرفضه ، وهذا مهم وإنما فرض الإسلام أمرين لضمان سلامة النفس والمجتمعات الأول (الزي الإسلامي المحتشم الذي لا يصف ولا يشف ولا يثير الرجل) ، والثاني (غض البصر) وهذه هي الروشتة الحقيقية لطهارة المجتمع». في حين عَقَّبَتْ صحيفة «تايمز أوف إسرائيل» على تصريحات النائبة معتبرة حديثها «غير صحيح وأنه لا يوجد إثباتٌ تاريخيٌ أو ثقافيٌ بأن للنقاب جذورًا يهودية». وادَّعَتْ الصحيفة العبرية أن النقاب ، وهو غطاء الرأس الأكثر تشددًا من الحجاب ، لا علاقة له بالمجتمعات اليهودية ، ولا يوجد إثباتٌ تاريخيٌ بأن له جذورًا يهودية ، وأنه لم ينتقل إلى المجتمعات الإسلامية والعربية من اليهود. وأصر محمد أبو غدير ، رئيس قسم الدراسات الإسرائيلية السابق بجامعة الأزهر ، أن النقاب مذكور في العهد القديم أكثر من مرة ، وأنه نشأ

في منطقة شبه الجزيرة العربية كعادة اجتماعية وليس على أساس دينى ، وكشف الأستاذ بجامعة الأزهر أن بعض القبائل اليهودية المتشددة لا تزال نساؤها يرتدين النقاب حتى الآن داخل إسرائيل ، فهناك الجماعة اليهودية التي رحلت من كندا إلى إسرائيل ، لا تزال نساؤها يرتدين غطاء الوجه حتى الآن ، معتبراً إنكارهم ليس له أي سبب واضح. في مجتمع يغلب عليه الطابع الإسلامي ، يرتدي ما يصل إلى 90 في المائة من النساء في مصر شكلاً من أشكال الحجاب. وتُغطي أغلبية النساء المصريات شعرهن على الأقل بالحجاب. و«الحجاب» يشير إلى غطاء الرأس الذي ترتديه النساء المسلمات. على الرغم من أن ظاهرة ارتداء النقاب ، أي الحجاب الذي يغطي الوجه ليست شائعة ، فقد أصبح النقاب في مصر أكثر انتشاراً. وفي حين أن البعض من النساء في مصر ترتدي الواحدة منهن نقاباً أسود مع عباية سوداء ، كما هو الحال في بلدان مثل المملكة العربية السعودية ، فإن الكثيرات يخترن ارتداء ألوان مختلفة من «النقاب» ، أو التلاعب «بالحجاب» لتغطية وجهوههن. ولنتأمل النقاب خلال أوائل القرن العشرين: لم يكن النقاب ممارسة تقتصرُ على المسلمين ، بل كانت ترتديه نساءٌ نخبيات مسلمات ونصرانيات. هذه الظاهرة الحضرية نشأت في اسطنبول ، وكانت جزءاً من تقليد الحرملك ، حيث كانت المَحظيات والنساء المولودات من النخبة العثمانية المصرية ، ينعزلن في الحرملك الذي كان يحرسه مجموعة من المخصيين. على الرغم من أن هذه الفئة من النساء «الحرملك» هي الفئة الأكثر وضوحاً من النساء في سجلات القرن التاسع عشر في مصر ، إلا أنها لم تشكل في الواقع أكثر من 2 في المئة من سكان مصر ، البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة في أواخر القرن الثامن عشر. وكان العزل والحجاب ترفاً لا تستطيع الأسر الفقيرة تحمله! ولذلك ، لم تستطع نساء الطبقة الدنيا في القاهرة تغطية وجوههن «بالبرقع». مع حاجتهن للذهاب إلي عملهن في القرى والمدينة ، كان من المستحيل منع حركتهن بالحجاب وتغطية وجوههن مثل النخبة! وكانت هناك معركة عُرفت بأنها (معركة الحجاب) أثناء الحركة القومية ، حيث نشب النقاشُ حول وضع المرأة المصرية والحجاب في مطلع القرن العشرين. في خِضَم حركة القومية المصرية ، تم فحص وضع المرأة المصرية من قبل الأجانب والمصريين على حد سواء ، ليجادلوا ما إذا كانت مصر متقدمة بما فيه الكفاية ، لحكم نفسها دون الاحتلال البريطاني. وبالتالي اضطر المصريون الغربيون المتعلمون هؤلاء وغيرهم من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية المصرية ، إلى إعادة النظر في ممارسات الحجاب ، وعزل النساء ، والزواج المنظم ، وتعدد الزوجات ، والطلاق. وبالنسبة للنخبة القومية وأيضاً بالنسبة للمستعمرين ، فإن الحجاب والفصل كانا يرمزان إلى تخلف المجتمع الإسلامي ونقصه. وقاسم أمين (1882م -1908م) المحامي المصري ذو التعليم الغربي ، كان واحداً من مؤسسي الحركة القومية المصرية ، وكان واحداً من الشخصيات الرئيسية في نقاش القرن الماضي ، حول المرأة والمجتمع. وأطلق عليه اسم «محرر المرأة المصرية» ، وأثار نقاشاً حاداً عندما نشر كتابه «تحرير المرأة» في عام 1899م. ويُعتبر هذا الكتاب على نطاق واسع بداية معركة الحجاب التي تحرض الصحافة العربية! فماذا كان موقف قاسم أمين "أبو النسوية العربية"؟ في كتابه ، حث أمين المجتمع الإسلامي على التخلي عن تخلفه المتأصل ومتابعة المسار الغربي للنجاح. وكان تغيير العادات المتعلقة بالمرأة عنصراً أساسياً في تحقيق التحول الثقافي المنشود في المجتمع المصري. وعلى وجه الخصوص ، كان الحجاب يعتبر «حاجزاً كبيراً بين النساء ونهضتهن ، وبالتالي كان حاجزاً بين الأمة وتقدمها». يصف النساء في حرملك

الإمبراطورية العثمانية بأنهن «ليس لهن دور في الحياة العامة ، ولا دور في الحياة الدينية ، ولا مشاعر الوطنية ، ولا أية مشاعر». وكان أمين يدعي أن «مع ارتفاع الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمرأة ، فإن جهلهن يزيد»! حيث قام بتمجيد المرأة الفلاحة التي قادت حياة نشطة اقتصادياً ، بالمقارنة مع المرأة المنعزلة من الطبقة العليا. وكانت هناك مناقشة نساء الطبقة العليا حول البرقع. في وقت مبكر من السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر ، قبل تطور النسوية في مصر ، كانت النساء المصريات ينشرن كتاباتهن ويشاركن في الخطابة. وخلافاً لموقفها في الخطاب النسوي ، لم يكن الحجاب محورياً في النسوية المنظمة للمرأة في ذلك الوقت. وردّاً على كتابات المصريين المتأثرين بالثقافة الأوروبية ، والذين دعوا إلى رفع الحجاب عن النساء ، رأت ملك حفني ناصف (1886م -1918م) ، سيطرة وهيمنة الذكور ومعارضة الحجاب ، وقد عارض كشف الحجاب الإلزامي هدى شعراوي (1947م -1947م) ، وهي ناشطة نسوية وقومية مصرية رائدة ، كانت متزوجة من علي شعراوي ، وصفت في مذكراتها بأنها واحدة من آخر النساء المصريات من الطبقة العليا. وقالت بأنها ستكون واحدة من النساء الذين سيجلبون أخيراً نهاية هذا الهيكل. على الرغم من أن هدى شعراوي ذهبت إلى الصالونات الأدبية النسائية الناشئة ، حيث أجرت نساء النخب الغربية والمصرية مناقشاتٍ حول ممارسات مثل الحجاب ، اختارت البقاء في غرفة منفصلة في هذه الاستقبالات ، ورفضت حضور أحزاب مختلطة. في هذه الصالونات ، هاجمت النساء الغربيات «النقاب» حيث أن «المرأة المصرية يمكنها ممارسة الأفعال غير المقبولة وراء قناع ، ولكن لأن أعمال المرأة الأوروبية كانت مرئية ، فإن سلوكهم كان أفضل! فماذا عن هدى شعراوي وموقفها من الحجاب؟ عندما أعلنت عن بدء نضال نسوي منظم يدعى الاتحاد النسوي المصري ، أشارت شعراوي إلى أن النساء المصريات يَدْعين إلى استعادة حقوقهن المفقودة واستعادة تراثهن الوطني ، وليس تقليد الغرب. ووفقاً لمارجوت بدران ، محررة ومترجمة مذكرات هدى شعراوي "سنوات الحريم" ، فإن هذا العمل يشير إلى نهاية نظام الحرملك في مصر وبدء نخبة النساء اللواتي يدخلن في الحياة العامة. هذا من شأنه أن يبدأ حركة بين النساء من الطبقة العليا للتخلي عن البرقع "والتحرك في جميع أنحاء المدينة دون غطاء. ليس فقط أن النساء مثل شعراوي يزيلن أنفسهن من عزلة عالم الحرملك ، ولكنهن انضمن تماماً إلى أزواجهن القوميات في الثورة المصرية التي قادها الذكور ضد الاحتلال البريطاني. وفي عام 1925م ، أسس الاتحاد المصري للمجلات مجلة "ليغاليان" الفرنسية التي ناقشت خلع النقاب في الشرق الأوسط. في نهاية المطاف ، فإن غطاء الوجه تراجع في مصر ، وبحلول أواخر الثلاثينات اختفي!).هـ. ثم عاد اليوم في أبهى صوره وأقربها للشريعة كتاباً وسُنة! والحمد لله رب العالمين! بل بالعكس تماماً! إنه يزداد يوماً بعد يوم تطوراً - عند فئة من النساء المؤمنات الموحدات - على منهج الله تعالى مطابقاً للأوصاف والشروط الموجودة في كتب الفقهاء والمحدثين ، ولله الحمد! كما أنه يزداد كذلك تطوراً – عند فئةٍ أخرى من النساء الجاهليات - مطابقاً للأوصاف والشروط التي سنها منهج كوتاريللي وبيوتات الأزياء المحلية والعالمية! وإن كنا لا نقر هذا النوع الثاني من أنقبة جاهلية القرن الحادي والعشرين! ولكنه يظل طرحاً من الطروح التي تركبُ الموجة باسم الإسلام! وكل امرأة من المنتقبات تنتقبُ حسْبما يأمرها به معبودُها! فمن كانت منهن تعبد الله تعالى على علم وإيمان وتوحيدٍ كان نقابُها مطابقاً لما أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم! ومن كانت تعبد كوتاريللي فنقابُها على ما سنت لها

بيوتاتُ الأزياء التي يرأسُها كوتاريللي! ولكن الملاحظ أن الشارعَ يعُجُ بهؤلاء وأولئك ، شئنا أم أبينا! وليس يغيظ أعداءَ الإسلام إلا النوعُ الأول من الأنقبة ، والذي هو على منهج الله كتاباً وسُنة! ولمّا أخبَرتُ بهذه الواعظة الصغيرة في سنها والكبيرة في عقلها (سُمية) ، آليتُ على نفسي أن أخصها بقصيدة طفولية من مجزوء البحر الرملي الغنائي! مُفتخراً ومُفاخراً بها!)

إيـــــهِ يـــــا أزكـــــى بُنيّـــــة ... زَيّنتْهـــــا العبقريـــــة

شَـــــرُفتْ سَـــــمْتاً وهـــــدياً ... واحتفـــــتْ بالأفضـــــلية

لـــــم تَمِـــــل نحـــــو فريـــــق ... لـــــم تُمِلهـــــا المَذهبيـــــة

تبعـــــتْ فـــــي الخيـــــر أمّـــــاً ... فـــــي دروب الألمعيـــــة

وارتقـــــتْ فـــــي العلـــــم حتـــــى ... نـــــاظرتْ فـــــي أريَحيـــــة

ومـــــع القـــــرآن دارتْ ... إنهـــــا نِعـــــمَ المَعيـــــة

وإلـــــى الســـــنة حَنّـــــتْ ... وبهـــــا صـــــارتْ أبيـــــة

واســـــتقامتْ ، فاســـــتراحت ... ولهـــــا نفـــــسٌ تقيـــــة

ولهـــــا للغيـــــر وَعـــــظ ... فـــــي نِقـــــاطٍ جوهريـــــة

مـــــا ارتضـــــتْ قبْحـــــاً يُدَسّـــــي ... لـــــم تُقِـــــرّ الجاهليـــــة

أمَـــــرتْ بـــــالعُرفِ قومـــــاً ... لـــــم تفتْهـــــا الأولويـــــة

قالـــــت: التوحيـــــدُ أولـــــى ... مِـــــن قضـــــايا جانبيـــــة

إنـــــه التوحيـــــدُ يَهـــــدي ... أنفســـــاً كانـــــت شـــــقية

ثـــــم يُهـــــديها حيـــــاة ... قبـــــل إدراكِ المَنِيـــــة

أنفســـــاً كانـــــت غثـــــاءً ... لـــــم تكـــــنْ مِـــــن قبـــــلُ حيـــــة

إيـــــهِ يـــــا صُـــــغرى تســـــامتْ! ... أصـــــبحتْ نِعـــــمَ البُنيـــــة!

تُنكـــــرُ المنكـــــرَ جَهـــــراً ... لـــــم تُخِفهـــــا العنجهيـــــة!

ولهـــــا أقـــــوى جـــــدال ... فيـــــهِ كـــــم كانـــــت قويـــــة!

ولهـــــا قـــــولٌ وفِعـــــلٌ ... أصـــــلحَتْ ســـــعياً ونِيـــــة

ولهـــــــــــا دَربٌ قـــــــــــويمٌ ... مـــــا ارتضـــــت فيـــــه الدنيـــــة

ولهـــــــــا عَـــــــزمٌ رَشِـــــــيدٌ ... ولهـــــــا التقـــــــوى هُويـــــــة

والبـــــــــــراهينُ توالـــــــــتْ ... همّهـــــــا نصـــــــرُ القضـــــــية

مثـــــــلَ زخّـــــــاتِ رَصـــــــاص ... أطلِقـــــــتْ مِـــــــن بُندقيـــــــة

صُـــــــحّحَ الإســـــــنادُ فيهـــــــا ... والنصـــــــــوصُ اللؤلئيـــــــــة

كـــــم – علـــــى الطاعـــــات - دَلـــــتْ ... فـــــي بيـــــوت الأكثريـــــة!

كـــــم تلـــــتْ قـــــرآن ربـــــي ... بـــــــالترانيم النديـــــــة!

كـــــم وعـــــتْ شِـــــعراً ونثـــــراً ... فهْـــــيَ بالـــــذكرى حَريـــــة!

كـــــم مِـــــن الشـــــبْهاتِ رَدّتْ ... بســـــهام مِـــــن رَمِيّـــــة!

كـــــم أجابـــــت مِـــــن ســـــؤال ... لعجـــــوز ، أو صَـــــبية!

كـــــم أزاحـــــت مِـــــن رُكـــــام ... بتعـــــابير سَـــــنية!

كـــــم أزاحـــــتْ مِـــــن همـــــوم ... بنصـــــوح شـــــاعرية!

كـــــم أبانـــــت مِـــــن قضـــــايا ... ســـــببتْ أعتـــــى رَزيـــــة!

كـــــم نهـــــتْ عـــــن مُنكـــــراتٍ ... وأضـــــاليل غويـــــة!

كـــــم تصـــــدّتْ للتـــــردي ... غـــــالَ شـــــيخاً ، أو وَلِيـــــة!

كـــــم تحـــــدّتْ جهـــــل حَمقـــــى ... بالأســـــاليب الزكيـــــة!

عِشْـــــتِ لـــــي بنتـــــاً وأختـــــاً! ... مِـــــن قـــــرى (الإســـــكندرية)!

عِشْـــــتِ للإســـــلام ذخـــــراً! ... ربَنـــــا فـــــاحفظ (سُـــــمَية)!

صـــــانك الـــــرحمنُ ربـــــي ... مِـــــن فتـــــون يـــــا أخيـــــة!

لـــــم تـــــذرْ ألبـــــابَ قـــــوم ... كـــــم أحبّـــــوا الفوضـــــوية!

وحمـــــــاكِ اللهُ ممـــــــا ... فيـــــهِ نحيـــــا مِـــــن بليـــــة!

إلى أين يا عَدُوة نفسِها؟!

(كانت هذه الزوجة الشقية الفاشلة عَدوة زوجها وأبنائها وأسْرتها وأهلها ، ثم ما لبثتْ أن أصبحتْ بعد رَدح من الزمان عَدوة نفسها! ذلك أن خدعتِ الكل عندما تظاهرتْ بالسُنة والإخلاص والتديُن ، ولكنها ظهرتْ على حقيقتها أمام بريق المال! فنقضتْ غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً! وهدمتْ بيتها مع سبق الإصرار والترصد! وصارت أضحوكة ومَثلاً لكل زوجةٍ متمردةٍ قادَها تمردُها إلى الدمار والخِزي والعار! وتبدأ قصتُها المُزرية عندما اجتهدَ زوجُها البائس المسكين في تأمين جميع مستلزمات الحياة لأسرته من مسكن وملبس ومطعم ومشرب ومصادر دخل متعددة! وكانت له ممتلكات وعقارات هنا وهناك. وفجأة تضطره ظروفٌ قاهرة إلى السفر المؤقت ، ولما ضاقتِ الأحوالُ أكثر تحولَ سفرُه من مؤقتٍ إلى سفر طويل لا يَعلم متى ينتهي! ومن هنا احتاجَ الأمرُ إلى عمل توكيل رسمي عام لابنه الأكبر لينوب عنه فيما يُصلح من شأن العائلة. فإذا بالزوجة الراعنة الخائنة الغادرة تشحنُ الأبناء والبنات ضد أبيهم! وتُغيّر قلوبهم تجاه أبيهم! وراحت تتهمه بالاتهامات البشعة السلوكية منها والأخلاقية ، وأقنعت الابن الأكبر العاق ، بل الأشد عقوقاً ، بأن يبيع لها ممتلكاتِ أبيه بموجب التوكيل العام الذي معه. فلما تم لها ذلك تزامن مع عودة الزوج المسافر! وإذا به يجد الدنيا مقلوبة ظهراً على عقب! فلا الزوجة بالتي كان يعرف! ولا الأبناء والبنات بالذين كان يربي! ولا الأرض بالتي كان يعيش عليها! لقد قلبتِ الزوجة الفاشلة لزوجها ظهر المِجَن! مُدّعية أنه تزوجَ عليها على رواية! ورواية أخرى أنه ينتوي الزواج عليها! وأياً ما كان الأمر ، ما الذي يعيبُه إذا تزوج عليها لا أقول واحدة ، بل ثلاث زوجات؟! ألم يَكفلُ الشرعُ المطهرُ له ذلك بشرطي المقدرة والعدل؟! أليس هذا دينَ الله يا عدوة نفسها يا لكاع؟! وليت الأمرَ وقفَ عند هذا الحد! فلقد تدخلَ رجالٌ صالحون ونساءٌ صالحاتٌ بقصد الإصلاح والتوفيق! ولكنْ حالت غيرتُها العمياء وجهلها المُطبق وعنادُها المأفونُ دون ذلك! وزادَ حباتِ الطين بلة لجوؤها للقضاء تُطالبُ في مُذكرتها بالخُلع والطلاق للضرر والنفقة! الأمرُ الذي طلبتْ معه المحكمة التحققَ والتثبتَ فيه! ولا تزالُ الكُرة في أرجل اللاعبين ، والله تعالى وحده يعلم بالنتيجة! ولكن التوقعاتُ كلها تقول بفشلها الذريع عما قريب! قياساً بقضايا أخرى مماثلة! وقريباً تبوءُ كل محاولاتها بالفشل ، وتعود ممتلكاتُ الرجل إليه ، ويتزوج خيراً منها ، وتتزوج بُنياتُها ويَخْلين إلى أزواجهن ويتفرغن لتربية أولادهن ، ويتزوج أبناؤها ويخلون إلى زوجاتهم ويتفرغون لتربية أولادهم! وتبقى وحدها تجُر أذيال الخيبة والخِزي والندامة! ككل ناشز غبية تُقوّضُ أركان بيتها وتقتلُ نفسها وتهدمُ بيتها ، لا لشيءٍ إلا الجري وراء الظنون والغيرة الهدامة التي أكلتْ قلبها وعقلها ورُشدها! ولن يتزوجها أحد ، لأن قصتها سرعان ما انتشرتْ ، وفاحت روائحُ فضيحتها! فكانت هذه القصيدة تلخيصاً لما قامت به عدوة نفسها وزوجها وأبنائها وأسرتها وأهلها! وتحت عنوان: (الخلق المفقود : الأمانة) يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الأمانة من الإيمان إذ قال في آخر الأخبار عنها وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، وحسبك من رفع شأن الأمانة : أن كان صاحبها حقيقاً بولاية أمر المسلمين ، لأن ولاية أمر المسلمين ، أمانة لهم ونصح ، ولذلك قال عمر بن الخطاب حين أوصى بأن يكون الأمر شورى بين ستة: "ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لعهدت إليه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له إنه أمين هذه الأمة". انظر إلى الأسواق والمحلات التجارية ومعارض السيارات والبنوك ، الغش فيها على قدم وساق ، وخيانة الأمانة هي بضاعتهم ،

يعبدون الله بمعصيته ، وكيف يتأتى ذلك؟ يعطيك سلعة مقلدة على أنها أصلية ، ويبيعك سلعة يخفي عيوبها ، أو مستعملة على أنها جديدة ، يرفعون الأسعار ، دونما سبب ، يغلفون المعاملات البنكية ويزينونها للناس على أنها معاملات شرعية لا حرام فيها ، وهل هناك أعظم حرمة من أن جميع بنوكنا بنوك ربوية ، قرض بفائدة ، وأسهم محرمة ، وشركات مشبوهة ، تحايل على الربا ، وكأنهم يتحايلون على الأطفال ، ونسوا أنهم يتعاملون مع من لا تخفى عليه خافية ، يتعاملون مع من خلقهم ورزقهم ، الذي قال سبحانه: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ} ، وما يحصل في معارض السيارات لهو أدهى وأمر ، سيارة تباع وهي مكانها لم تتحرك عشرات المرات ، ويفتخرون بمعصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيُرِيدُ مِنِّي الْبَيْعَ لَيْسَ عِنْدِي ، أَفَأَبْتَاعُهُ لَهُ مِنَ السُّوقِ؟ فَقَالَ: "لاَ تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ". [رواه أبو داود وغيره]. فالتجار هم الفجار ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: "يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ" ، فَلَمَّا رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ وَمَدُّوا أَعْنَاقَهُمْ قَالَ: "إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا ، إِلاَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ". [رواه ابن ماجة وغيره ، وقال الألباني: صحيح ، انظر حديث رقم 1594 في صحيح الجامع]. وتأمل هذا الحديث الذي يبين الحديث الذي قبله ويفسره ويوضحه أعظم بيان: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ الأَنْصَارِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ" قَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَمْ يُحِلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ: "بلى ولكنَّهُمْ يَقُولُونَ فَيَكْذِبُونَ ، وَيَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ" [رواه أحمد بإسناد جيد والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد]. وانظر إلى أسواق الخضار والفاكهة تجد العجب العجاب ، من الغش والتدليس والكذب وخيانة الأمانة ، فلا تكاد تجد بائعاً صادقاً وأميناً ، فالهم الأكبر هو جمع المال من أي طريق كان ، وبأي كيفية كانت ، المهم هو المال ، كيفما جاء ، وكيفما أُتي به ، لا يبالون والله بطرق المال ، ولا يتحرون الحلال ، ولا يخافون من عقوبة الحرام ، وكل ذلك يصب في قالب خيانة الأمانة. يجعلون البضاعة والفاكهة الكاسدة الخربة والصغيرة والمتعفنة في أسفل الصندوق ، والجيدة في أعلاه ، وعندما تنظر إليه يعجبك ولا يُبين لك البائع أن ما في الأسفل أقل جودة مما في الأعلى ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ" قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: "أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي". [رواه مسلم]. فهلا اتبعنا توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبلنا أمره ، واهتدينا بهديه ، وسلكنا منهجه ، حتى نكون منه صلى الله عليه وسلم ومعه؟ إنك عندما تتجه لأنواع التجارة تحزن على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وما أصابها من وهن وضعف في دينها ، وخيانة لأمانتها ، حتى تقاعست عن القيام بالأعباء الموكلة إليها من نصرة لدينها والذود عن نبيها ، وحمل الأمانة الملقاة على عاتقها في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل. واليوم لا نرى إلا مسلمين أوهنتهم حُمى الأسهم ، وضربتهم شمسُ التقدم والحضارة الزائفة الكاذبة الخادعة ، حتى تركوا أهم شعائر دينهم ألا وهي الصلاة ، وارتكبوا الكبائر العظيمة كخيانة الأمانة ، وعدم الوفاء بالوعد ، ونقض العهد ، إلا من رحم الله وعصم وقليلٌ ما هم. هذا هو مجمل حال أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع دينها اليوم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ ؛ فَلْيَتْبَعْ". [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]. ألا وإن من خيانة الأمانة أن يستدين الشخص مالاً ثم يماطل ولا يرده إلى صاحبه ، إن هذا هو الغدر ،

وذلكم اللؤم ، ونذير الشؤم على هذه الأمة ، من كان محتاجاً واستدان ثم منَّ الله عليه بالخير الوفير ، فليعلم أنه يجب الوفاء بالدين ، ويجب رد الأمانة إلى صاحبها ، ومن لم يفعل ذلك وترك صاحب المال يطلبه وهو يتهرب عن لقائه فقد ظلم نفسه ، وخان الأمانة ، وتجاوز حدود الله عز وجل. وأمعنوا النظر في هذا الحديث ولا تمروا عليه مروراً لا خير فيه ، بل تأملوا كل كلمة منه ، خيانة الأمانة دليل قطعيٌ على قرب الساعة ، ودليل الإضاعة ، توسيد الأمر إلى غير أهله ، يعني تولية زمام أمور المسلمين لغير أهل الصلاح والخير والفضل من العلماء والصالحين ، بل يولى على المسلمين أفسقهم وأجرمهم وأسوأهم ، لاسيما وسائل الإعلام ، الفم الناطق باسم الإسلام والمسلمين ، ولا تخلو دولة من أولئك الأشرار المنبطحون لعادات الغرب ، والمنبهرون بتفاهتهم وسفاهتهم ، حتى أصبحنا في بلاد الإسلام نتبع قوانين الكفار ، ونترك كتاب الله تعالى ، ونهجر سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، نستبدل الخبيث بالطيب. بلاد الإسلام يجب أن تسير على منهج الله القويم ، وصراطه المستقيم ، وتعمل بما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمنع كل أمر يؤدي إلى معصية الله تعالى ، أو معصية نبيه صلى الله عليه وسلم ، لاسيما البنوك الربوية ، ووجوب إقامة الحدود على الجناة والمجرمين حتى ينعم الناس بالأمن والأمان ، وإقامة الحدود والقصاص من الأمانة التي أُلقيت على عاتق الكبراء والحكام والرؤساء ، ومن لم يطبق شرع الله في حق المستحقين له ، محاباة لأحد من الناس أو مجاملة له ، أو خوفاً من دولة أو منظمة إنسانية أو حباً للبقاء في كرسيه ومنصبه ، فهو خائن لله ولرسوله وللناس أجمعين ، قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. ولكم في القصاص حياة: أي بقاء عظيم ، يا ذوي العقول الراجحة ، لأن القاتل إذا علم أنه سيُقتل ارتدع ، فأحيا نفسه ومن أراد قتله ، فارتدع ، ثم ختم الآية بقول: {لعلكم تتقون} ، أي تتقون القتل ، مخافة القصاص كما قتل غيره ، وعلى ذلك فقس ، فكل الجرائم الأخرى تلحق بالقتل ، فالسارق يخشى أن تقطع يده ، والزاني يخشى الرجم ، وبهذا تسلم الأمة من غضب الجبار تبارك وتعالى ، ومن نقمته وسطوته وغضبه. فما أحرانا وأجدرنا باتباع هدي القرآن الكريم ، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى يكتب للأمة النصر والرحمة من الله تعالى).هـ. وإذا تركنا ساحة الأمة والأمانات التي فرطت فيها ، إلى أن وصلتْ إلى هذا الحال المُزري ، وتطرقنا إلى الزوجات الخائنات لأمانة الله ورسوله ، فحدثْ ولا حرج ، ولعلنا بقصيدتنا هذه نكون قد طرقنا جانباً من جوانب الخيانات المتعددة للأمانة الزوجية!)

إلـــــى أيـــــن بالأسْـــــرة المُنطلـــــقْ؟! لقـــد أغلـــقَ الكيـــدُ كـــل الطـــرقْ!

وبـــــــاءتْ بتمزيقهـــــــا أســـــــرة وأضـــحى الجميـــعُ علـــى المُفتـــرق!

وشـــــتتها المكـــــرُ حتـــــى غـــــدتْ تُفـــتشُ فـــي ذي الـــدنا عـــن أفـــق!

وباتـــــــت – بغـــــدركِ - أضـــــحوكة فهـــــلا كففـــــتِ صـــــنوفَ النـــــزق؟!

ألـــــيس بقلبـــــك بعـــــضُ الوفـــــا لكـــي تطرحـــي عنـــكِ شـــر الخَـــرَق؟!

لمـــــاذا الفضـــــائحُ بـــــين الـــــورى؟ لمـــــاذا التعـــــدي وسُـــــوءُ الخُلـــــق؟!

لمـــــاذا التجـــــاوزُ؟ أيـــــن الحَيـــــا؟! لمـــــاذا التحـــــدي؟ لمـــــاذا الحَنَـــــق؟!

لمـــــاذا علـــــى الـــــزوج مثـــــلُ اللظـــــى وعيشُـــــكِ قـــــد عَرْقلتْـــــه المِشَـــــق؟!

وأبنـــــاؤكِ اليـــــومَ مثـــــلُ العِـــــدا فليســـــوا خِيـــــاراً ، ولكـــــنْ عُقـــــق!

هـــــداديكِ! إن الـــــدروبَ اشـــــتكتْ ولمّـــــا يعـــــدْ عَبرَهـــــا منطلـــــق!

وزوجُـــــكِ أعطـــــى الأمـــــانَ ، ولـــــم يَشـــــك ، وحُـــــقّ لـــــه أن يثـــــق!

لأنـــــكِ أظهـــــرتِ مـــــا يَرتجـــــي مـــــن الحـــــب ، والحـــــبُ قيـــــدٌ ورِقّ!

وخادعْتِـــــهِ بالأمـــــاني زهـــــتْ فأذهبـــــتِ مـــــا زاره مـــــن قلـــــق

فـــــأيقنَ أنـــــكِ زوجٌ لهـــــا شـــــأنُها عـــــن الأم والأخـــــت لـــــم تفتـــــرقْ

فوَقـــــعَ (توكيلـــــهُ) عازمـــــاً علـــــى سَـــــفْرِهِ – للنجـــــا - يســـــتبق

وطـــــالَ اغتـــــرابٌ غـــــزاهُ الشـــــقا وكـــــادَ المســـــافرُ أن يَحتـــــرق

وخدّاعـــــة أدركـــــتْ فرصـــــة فقـــــد آنَ للمِلـــــك أن ينســـــرق

وزوّرتِ عقـــــدَك فـــــي خِسّـــــةٍ ويَحكـــــمُ دنيـــــاك نـــــصُ الـــــورَق!

وآلـــــتْ إليـــــكِ دِيـــــارٌ بنـــــى! ومُلْكُـــــتِ جَـــــوهرَهُ والـــــوَرِق!

وأبـــــدِلتِ مـــــن بعـــــد فقـــــر غنـــــى وبـــــات الغنـــــى مِخـــــذماً يُمْتشـــــق

وعاديـــــتِ زوجَـــــكِ ، لـــــم تعـــــذري وقوسُـــــكِ فـــــي الحـــــرب لـــــم تنشـــــرق

وأشـــــهرتِ ســـــيفكِ ، لـــــم ترحمـــــي وقطعْتِـــــهِ ، واسْـــــتبحت المِـــــزَق

وطالبـــــتِ بـــــالخلع ، مغـــــرورة إلـــــى حتفهـــــا والفنـــــا تســـــتبق

وغـــــرّكِ حِلـــــمٌ تحلـــــى بـــــه وغرتْـــــكِ أموالـــــه والشـــــقق!

وبـــــارزتِ بالإفـــــكِ ، لـــــم تصْـــــدُقي وبـــــئسَ التخـــــرصُ مـــــن منزلـــــق!

ولـــــم تقبلـــــي الصـــــلحَ حـــــلاً لمـــــا بُلِيـــــتُم بـــــه ، قلـــــتِ: لـــــم نتفـــــق!

وقوّضـــــتِ بيتـــــكِ ، يـــــا للأســـــى! بشـــــكّكِ والباطـــــل المختلـــــق!

وغيـــــرةِ بلهـــــاءَ لـــــم تـــــدّكِرْ فهـــــاجَ الســـــعارُ ، وطـــــم الرهـــــق

وأسْـــــرتكِ اليـــــومَ فـــــي فرقـــــةٍ ببحـــــر الحيـــــاة تُعـــــاني الغـــــرق!

ومَوجُـــــكِ يجتـــــاحُ مـــــا عنـــــدها مـــــن الفلـــــكِ بالشـــــط لـــــم تلتحـــــق!

تعـــــوقين مـــــا حصّـــــلتْ مـــــن نجـــــا ويـــــردمُ عِنـــــدكِ حتـــــى النفـــــق!

أمَـــــا مـــــن رشـــــادٍ يُعيـــــدُ العُـــــرَى ويمحـــــو مـــــن العـــــيش هـــــذا الغســـــق؟!

حنانيـــــكِ يـــــا هـــــذه ، واعقِلـــــي ركبـــــتِ بهـــــم طبقـــــاً عـــــن طبـــــق!

وســـــربلتِ عِيشـــــتهم بالضـــــنا وأســـــقيتِهم عائـــــداتِ الأرق

فتـــــوبي عـــــن الغـــــدر أتقنتِـــــهِ وخلـــــي اللجـــــاجَ ، وفـــــوتي المَلـــــق!

بناتُـــــك كـــــلٌ إلـــــى زوجهـــــا تتـــــوقُ إلـــــى حبهـــــا المؤتلـــــق

وأبنـــــاؤكِ البُلـــــهُ كـــــلٌ إلـــــى بُييـــــتٍ بـــــه زوجُـــــه يـــــا شَـــــلق!

وزوجُـــــكِ يُفضـــــي إلـــــى زوجـــــةٍ تصـــــونُ الـــــودادَ بقلـــــب شَـــــفِق!

تُعَوّضُـــــهُ عـــــن بـــــلاءٍ مَضـــــى بمـــــا أوتيـــــتْ مِـــــن جميـــــل الخلـــــق!

وتبقـــــين وحـــــدكِ ألعوبـــــة تلـــــوكِين وَهمَـــــكِ بعـــــد الفـــــرق!

وقـــــد تمضُـــــغِين المَـــــرارَ الـــــذي يُمَـــــرّرُ خبـــــزكِ بعـــــد المَـــــرق!

جـــــزاءً وفاقـــــاً بمـــــا قـــــدّمتْ يـــــداكِ ، فظلمُـــــك يومـــــاً ســـــبق!

وإن مِـــــتِ أدمُعُنـــــا قـــــد أبـــــتْ هطـــــولاً ، فقـــــد جَمّـــــدتْها الحِـــــدَق!

ويـــــومُ القيامـــــة يـــــومُ القضـــــا ســـــتلقين فيـــــه عقـــــاب النـــــزق!

امرأة بألف رجل!

(الأصل أن يواجه الرجلُ المحنَ والشدائدَ والصعاب! ولكن عندما تواجهها المرأة الضعيفة ، فلها شأنٌ آخر! لكن هذه المرأة استطاعتْ بفضل الله تعالى ، وما آتاها الله من قوة الشخصية أن تكون بحق خيراً من ألف رجل ورجل! ومن هنا استحقتْ مِنا قصيدة تصفُ صلابتها وبأسها وقوة تحمّلها وعِفتها واستبسالها!حقيقة هي امرأة بألف رجل! حدث أنّ رجلاً تزوج امرأة تُسمّى (العَنود) كانت تعيش في بادية جنوب اليمن! وكانت آية في الجمال ، ومع مرور الأيام اضطر الزوج للسفر طلباً للرزق ، ولكن قبل أن يسافر أراد أن يضع امرأته في أيدٍ أمينة ، لأنه خاف من جلوسها وحدها في البيت ، فهي امرأة لا حول لها ولا قوة إلا بالله! فلم يجد غيرَ أخ له من أمه وأبيه. فذهب إليه وأوصاه على زوجته ، وسافر. ولم ينتبه لحديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم : (الحمو الموت)! ومرت الأيام ، وخان هذا الأخ أخاه ، فراود الزوجة عن نفسها ، إلا أن الزوجة أبت أن تهتك عرضها وتخون زوجها! فهددها أخو الزوج بالفضيحة إن لم تطيعه ، فقالت له: افعلْ ما شئت فإن معي ربي! وعندما عاد الرجل من سفره ، قال له أخوه على الفور أن امرأتك راودتْني عن نفسي ، وأرادت خيانتك إلا أنني لم أجبْها! طلق الزوج زوجته من غير أن يتريث ، ولم يستمع للمرأة ، وإنما صدّق أخاه. فانطلقت المرأة .. لا ملجأ لها ولا مأوى. وفي طريقها مرت على بيت رجل عابد زاهد. فطرقت عليه الباب .. وحكت له الحكاية .. فصدقها وطلب منها أن تعمل عنده على رعاية ابنه الصغير مقابل أجر.. فوافقت في يوم من الأيام خرج هذا العابد من المنزل.. فأتى الخادم وراود المرأة عن نفسها ، إلا أنها أبت أن تعصي الله خالقها. وقد نبهنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. فهددها الخادم بأنه سينال منها إذا لم تجبه. وعندما جاء العابد قال له الخادم: يا سيدي هذه امرأة سيئة ، فلقد راودتْني عن نفسي! فصدقه العابد ، إلا أنه احتسب الأجر عند الله سبحانه وتعالى. وعفى عنها. وأعطاها دينارين كأجر لها على خدمتها له في هذه المدة ، وأمرها بأن تخرج من المنزل. إلا أنها ظلت على صمودها ، فقام الخادم بقتل الطفل قال تعالى: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين). خرجت المرأة من بيت العابد وتوجهت للمدينة فرأت عدداً من الرجال يضربون رجلاً بينهم. فاقتربتْ منهم وسألتْ أحدهم. لمَ تضربونه؟ فأجابها بأن هذا الرجل عليه دين ، فإما أن يؤديه وإما أن يكون عبداً عندهم فسألته: وكم دينه؟ قال لها: إن عليه دينارين قال لها: إن عليه دينارين قال لها: إن عليه دينارين. فقالت: إذن أنا سأسدد دينه عنه دفعت الدينارين ، وأعتقت هذا الرجل ، فسألها الرجل الذي أعتقته: من أنت؟ فروتْ له حكايتها ، فطلب منها أن يرافقها ، ويعملا معاً ويقتسما الربح بينهما ، فوافقتْ! قال لها: إذن فلنركب البحر ، ونترك هذه القرية السيئة ، فوافقت. وعندما وصلا للسفينة أمرها بأن تركب أولاً ، ثم ذهب لربان السفينة ، وقال له بأن هذه جاريته ، وهو يريد أن يبيعها! فاشتراها الربان ، وقبض الرجل الثمن ، وهرب. وتحركت السفينة. فبحثت المرأة عن الرجل ، فلم تجده ، ورأت البحارة يتحلقون حولها ، ويراودونها عن نفسها ، فتعجبت من هذا الفعل ، فأخبرها الربان بأنه قد اشتراها من سيدها ، ويجب أن تطيع أوامره الآن ، فأبت أن تعصي ربها وتهتك عرضها ، وهم على هذا الحال إذ هبت عليهم عاصفة قوية ، أغرقت السفينة فلم ينجو من السفينة إلا هذه المرأة الصابرة ، وغرق كل البحارة .. وكان حاكم المدينة في نزهة على شاطئ البحر في ذلك اليوم ، ورأى هبوب العاصفة مع أن الوقت ليس وقت عواصف ، ثم رأى المرأة طافية على لوح من بقايا السفينة ، فأمر الحرس بإحضارها ،

وفي القصر أمر الطبيب بالاعتناء بها ، وعندما أفاقت سألها عن حكايتها. فأخبرتْه بالحكاية كاملة ، منذ خيانة أخو زوجها إلى خيانة الرجل الذي أعتقته ، فأعجب بها الحاكم وبصبرها ، وتزوجها وكان يستشيرها في كل أمره فلقد كانت راجحة العقل سديدة الرأي ، وذاع صيتُها في البلاد ومرت الأيام . وتوفي الحاكم الطيب. واجتمع أعيان البلد لتعيين حاكم بدلاً عن الميت ، فاستقر رأيهم على هذه الزوجة الفطنة العاقلة فنصبوها حاكمة عليهم ، فأمرتْ بوضع كرسي لها في الساحة العامة في البلد ، وأمرتْ بجمع كل رجال المدينة وعرضهم عليها ، بدأ الرجال يمرون من أمامها فرأت زوجها. فطلبتْ منه أن يتنحى جانباً ، ثم رأت أخو زوجها. فطلبت منه أن يقف بجانب أخيه ثم رأت العابد. فطلبت منه الوقوف بجانبهم. ثم رأت الخادم. فطلبت منه الوقوف معهم. ثم رأت الرجل الخبيث الذي أعتقته. فطلبت منه الوقوف معهم ثم قالت لزوجها: لقد خدعك أخوك ، فأنت بريء ، أما هو فسيجلد ، لأنه قذفني بالباطل! ثم قالت للعابد: لقد خدعك خادمك ، فأنت بريء. أما هو فسيقتل ، لأنه قتل ابنك! ثم قالت للرجل الخبيث: أما أنت فستحبس نتيجة خيانتك وبيعك لامرأةٍ أنقذتك! وبقطع النظر هل هذه قصة حقيقية أم هي من نسج الخيال! تظل قصة تحتوي على دروس وفوائد وعظات عظيمة! كما قلتُ بقطع النظر عن مدى مصداقيتها ، وأن فيها ما يخالف الشرع سُنة وكِتاباً أحياناً ، أو المنطق أحياناً أخرى! لنكن مع المَغزى والهدف فهذا أسلكُ سبيل للفهم! إذ لا يكاد يوثق من قصتها سوى اسمها: العَنود!)

شِـــعرُ فـــاخرْ كـــلَّ النســـا بـــالعَنودِ ... فـــي سَـــجاياها غـــنّ عـــذبَ نشـــيدِ

أقســـمتْ أن لا تســـتكين لحـــال ... أو عـــذاباتٍ كـــالردى ، أو قيـــود

كابـــدتْ فـــي العـــيش البئـــيس احتســـاباً ... حِـــرتُ جـــداً فـــي سَـــعيها المحمـــود

كـــم تـــرَدّتْ حـــولَ (العنـــود) فئـــامٌ ... غيـــرَ رَهـــطٍ مِـــن الكِـــرام الصِـــيد!

كـــم تـــدَنّتْ خلائـــقٌ لـــيس تُحصـــى ... وهْـــيَ كلمـــى ، تنعـــى جـــراحَ الصـــمود!

كـــم تمـــادتْ فـــي جـــدّها والتحـــدي ... دون رُعـــب يُزجيـــهِ أشـــقى العبيـــد!

كـــم سَـــعتْ ـ فـــوق الشـــوك ـ دون اكْتـــراثٍ ... لا تُبـــالي بـــالموت مثـــل الأســـود!

كـــم تمنّـــتْ صـــلاحَ حـــال وزوج ... والأمـــاني بـــاءتْ بضـــنكٍ أكيـــد!

كـــم تعـــزتْ بالصـــبر يُضـــفي عليهـــا ... كـــل حُسْـــنى مِـــن خيـــره المَعهـــود!

ســـافر الـــزوجُ ، ثـــم أوصـــى وَضـــيعاً! ... والوضـــيعُ لـــم يـــرعَ شـــأن (العنـــود)!

مـــا ارعـــوى للأخـــلاق تحمـــي بنيهـــا ... مِـــن سُـــقوطٍ مـــا منـــهُ أي صـــعود!

غـــازلَ الفضـــلى كـــي تـــذل وتخـــزى ... مُستســـيغاً مـــا اسْـــطاع مـــن مجهـــود!

لكـــن العصـــما مـــا اســـتجابتْ لنـــذل ... واسْـــتهانتْ بمـــا تـــلا مـــن وعيـــد

خوفتْهـــــه بـــــالله ، لكـــــنْ تمـــــادى ... فـــــي دروب الغـــــي الرذيـــــل البليـــــد

وافتـــــرى لمّـــــا قـــــال: ذِي راودَتْنـــــي ... ثـــــم راجـــــتْ أكذوبـــــة العِربيـــــد!

والأخ انصـــــاعَ ، لـــــم يُكَـــــذبْ حـــــديثاً ... قـــــال سِـــــيري فـــــي الأرض سَـــــيرَ الشـــــريد

لســـــتِ منـــــي ، ففـــــارقيني مَلِيـــــاً ... قـــــد علمـــــتِ يـــــا زوجتـــــي مَقصـــــودي!

ثـــــم بثـــــتْ لعابـــــدٍ مُشـــــتكاها ... قـــــال: فلتهتمـــــي بطفلـــــي الوحيـــــد

ماتـــــتِ الأمُ ، والحنـــــانُ تـــــولى ... فـــــامنحي الطفـــــلَ عطـــــفَ أم وَدود!

خـــــادمي لـــــم يَمنحْـــــهُ أي حنـــــان ... والحنـــــانُ لا يُشـــــترى بـــــالنقود!

ثـــــم جـــــاء الـــــبلاءُ يســـــعى حَثِيثـــــاً ... عنـــــدما شَـــــبّتْ نـــــارُه مـــــن جديـــــد

خـــــادمُ الشـــــيخ قـــــال: آخـــــذ حظـــــي ... إن خلـــــوتُ يومـــــاً بهـــــذي الخـــــرود!

قلـــــتِ كـــــلا ، يـــــا أسْـــــودَ الوجـــــه ، فـــــاغربْ! ... لســـــتُ نهْبـــــاً للبـــــيض أو للســـــود!

لكـــــن العبـــــدُ حـــــاك أخـــــزى افتـــــراءٍ ... يـــــا لـــــه مِـــــن وَغـــــدٍ حقيـــــر مُريـــــد!

قتـــــلَ الطفـــــلَ بانتقـــــام مَريـــــر ... لهـــــفَ قلبـــــي علـــــى الصـــــبيّ الوليـــــد!

ثـــــم قـــــال للشـــــيخ: أرْدَتْ غلامـــــاً ... والـــــدما ســـــالت مِـــــن زكِـــــيّ وَريـــــد!

فارتـــــأى الشـــــيخُ أنْ يُخلـــــيْ ســـــبيلاً ... للتـــــي حَلـــــتْ دارَه مـــــن بعيـــــد!

ثـــــم أعطـــــاكِ الأجـــــرَ منـــــه احتســـــاباً ... فانطلقـــــتِ بـــــين القـــــرى والبيـــــد!

تنشـــــدُين داراً وأهـــــلاً ومـــــالاً ... بعـــــد نُجْـــــح لخُطـــــة الرعديـــــد!

فـــــإذا تحـــــت الســـــوط عبـــــدٌ يُقاســـــي ... ويـــــحَ عبـــــدٍ مُكَبّـــــل مَصـــــفود!

قِيـــــلَ فـــــي دينـــــارين هـــــذي الرزايـــــا ... قلـــــتِ: فكـــــوا القيـــــودَ ، هـــــذي نقـــــودي!

وانتظـــــرتِ حتـــــى يـــــرد جمـــــيلاً ... مَـــــن تخطفـــــتِ مـــــن عـــــذاب شـــــديد!

لكـــــن النـــــذلُ خـــــان مَـــــن أنقذتْـــــهُ ... وارتضـــــى أن يبيعهـــــا بالزهيـــــد

واعتـــــدى القبطـــــانُ الســـــفيهُ عليهـــــا ... وسْـــــط أوغـــــادٍ غـــــازلوا كـــــالقرود!

فاســـــتجارتْ بـــــالله مـــــن شـــــر قـــــوم كيـــف يشـــقى مـــن يلتجـــي للمجيـــد؟!

فـــــإذا بـــــالأمواج تُغـــــرقُ فلكـــــاً مـــا نجـــا فـــردٌ منـــه غيـــرُ العنـــود!

إن هـــــــذا إنقـــــــاذ رب البرايـــــــا للتـــي عاشـــت فـــي حِمـــى التوحيـــد!

واسْـــتميتِ فـــي العـــيش نحـــو المعـــالي عشـــتِ فـــي قصـــر مُسْـــتنيفٍ مَشِـــيد!

ثـــــم أبـــــدِلتِ مـــــن حليـــــل ســـــفيهٍ بحليـــــــل ذي صـــــــولةٍ صـــــــنديد

عـــــاش رَدحـــــاً مـــــن الزمـــــان أليفـــــاً فـــــائزاً - بـــــين النـــــاس - بالتأييـــــد!

ثـــــم حانـــــت مَنيـــــة وافتـــــراقٌ والجميـــــعُ عـــــانوا فِـــــراقَ الفقيـــــد

قِيـــلَ: مَـــن يحظـــى بالإمـــارة فينـــا؟! قيـــلَ: هـــذي ، وبعـــد جهـــد جهيـــد!

رَشَـــحوكِ للحُكـــم فـــيهم ، فكانـــت دِرعُ أنثـــى تُقِـــيمُ بعـــضَ الحُـــدود!

قـــدتِ شـــعباً بالعـــدل فـــي كـــل شـــيئ ثـــم جـــاء الرجـــالُ خلـــف الجنـــود!

نـــــالَ كُـــــلٌ جَـــــزاءه دون ظلـــــم إن هـــــذا فضـــــل الحكـــــيم الحميـــــد!

تذكر يوسف وموسى!

(الأمهات الواعيات الراشدات هن من ينصحْن لأولادهن ولبناتهن ، ولا يتركوهم هملاً كالغنم الشاردة! وكم من نصيحةٍ فذةٍ مخلصةٍ لأم حريصةٍ فقيهةٍ واعيةٍ طالبة علم ، صحّحتْ دربا ، وغيّرت مساراً ورسّخت قيماً! فهذه أم تُذكّر ابنها بعفة يوسف وشهامة موسى! أرادتْ إحدى الصالحات أن تنصح لابنها الشاب في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره ، فقالت له: (أثناء خروجك من البيت يا بُني ، ستلقى صِنفين من النساء: الصنف الأول: امرأة قد ابتليت بمرض امرأة العزيز. قد تجملت وتعطرت وتبرجت ، ولسان حالها يقول لرائيها: "هيت لك". والصنف الثاني: امرأة قد تسترت وتحجبت ، ولكن ألجأتْها الظروف للخروج لقضاء حوائجها ، ولسان حالها يقول: "حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير"! فمع الصنف الأول تصرف كتصرف يوسف عليه السلام ، غض بصرك وقل: "معاذ الله". ومع الصنف الثاني تصرف كتصرف موسى عليه السلام ، قدّم المساعدة بأدب ، وامض في حاجتك! "فسقى لهما ثم تولى إلى الظل". فإن "عفة يوسف" كانت سبباً في أن أصبح عزيز مصر. و"شهامة موسى" كانت سبباً في أن رزقه الله الزوجة الصالحة والمأوى! ودائماً يا بُني ادعُ بهذا الدعاء! "اللهم ارزقنا العفاف والستر". وخذها مني موعظة: إن ملابس المرأة تحكي تربية أبيها ، وغيرة أخيها ورجولة زوجها ، وحرص ومتابعة والدتها ، وقبل هذا كله استشعارها بمراقبة الله لها ، ولذلك قالوا لمريم "يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوءٍ وَمَا كَانَت أُمُّكِ بَغِيًّا". ذكروها بأخيها وأبيها وأمها. ففي صلاح هؤلاء صلاحها! هذا ، وقول إحدى الفتيات ممن أعرف: عندما أرىٰ فتاة تبرجت وبالغت في العُري أنظُر لوالديها وأتذكر قوله تعالى: "وقِفوهم إنهم مسؤولون". فأزيدُ حياء وحشمه منَ أجل ألا تُسأل أمي وأبي عن تبرجي يوماً! يا بني إن معظم ما حرم الله علينا في الدنيا ، أباحه في الجنة كالخمر ، إلا (العري) ، فإن الله حرمه في الدارين ، بل إن من النعيم زيادة التستر "إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى".) فلما أعجبتني هذه الوصية الجميلة ، لاح لي أن أترجمها شعراً ، لعلي أنفعُ بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد! ألا إن صمود المرء أمام هذه الهجمة العلمانية الإباحية الشرسة ، لمن توفيق الله!)

كُـــن عَفِيفـــاً ، واحـــذرْ جمـــالَ الصـــبايا! عِفـــةُ المَـــرءِ مِـــن جَميـــلِ المزايـــا!

وانْـــأ عـــن حُسْـــن كـــم يـــروحُ ويغـــدو إن فعلـــتَ لـــم تقتنصْـــك الخطايـــا

كـــم جمـــال أودى بعقـــل رزيـــن! والعلـــيمُ ربُ الـــورى بالخفايـــا

كـــم أنـــاس عاشـــوا أســـارى جمـــال واســـتكانوا ، بـــل نـــاولوهُ الهـــدايا!

أتقنـــوا تصـــديرَ التكلـــف دهـــراً ثـــم كـــالوا الأمـــداحَ بعـــد التحايـــا

وارتضـــوا عـــيشَ الـــذل سِـــراً وجهـــراً لـــم يعيشـــوا لمبـــدأ أو قضـــايا

أزبـــدَ العشـــقُ فـــي القلـــوب ، وأرغـــى ولفـــرط الإعجـــاب بـــاتوا خزايـــا

صـــاح حـــاذر مـــن أن تكـــون وَضِـــيعاً لاهثـــاً خلـــفَ ســـاقطات الصـــبايا

لا تمِـــل مَـــيلاً قـــد يُحِيلـــك وَغـــداً ... همُّـــــه أن يســـــعى وراء البغايـــا!

(يوسُـــفُ) الحُسْـــن نُصـــبَ عينيـــك رَمـــزٌ ... للتحلـــــي بطيّبـــــات الســـــجايا

جـــاءه الحُسْـــنُ بـــاذلاً مـــاءَ وجـــهٍ ... مُفصِـــحاً عمّـــا خبّأتْـــه الطوايـــا!

طالبـــاً منـــه مـــا اشـــتهى مِـــن سُـــقوطٍ ... والأمـــورُ فاحـــتْ بســـوء النوايـــا

والعفيـــفُ المصـــروفُ عـــن كـــل سُـــوءٍ ... كيـــف يغشـــى الفحشـــا ويرضـــى الـــدنايا؟

لـــم يُطـــغْ نفســـاً كـــم تُحِـــب وتهـــوى! ... قـــال: كـــلا ، وخـــافَ رب البرايـــا!

وتـــذكرْ (موســـى) ، وقـــد كـــان فـــرداً ... إذ رأى ـ بـــين النـــاس ـ ضـــعف الولايـــا

قـــدّمَ العـــونَ بـــاحترام وبـــذل ... ضـــارعاً للمـــولى بمُـــر الشـــكايا

ثـــم جـــاءتْ إحـــداهما فـــي احتشـــام ... كـــي يُجـــازى علـــى جميـــل العطايـــا

والمجـــازاة زوجـــة ، ثـــم رَعـــيٌ ... والنجـــاة مـــن داجيـــات البلايـــا

كُـــنْ كمِثْـــل الشـــهمين سَـــدّدْ ، وقـــاربْ ... وانْـــأ بـــالنفس عـــن جميـــع الـــدنايا

قصـــصُ القـــرآن الكـــريم مَنـــارٌ ... كـــم حـــوتْ نـــوراً طيبـــاتُ الحَكايـــا

كـــم لخيـــر مُحَقـــق أرشـــدتْنا ... بعـــد أن خصـــتْنا بعـــذب الوصـــايا!

جرح المتهم البرئ!

(ينبغي أن يسود مبدأ التثبت والتحقق في كل ما تتطرق إليه أسماعنا! وعندئذٍ فقط لا يستقرُ في الضمائر إلا الحق والحقيقة! أما عندما نصدق الوشاة والكذابين والوضاعين في كل ما يقولون فلا تُحمد عقبى ظلم الناس وتضييع حقوقهم وتلبيس الحق بالباطل! أما عندما نتثبت فعندئذ توضعُ الأمور في نصابها! لقد استجابتْ هذه الزوجة المتهورة لإفك الأفاكين وتخريص المتخرصين ووضع الوضاعين وانتحال المبطلين وشبه الغالين عن زوجها البائس الغافل الحزين! فظلمتْه ظلماً مبيناً عندما صدقتهم جميعاً في افتراءاتهم وتخرصاتهم وشائعاتهم عنه! ثم تبينتْ لها الحقيقة بعد ذلك! فندمت ولكن بعد فوات الأوان! واعتذرت فكان اعترافها باهتاً هزيلاً لا ينم عن زوجة عاقلة رزينة بقدر ما ينم عن زوجة ساذجة متهورة عندها خفة في العقل ونزق في التصرفات! ويقول أندريه روسان: (إن هناك لحظة في الحياة نكرة فيها الكذب أشد الكرة إنها اللحظة التي يكذب فيها علينا أحدهم. وتقول أنجيلا ميركل: (إذا لم يستطع الإنسان أن يخترع كذبة مقنعه ، فأولى به أن يتمسك بالصدق!) ألا وإن كذب اللسان من فضول كذب القلب ، فلا تأمن الكاذب على ود ، ولا تثق منه بعهد ، واهرب من وجهه الهرب كله ، وأخوف ما أخاف عليك من خلائك واستجرائك! عرف الحكماء الكذب بأنه مخالفة الكلام للواقع ولعلهم أرادوا في هذا التعريف الحقيقة العرفية ولو شاؤوا لأضافوا إلى كذب الأقوال كذب الأفعال. لا فرق بين كذب الأقوال و كذب الأفعال في تضيل العقول والعبث بالأهواء وخذلان الحق واستعلاء الباطل عليه ، ولا فرق بين أن يكذب الرجل فيقول: إنني ثقة أمين لا أخون ولا أغدر ، فأقرضني مالاً أرده إليك ، ثم لا يؤديه بعد ذلك وبين أن يأتيك بسبحة يهمهم بها ، فتنطق سبحته بما سكت عنه لسانه من دعوى الأمانة والوفاء ، فيخدعك في الثانية كما خدعك في الأولى! لا بل يستطيع كاذب الأفعال أن يخدعك ألف مرة قبل أن يخدعك كاذبُ الأقوال مرة واحدة ، لأنه لا يكتفي بقول الزور بلسانه ، حتى يقيم على قضيته بينة كاذبة من جميع حركاته وسكناته! ليس الكذب شيئاً يُستهان به فهو أس الشرور ورذيلة الرذائل ، فكأنه أصل والرذائل فرع له ، بل هو الرذائل بعينها ، وإنما يأتي في أشكال مختلفة ، ويتمثل في صور متنوعة. المنافق كاذبٌ لأن لسانه ينطق بغير ما في قلبه ، والمتكبر كاذبٌ لأنه يدعي لنفسه منزلة غير منزلته ، والفاسق كاذبٌ لأنه كذب في دعوى الإيمان ونقض ما عاهد الله عليه ، والنمام كاذبٌ لأنه لم يتق الله في فتنته فيتحرى الصدق في نميمته ، والمتملق كاذبٌ لأن ظاهره ينفعك وباطنه يلذعك! لقد هان على الناس أمر الكذب حتى إنك لتجد الرجل الصادق فتعرض على الناس أمره وتطرفهم بحديثه كأنك تعرض عجائب المخلوقات ، أو تتناول عجائب الدنيا السبع ، أو تتحدث بخوارق العادات. فويل للصادق من حياةٍ نكدةٍ لا يجد فيها حقيقة مستقيمة ، وويل له من صديق يخون العهد ورفيق يكذب الود ومستشار غير أمين وجاهل يُفشي السر ، وعالم يحرف الكلم عن مواضعه ، وشيخ يدعي الولاية كذباً ، وتاجر يغش في سلعته ويحنث في ايمانه وصحفي يتجر بعقول الأحرار ، كما يتجر النخاس بالعبيد والإماء ، ويكذب على نفسه وعلى الله وعلى الناس في كل صباح ومساء! وشيشرون قال: (الأصل أن الكاذب لا يُصدّق حتى ولوقال الصدق! وقال إبراهام لنكولن: (تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت أو بعض الناس كل وقت ، ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت. وقال جورج برناد شو: (الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب). وقال أرسطو: (يكره الناس من يضطرونهم إلى الكذب عليهم). وقال فيكتور هيغو: (ليست عقوبة الكذب أن الناس لا يصدقونه ، بل إنه هو لا يستطيع أن يصدق

الناس! فأنشدت هذه القصيدة حكاية على لسان زوجها الذي قبل اعتذارها على مَضض! فماذا قال لها مقرعاً وعاتباً؟! وقبل أن نطالع النص أحب أن أهمس في أذن كل زوج وزوجة أن يتعلم مبدأ التثبت والتحقق ، الذي هو شعيرة من شعائر ديننا الحنيف ، قبل أن يتهور ويندم!)

ضـــمّدِي جُرحـــي ، فمـــا قلـــتِ كفـــى ... إن دمعـــيَ - فـــي البلـــوى - اختفـــى

غيَّـــبَ الواشـــون ذِكـــرى فـــذةٍ ... صـــاغها الـــذكرُ وهَـــديُ (المصـــطفى)!

جَنـــدَلوا بالإفـــك وَعْيـــاً نابهـــاً ... لـــم يجـــد عـــن إفـــك غوغـــا مَصـــرفا

وانطلـــى الزيـــفُ علـــى مَهديـــةٍ ... ولظـــى التضـــليل أودى بالوفـــا

كيـــف راجـــتْ فتنـــة مَســـعورة ... طرحـــتْ أرضـــاً حِمانـــا والصـــفا؟!

كيـــف صـــدقتِ أباطيـــلَ الغثـــا؟ ... هـــل غـــدا الصـــدقُ يُحـــاكي الزخرفـــا؟

كيـــف أنصـــتّ لمـــا هـــم دَجّلـــوا؟ ... إن دَورَ العقـــل أن يَستكشـــفا

ثـــم بانـــتْ خِدعـــة مَمقوتـــة ... والفـــؤادُ البـــر – للرُجعـــى – هفـــا!

بعـــد أن أهـــدرتِ بالســـوآى دمـــي ... وجراحـــي قـــررتْ أن تنزفـــا

دم مظلـــوم بـــرئ لـــم يـــزل ... يشـــتكي مَـــن عنـــه إفكـــاً زيّفـــا

هـــل سيُرضـــيني اعتـــذارٌ باهـــتٌ ... لكُليمـــاتٍ تلـــوكُ الأحرُفـــا؟!

وجراحـــي هـــل ســـيَطويها البكـــا؟! ... والـــدموعُ هـــل ســـتُهديها الشـــفا؟!

خِفـــة العقـــل تُصَـــلّي أهلهـــا ... ومصـــيرُ البُلـــهِ أمســـى مُؤســـفا

كِذبـــة الواشـــي تُدَسّـــي أمّـــة ... وبهـــا استشْـــرتُ عـــذاباتُ الجَفـــا

كـــم بهـــا أبيـــاتُ قـــوم خرّبـــتْ ... وغـــدتْ - فـــي الأرض - قاعـــاً صفصـــفا!

كـــم بهـــا أرواحُ قـــوم أزهقـــتْ ... وبهـــا اســـتدعى البغـــاة الأســـيُفا!

زوجتـــي جـــدّي ، ولا تســـتنكفي ... خـــابَ مـــن عـــن هـــدْي ربـــي اســـتنكفاّ!

حكاية الجرسونة (روزا)!

(إن حكاية الجرسونة (روزا) لحكاية الحكايات ، وقصة القصص ، ورواية الروايات! وهي بعد ذلك قصيدة القصائد! هناك في مطعم بإحدى الولايات الامريكية ناولت نادلة (جرسونة) المطعم (روزا) قائمة طعام الغداء إلى رجل وزوجته ، وقبل أن يَطلعا على القائمة ، سألاها أن تعرض عليهما أرخص طبقين ، وقِنينة ماءٍ يقتسمانها ، وذلك لكونهما لا يمتلكان مالاً كافياً إثر عدم حصولهما على راتبهما منذ عدة أشهر ؛ بسبب تحدياتٍ ماليةٍ تواجهها الجهة التي يعملان لديها. وهنا لم تفكر النادلة (روزا) طويلاً. بل اقترحت عليهما طبقين ، فوافقا بلا ترددٍ ما داما هما الطبقان الأرخص في ذلك المطعم الراقي. جاءت (روزا) بالطلبين وتناولاهما بنهم ، وقبل أن يغادرا طلبا من النادلة الفاتورة. فعادتْ إليهما ومعها ورقة داخل المحفظة الخاصة بالفواتير كتبت فيها ما معناه: "دفعت فاتورتكما من حسابي الشخصي مراعاة لظروفكما. وهذا مبلغ مائة دولار هدية مني وهذا أقل شيءٍ أقوم به تجاهكما. شكراً للطفكما. التوقيع الجرسونة سارة". وكان الزوجان في غاية السعادة ، وهما يغادران المطعم. واللافت في الموقف السابق أن (روزا) شعرت بسعادةٍ غامرةٍ لدفعها مبلغ فاتورة طعام الزوجين ، على الرغم من ظروفها المادية الصعبة هي الأخرى ، فهي تدخر منذ عام تقريباً قيمة غسالة أتوماتيك تود أن تشتريها! وأي مبلغ تُهدره فسيؤجل موعد اقتنائها لهذا الجهاز الحلم بالنسبة لها ، فهي تغسل الثياب بغسالةٍ قديمة. ولكن أكثر ما أحزنها هو توبيخ صديقة (روزا) لها عندما علمت بالموضوع. فقد نددتْ بتصرفها الغريب العجيب ؛ لأنها حرمتْ نفسها وطفلها من مال هي أحوج إليه من غيرها لشراء الغسالة. وقبل أن يتغلغل الندم إلى داخلها إثر احتجاج رفيقة عمرها على مبادرتها تلقتْ اتصالاً من أمها تقول لها بصوت عالٍ: "ماذا فعلت يا (روزا)؟" ردت بصوتٍ خفيض ومرتعش خوفاً من صدمةٍ لا تحتملها: "لم أفعل شيئاً. ماذا حدث يا ماما؟" فأجابت أمها: "يشتعل "الفيسبوك" إشادة بكِ ومدحاً لتصرفك. سيد وزوجته وضعا رسالتك لهما على الفيسبوك بعد أن دفعتِ الحساب عنهما في حسابهما وتناقلها الكثيرون. أنا فخورة بكِ يا ابنتي". ولم تكد تنتهي من محادثتها مع أمها حتى اتصلت عليها صديقة دراسة تشير إلى تداول رسالتها بشكل فيروسي في جميع المنصات الاجتماعية الرقمية. وفور أن فتحتْ سارة حسابها في "فيسبوك" وجدت مئات الرسائل من منتجين تلفازيين ومراسلين صحافيين يطلبون مقابلتها للحديث عن مبادرتها المميزة. وفي اليوم التالي ظهرت (روزا) على الهواء في أحد أشهر البرامج التلفزيونية الأمريكية وأكثرها مشاهدة. منحتْها مقدمة البرنامج غسالة فخمة جداً وجهازاً تلفازياً حديثاً وعشرة آلاف دولار. وحصلت من شركة إلكترونيات قسيمة شراء بخمسة آلاف دولار. وانهالت عليها الهدايا حتى وصلت إلى أكثر من 100 ألف دولار تقديراً لسلوكها الإنساني العظيم. تكلفة وجبتي طعام لم تكلفها أكثر من بضع دولارات + 100 دولار غيّرت حياتها. ليس الكرم أن تعطي ما لا تحتاج ، وإنما أن تعطي ما أنت في أشد الحاجة إليه. فما أن طالعتُ القصة في مجلة النيوزويك حتى كتبتُ قصيدتي!)

قلـــــــدْتُ (روزا) مِـــــــدحَتي وثنـــــــائي ... وخصَصْـــــــتُها بروائـــــــع الإطـــــــراءِ

وقصصـــــــتُ قِصّـــــــتها بكـــــــل شـــــــرافةٍ ... وأبنـــــتُ جـــــوهرَ مـــــا احتـــــوتْ للرائـــــي

وبـــــذلتُ فيهـــــا مـــــن عظـــــيم تجـــــاربي ... فـــــي الشـــــعر ، أبـــــدِي همتـــــي ووفـــــائي

كـــــي تســـــمعوا أصـــــداءَها مَلحونـــــة ... فبـــدأتُ مـــن ألـــف الصـــدى لليـــاء!

(روزا) التـــي عملـــتْ هنـــا (جرســـونة) ... كـــــي لا تـــــذوقَ لـــــواعجَ الأرزاء

تُهـــدي الزبـــائنَ لينَهـــا وجهودَهـــا ... كـــي ينعمـــوا بتلطـــفٍ وهنـــاء!

حتـــى أتـــى رجـــلٌ وزوجتُـــه لهـــا ... طلبـــاً رخـــيصَ طعامهـــا والمـــاء!

فاستشـــعرتْ فقـــراً يَؤزهمـــا معـــاً ... فتكلفـــتْ فـــي غِبطـــةٍ شـــمّاء

وتـــذكرتْ فقـــراً يُصـــارعُ أهلهـــا ... فـــي مأكـــل ومَشـــارب وثـــواء!

فأتـــتْ بأشـــهى وجبـــةٍ مدفوعـــة ... وهديـــةٍ تمحـــو بُعَـــيضَ بـــلاء!

فـــإذا بقصّـــتها يُطالعُهـــا الـــورى ... وإذا بهـــا خُصّـــتْ بخيـــر حِبـــاء

سِـــيقتْ لهـــا أحلـــى الهـــدايا ، أهلهـــا ... قـــد أعجبـــوا بصـــنيعها الوضّـــاء!

كـــانوا ضـــحية جُودهـــا وســـخائها ... إذ أعطـــتِ الـــزوجين خيـــرَ عطـــاء

ولـــذاك مـــا بخلـــوا عليهـــا لحظـــة ... بـــل أغـــدقوا مِنحـــاً مـــن النعمـــاء!

فـــإذا بـــ (ـــروزا) تزدهـــي فـــي عِيشـــةٍ ... نُسِـــجتْ مـــن الخيـــرات والآلاء!

هـــذي الحكايـــة عِبـــرة وضّـــاءة ... للمُسْـــكين الطغمـــة الـــبُخَلاء!

النـــاسُ أحبـــابٌ لمـــن بســـط العطـــا ... هـــل فـــي الـــدنا كالســـادة الكُرَمـــاء؟!

جـــادوا ، فبـــارك جُـــودَهم رب الـــورى ... والجُـــودُ لـــيس بكثْـــرةٍ وثـــراء!

الجُـــودُ طبـــعٌ فـــي نفـــوس أكـــارم ... اليـــوم هـــم يحْيَـــون كالغربـــاء!

رب اهـــدِ (روزا) للحنيفـــة والهُـــدى ... والشـــرعة الخيريـــة الســـمحاء!

ذاتُ النقاب والفارس!

(نشأت هذه الموفقة الصالحة المنتقبة في بيئة بدوية من بوادي العرب! وابتُليتْ هذه المرأة بزوج ظالم متهور ، لا يَكُف عن النيْل منها صباح مساء لأتفه الأسباب! وفي كل مرةٍ تصبرُ وتحتسب ، إلى أن بلغ الأمرُ منتهاه ، وبلغ السيلُ الزبى ، فطلبتْ من أخيها في الرضاعة وكُنيته (أبو النصر) أن يتدخل وسيط سلام بينهما ، وأبو النصر هو عَلَمٌ في قبيلته وسيدٌ فيها ، وهو فوق ذلك كله رجلٌ على خلق ودين وعلم وتقوى ويُضاف إلى ذلك أنه الرجل الوحيد في القبيلة الذي له تأثيرٌ كبير على زوجها بحكم قرابته من زوجته ، وبحكم تجارته في البعران والتي هي أيضا تجارة زوجها! وجاء أبو النصر دارها بناءً عن طلبها ، وحل عليهما ضيفاً ، فأحسنا استقباله على طريقة البدو في البادية! وبعد الطعام والشراب والقهوة دارت رحى النقاش ، فاستمع إلى ختنه (زوج أخته) أولاً ، ثم استمع منها! وأدرك بالبديهة أن مع أخته الحق فقضى لها! فانفعل زوجها انفعالاً شديداً ، وأهان أبا النصر بكُليماتٍ مُوجعات! فقام من المجلس وانصرف ، وأراد العودة إلى داره في أقصى البادية! فتبعتْه أخته عَدْواً وراء الفرس ، وحملتْه على العودة قائلة: السادة لا يغضبون لحظوظ أنفسهم! والوسطاء يصبرون ويتحملون جهل وطيش ونزق الخصوم! والمصلحون لا يعنيهم إلا هدف مجيئهم وهو الصلح فقط! قالت له ذلك بحُرقةٍ شديدةٍ ، رجاء أن يعود فيصلح الله به! فكتبتُ أحكي قصتها على لسانها شعراً! وتحت عنوان: (نصرة المظلوم) يقول الأستاذ حسان أحمد العماري ما نصه: (لقد حرص الإسلام أن يعيش أبناؤه في ترابطٍ وتعاون وتناصر ، حتى يسود المجتمع الأمن والأمان والمحبة والحنان. فالحقوق محفوظة ومصونة ، والواجبات معروفة ومطلوبة ، من شأنها أن تشد الروابط بين المسلمين وتزيد الألفة فيما بينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، وتحفظ وحدتهم وتصون كرامتهم ، وتحفظ حقوقهم ذلك أن المؤمن شأنه أن يعيش عزيزاً ، فهو يحمل رسالة عظيمة وينتمي لأمة عظيمة ورسوله صلى الله عليه وسلم أعظم الرسل! يقول الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلذين مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سيمٰهُمْ في وُجُوهِهِمْ مّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ في ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ في ٱلإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شطأه فآزره فَٱسْتَغْلَظَ فَٱستوىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذين امنوا وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَات مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}. وبقدر تمسك الفرد منا بهذه القيم والواجبات وجعلها نظام عمل في هذه الحياة بقدر ما يكون قريباً من الله.... قريباً من خلقه. ولعل من أهم الواجبات والحقوق التي على المسلم لأخيه المسلم ما ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: حيث قال: "أمرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام ، ونصر المظلوم ، وإبرار المقسم" (رواه البخاري ومسلم). فأين نحن من القيام بهذه الحقوق والواجبات كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد نقوم ببعض هذه الحقوق مع تقصيرنا الشديد فيها فمنا من قد يزور مريض ، وآخر قد يتبع جنازة ويُشمِّت عاطساً ، وآخر قد يجيب الداعي ويبَرّ القسم.. لكن أين من ينصر مظلوما في هذا الزمان؟ انظروا في حياتنا ، في الشارع في السوق في الوظيفة في القبيلة يمارس الظالم على المستضعفين ظلمه أمام الناس ولكن لا يتحرك أحد لنصرته ولو حتى بأبسط أدواتها ووسائلها.. الكلمة والنصيحة والزجر والدلالة على الخير وبذل المعروف وكف الأذى عن صاحب المظلمة أو على الأقل أن يشعر المرء بتأنيب الضمير ويعذر إلى الله بسبب ضعفه وعدم قدرته.. ولكن تجد الكثير يتفرج ويشاهد ويسمع ولا يتأثر أو يحس أو على الأقل أن يتمعر وجهه غضباً لله وإنكاراً لهذا المنكر. ولذلك تضيع حقوق وتهدر كرامات ويشيع الظلم ويعم البلاء وتتعدد المظالم ويكثر الظلمة ويتطاول الإنسان على أخيه الإنسان دون خجل أو حياء.. إن

هذا الموقف السلبي لا يمكن أن يكون مقبولاً من أحد ، حاكم أو محكوم ، في دنيا المسلمين وحياتهم ، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: {يٰأَيُّهَا ٱلذين امنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهتديتم} ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه». (صححه الألباني في صحيح أبي داود).هـ.)
ونعود إلى بدوية قصيدتنا الحشيمة المنتقبة وهي تنادي أبا النصر أن يرجع ليحل لها مشكلتها!)

ألا ارجعْ يا(أبا النصرِ) ... ولا تعبأ بما يَجري

لماذا قمت منتفضاً؟ ... أليس يُهمُكم أمري؟

نَدبتُك أبتغي حَلاً ... فأنت – بحالتي - تدري

رجوتُك أن تبشّرَني ... فضاق الضيفُ بالبِشْر

وحَكمناك دون هوىً ... ولم نعمَدْ إلى الغير

لمسنا فيك تجربة ... وآفاقاً من الفكر

ونجماً في غياهبنا ... زها كالكوكب الدري!

وشيخاً في قبيلتنا ... به - بين الورى - فخري

وعالمنا وسيدنا ... وقائدنا إلى الخير

لماذا قمت معتذراً؟ ... أيأتي الحَل بالعُذر؟

أتيت لنا تُبّصّرُنا ... لأن الظلم يَستشري

وتطوينا مشاكلنا ... وتنهرُنا عصا القهر

فنُمْسي في دغاولنا ... زكتْ بالكر والفر

ونصبحُ في مصائبنا! ... ونارُ سعيرها يفري

وأنت اليوم فارسُنا ... تقود القومَ للنصر

وفي الشجوى لنا حَكَمٌ ... فقمْ بالبت في الأمر!

أنا قلتُ الذي عندي ... من الإهمال والضر

وزوج لا يُبادلني ... شعورَ الحُب والبِر

ولستُ أراهُ يرحمني ... من التوبيخ والزجر

ويَحْقِرُني بلا سبب ... ويجْرحُني على الفور

ويُوغِلُ في مؤاخذتي ... بلا عَدٍ ولا حَصر

أردتُك أن تُناصحَهُ ... ولو بالسر والجهر

فلا ينسى مودتنا ... وعِشْقاً بالغ القدر

ولا يَخفِرْ صداقتنا ... بيُسْر الحال والعُسرَ

وغالى الزوجُ في نقدي ... وكَشّفَ عابثاً سِتري

وأنت رَددت تُوقِفهُ ... وتعصِمُهُ من الوزر

فعابك في مراجعةٍ ... فقد نددت بالجَور

فغادرت الديار ضحىً ... على فرس بكم تجري

وصرتُ وراءها أعدو ... توقفْ يا(أبا النصر)!

وعُدْ للدار منتصراً ... لأختٍ وضعُها يُزري

وأشفِقْ يا أخى ثِقةٍ ... على وَجْعَى من الثبر

وكُن صِهراً له جَلدٌ! ... يُنالُ الخيرُ بالصبر

تحمّلْ ما أتى خَتَنٌ ... بحق الزوج والصهر

أحظ النفس يجعلكم ... وسيط الكرب والخسر؟

عهدتُك لست تخذلني ... ويُزري الخذلُ بالحُر

ودَورُك مَن سيُكْمِلهُ؟ ... أخي أوصيك بالدَور!

فناولْ أختك الحُسنى ... ألا واشدُدْ بها أزْري

رعاك الله دُمت لنا ... حليفاً فاز بالأجر!

رسالة منتقبة حكيمة!

(الحِكمة في الرجال كثيرة ، فكم سمعنا بحُكماءٍ كثيرين هنا وهناك! ولكن الحكمة في النساء قليلة! وحكيمة قصيدتنا بلغتْ من الحكمة مبلغاً عظيماً لم يبلغه بعض الرجال ، ولا معظم النساء! فقد غلبتْ صوت الشرع والعقل المنضبط بالشرع معاً! فكانت النتائجُ إيجابية! قياساً على غيرها من الحمقاوات المُتهورات في الموقف ذاته! وتبدأ قِصتُها عندما أعجبَ بها أحد الصالحين الطيبين الموفقين ، وأخِذ بنقابها وحِشمتها! وبعد سؤاله عنها ، علمَ أنها طالبة علم ودين ، كانت قد ضمّت إلى حِشمتها ووقارها العلم الشرعي ، ليس هذا فقط ، بل كان لها لونُ اجتهادٍ في الإسلام! حيث إنها كانت من الداعيات الصالحات ، في محيط أسرتها وفي قريتها المتواضعة! مما جعله يشغفُ بها أكثر! فقررَ الزواجَ منها! فذهبَ إلى أهلها ، وخطبها منهم بلا ترددٍ ، مُلبياً لهم الشروط التي يريدون ، وأقدره الله تعالى على الشروط الجاهلية المُجحفة ، التي لم يكن شرط منها في الشرع ، كما لم يكن شرط منها يُعبّر عن ابنتهم العروس الموفقة الصالحة! إنما هو استسلام الأهل لعُرف الجاهلية ، الذي حاولتِ ابنتهم صرفهم عنه ، لكنه إيمانهم بالعُرف ، واستسلامهم له ، وتحاكمهم إليه ، كان أقوى من إيمانهم بالله تعالى ، واستسلامهم له ، وتحاكمهم إليه عز وجل! وإنما نفذ لهم شروطهم حُباً في ابنتهم وتعلقاً بها ، فضحّى بالكثير من أجلها! وتم الزواجُ المباركُ الميمون! وبعد سنين عدداً ، لم يرزقه الله منها الولد ، فلقد كانت عاقراً! والتمس الطب والعلاج والتداوي ، فذهب بها إلى أعلم الطبيبات وأدق المعامل ليبدأ رحلة علاجها ، ولكن خابت آماله وخبتْ طموحاتُه! حيث حال العُقم دون تحقيق أدنى نجاح يُذكر! فقررَ - لفرط حبه لها - أن يعيش معها بلا ولد! ولكن على الأيام خانه عزمُه ، حيث اكتشفتْ زوجتُه تولهه بالأولاد ، ورغبته الجامحة في أن يكون أباً! واستنتجتْ ذلك الحال وتلك الخصيصة من أحواله ، عندما يزورُهم ضيوفٌ لهم أولاد! فكتبتْ له رسالة حكيمة تحضّه فيها على الزواج من الثانية ، وجعلتْ هذه الرسالة مباشرة على هاتفه ، فلم تستأمنْ عليها أحداً وعرضتْ عليه خيارَ إبقائها في عِصمته إن رغب ، أو تطليقها إن رغب في الخلاص منها وإنهاء علاقتهما الزوجية! وأعلمتْه أنها توافقُ على حل (الزوجتين)! لكنّ صاحبها أعرضَ ونأى بجانبه ، مُعلناً حبه لها واحترامه ، وأنه قد اكتفى بهذا الحب الجميل ، وتلك العشرة الطيبة عن طلب الأولاد! وأنه استسلم لقضاء الله وقدره راضياً بما كتب الله له من النصيب! فمازالتْ تُكرر رسالتها ، وتُلح عليه إلحاحاً ، وتطلب منه التفكير ، وزادتِ الأمرَ وضوحاً من أنها تحب الأولاد هي الأخرى! وزللتْ له السبيلَ ، موضحة أن الشقة مؤلفة من غرف ثلاث ، فليكن للزوجة الجديدة إحدى هذه الغرف! وأشارت عليه أن يدرس الأمر ويستشير العقلاء المحترمين الدينين من أصفيائه وأصدقائه ، وأن يستخير الله رب العالمين! ففعل ، واقتنع بالزواج عليها برغبتها! وإمعاناً منه في تطييب خاطرها ، أوكلَ إليها تلك المهمة من أن تختار هي ضُرتها ، وأن تكون طالبة علم مثلها! رغبة منه في تقليل المشاكل والقلاقل فيما بعد! وقد كان ، حيث اختارتْ له إحدى تلميذاتها من طالبات العلم ، كانت قد فاتها قطارُ الزواج ودخلت عقدها الثلاثين! وأرادت له أن يُضاعف أجره عند الله في التفريج على أختها العانس وفي طلب الولد! وتم الزواجُ ، ورزقه الله منها الأولاد! وكانت عِيشة الزوجتين أقربَ إلى قصص الخيال العلمي وخيالات الشعراء ، منها إلى الواقع المعاش! نعم كانت قصة هذه المنتقبة أقرب إلى قصص ألف ليلة وليلة ، منها إلى الواقع! والذي عناني من هذه القصة هو (رسالتها إليه) ، وإن كانت القصة جميلة بشخصياتها وأحداثها والدروس المستفادة منها! تلك الرسالة التي لم

يكن لي شرف تكحيل عيني بكلماتها ، بل تخيلتُ ما جاء فيها! فرحتُ أعيد صياغة الرسالة شعراً! الرسالة لا القصة! فكان تركيزي على نص الرسالة التي كتبتها له تحضه على الزواج من الثانية ، منشرحة بذلك نفساً ، ومرتاحة لذلك قلباً ، وطيبة بذلك خاطراً!)

تـــــزوجْ ، ودَعْ عنـــــك مـــــا تـــــدَّعِي! وأشـــــفقْ علـــــى قلبـــــك المُوجَـــــع!

فقلبـــــي وَعَـــــى كـــــلَ مـــــا قلتـــــه! وعقلـــــي تـــــدبّرَ فيمـــــا تعـــــي!

لمـــــاذا تُغـــــالط يـــــا صـــــاحبي؟ ولـــــيس الـــــذي قلـــــتَ بـــــالمُقنع!

تُريـــــدُ الصـــــبيَّ ، وذا مَطمـــــحٌ! ونِعـــــمَ الإرادة مِـــــن مَطمـــــح!

بـــــذلتَ الكثيـــــرَ لتحقيقـــــهِ وفاضـــــتْ ـ لِمَـــــا ترتجـــــي ـ أدمُعـــــي

لـــــذا امـــــتُحِنَ الحـــــبُ فـــــي مُقتـــــل وعَـــــذبتُ قلـــــب المُعنّـــــى مَعِـــــي

وغلّفـــــتُ بالـــــدمع أرجـــــى الـــــدعا وقلـــــتُ: أيـــــا نفـــــسُ لا تجزعـــــي!

وأيقنـــــتُ بـــــالعُقم مقـــــرورة وإن جَنـــــدلتْ صَـــــدمَتي مَضـــــجعي

وأشـــــهدتُ ربـــــي علـــــى أننـــــي رضـــــيتُ ، وإن خـــــانني مَـــــدمعي!

تـــــزوجْ بفضـــــلى لهـــــا همـــــة لتُـــــرزقَ بالطفـــــل يـــــا ألمعـــــي

وتُســـــــــعِدَ دَارَك أطفالهـــــــــا وتُصـــــبحَ فيهـــــا الأبَ اللـــــوذعي!

أنـــــا لســـــتُ غضـــــبى ، فكـــــنْ واثقـــــاً وخطـــــط لمَأملـــــك المُزمَـــــع

كفـــــاك السِـــــنيّ العِجـــــافُ انقضـــــتْ بأتراحهـــــا والأســـــى المُـــــذْقِع

ولـــــم تعتـــــرضْ قـــــط ، أو تمـــــتعِضْ ومـــــا قلـــــتَ مـــــا يَبتلـــــي مَســـــمعي!

وراجعـــــتُ نفســـــي ، وآخـــــذتُها وقلـــــتُ: أيـــــا نفـــــسُ لا تهجعـــــي!

فمـــــا كنـــــتِ للـــــزوج غشاشـــــة ومـــــا كـــــان سَـــــمتَك أن تخـــــدعي!

حنـــــينُ الأمومـــــة لـــــم يرتحـــــلْ! بظِـــــل الغـــــلام ألـــــمْ تطمعـــــي؟!

ومـــــا بعـــــتِ أخـــــرى بـــــدنيا ، لـــــذا مـــــن الصـــــدق فـــــي الحـــــب لـــــم تشـــــبعي

ومـــــا كنـــــتِ ـ للخـــــذل ـ توّاقـــــة حنانيـــــكِ بـــــالقيّم الطيّـــــع!

دَعِيـــــه يُعَـــــرّسُ ، واستبشـــــري بعـــــيش رغيـــــد الهنـــــا ممتـــــع

ألـــــم يَشـــــترعْ دينُنـــــا أربعـــــاً؟ أم أنْ التعـــــددَ لـــــم يُشْـــــرع؟!

لـــــه أربـــــعٌ دون أدنـــــى مِـــــرا وكـــــم فـــــي بُييتـــــكِ مـــــن مَرجـــــع!

أقـــــولُ: تـــــزوجْ ، وكُـــــنْ عـــــادلاً! فـــــنحن اثنتـــــان أيـــــا زوجُ ع

فعـــــدلك بـــــين اثنتـــــين إذنْ يســـــيرٌ عليـــــك ، ولا أدّعـــــي!

إذا الظلـــــمُ بـــــين اثنتـــــين بـــــدا فكيـــــف تـــــرى قـــــيّمَ الأربـــــع؟!

فـــــأبرمْ قـــــرارَك مسترشـــــداً وحَصّـــــلْ حَصـــــاناً رزانـــــاً معـــــي

وأهـــــديك أزكـــــى الســـــلام الـــــذي يُوافيـــــك بالحَـــــل والمَفـــــزع!

سامحوني أيها الأبناء!

(إن أسمى حقوق الأبناء على الآباء المسلمين أن يُحْسِن الآباء اختيارَ الأمهات والأصهار والأحساب والأنساب! فتكون الأمهاتُ طالباتِ علم ، وعلى خلق ودين بوصفهن مصانع الرجال! وإلا كانت النتائجُ وخيمة! ويكون الأصهار والأنساب طلاب علم كذلك ، وعلى خلق ودين! فقبل الإنفاق والتربية والتعليم والتوجيه والرعاية والبذل يتعين اختيار الأم الصالحة العفيفة طالبة العلم الواعية الناصحة الأمينة! وتكون من بيئة أو عائلة لها ذات المواصفات! ذلك أن جاهلة لن تُربي ، ولن تعلم ولن توجه! ومعنى جاهلة هنا ليس كونها أمية لا تقرأ ولا تكتب ، أو لم تحصل على الشهادات والدرجات العلمية! لا! وإنما جاهلة بعلوم الشرع ، بالحلال والحرام ، بالتوحيد والعقيدة. ولقد تحصل على الماجستير والدكتوراه في علوم الدنيا ، وهي لا تحسن كيف تتوضأ ، ولا تعرف شرطاً واحداً من شروط لا إله إلا الله! فضلاً عن أن تعرف الفرق بين الربوبية والألوهية ابتداءً! ولا تفقه سُنة ولا واجباً ولا مندوباً ولا مكروهاً! وإن عجوزاً تفقه العقيدة والتوحيد لأفضل بكثير من دكتورة في الجامعة لا تعرف شيئاً عن الإسلام ورسالته! وهذا الأب الذي في قصيدتنا هو رجل لم يحسن اختيار أم أولاده ولا أهلها ، فجنى الحنظل وسار على الشوك وتجرع الدم ، وجنى وأولاده منها النتائج الوخيمة! وكانت الحياة معها ضرب من ضروب الشقاء والجاهلية! وإنما الرجل أخِذ بمعسول الكلام والتشدق بالسنة ، بل الجوهر لم يكن شيئاً مذكوراً! فلقد أعجبه من أهلها صناعتهم للكلام المنمق المزخرف ، وعندما عرض الأمر على ابنتهم صمتتْ ، فأعاد الطلب فلم تُحر جواباً! فأفهمها بأن الأهل إن أجبروها فإنه قادر على إنهاء الموضوع في سلام! فإذا بها تصمت للمرة الثالثة! ففهم من ذلك أنها ليست مُغرراً بها ولا هي مُكْرهة على ذلك! وكان الزواج غير الميمون ولا المبارك ، وكانت العثرات تلو العثرات ، والنكبات تلو النكبات! وخرج الأبناء فيهم من الجاهلية ما الله به عليم ، من جَرّاء هذه الزيجة وتلك الزوجة! فاعتذر لأبنائه اعتذاراً لطيفاً ، وطلب إليهم أن يسامحوه على هذا الخطأ الجسيم الذي حرمهم التربية العقدية السليمة! وتحت عنوان: (أسس الاختيار الصحيح للزوجة والزوج) يقول الكاتب الأديب الأستاذ: عادل عبد المنعم أبو العباس ما نصه بتصرف: (هناك أسس صحيحة لاختيار الزوجة الصالحة! الأساس الأول – الدين: إن أول أساس وضعه لك الإسلام ، لاختيار شريكة العمر ، أن تكون صاحبة دين ، ذلك أن الدين يعصم المرأة من الوقوع في المخالفات ، ويبعدها عن المحرمات ، فالمرأة المتدينة بعيدة عن كل ما يغضب الرب ، ويدنس ساحة الزوج. أما المرأة الفاسدة المنحرفة البعيدة عن هدى دينها ، وتعاليم إسلامها ، فلا شك أنها تقع في حبائل الشيطان بأيسر الطرق ، ولا يؤمن عليها أن تحفظ الفرج ، أو تصون العرض ، بل إن الخطر يشتد إذا كان مع الفساد جمال ، ومع الجمال مال. من أجل ذلك بالغ الإسلام في حَثِّك أيها المسلم على اختيار ذات الدين ، وحضك على البحث عنها في كل بيت مسلم أمين. فها هو ذا رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، يبين لك أصناف الناس في اختيار المرأة ، ثم يدلك على الصواب فيقول: [تنكح المرأة لأربع: لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك] (رواه البخاري) ، فإذا صرفت نظرتك عن الدين ، ورحت تنشد الجمال وحده أو الحسب والنسب ، والجاه والمال ، فاعلم أنك مغبون ، وهمتك قاصرة. وينصح صلى الله عليه وسلم آمراً ناهياً في قوله: [لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء خرماء ، ذات دين أفضل] (رواه ا بن ماجه). فلم يضع الإسلام مقياساً "لملكة جمال العالم" لأنه لا يوجد بعد من تتمتع بإجماع آراء الرجال وإنما اكتفى بأن يكون جمال منظرها نسبياً بالنسبة لك ، وخلاصة القول أنه إذا لم يكن إلا الجمال ، من غير دين... فلا! وإذا لم يكن إلا المال ،

من غير دين... فلا! وإذا لم يكن إلا الحسب ، من غير دين... فلا! ذلك أن (جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديلٍ على قبر المجوسي)! أما إذا كان مع الدين ، جمال ، ومال وحسب فبالأولى ، ولكن مع ذلك يستهدف الدين أولاً! وقد كان أسلافنا الصالحون حِرَاصاً على ابتغاء ذات الدين ، مهما تكن عاطلاً من حلية الحسب والنسب ، والمال والجمال. وآية ذلك ، صنيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إيثاره ابنة بائعة اللبن زوجاً لابنه عاصم ، وقد كان ـ رضي الله عنه ـ يتمنى أن تكون زوجة له لو كانت به حاجة إلى زواج ، على ما روى الثقات من المؤرخين وفي طليعتهم الإمام ابن الجوزي في تأريخه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث يقول: روى ابن زيد عن جد "أسلم" قال: بينما كنت مع عمر بن الخطاب ـ وهو يعّس بالمدينة ـ إذا هو قد أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه (أي اخلطيه) بالماء ، فقالت لها ابنتها: يا أُمتاه ، أما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ، ألا يُشاب اللبن بالماء ، فقالت الأم: قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك في موضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر ، فقالت البنت لأمها: والله ما كنت لأطيعه علانية وأعصيه سراً ، وكان أمير المؤمنين ـ في استناده إلى الجدار ـ يسمع هذا الحوار فالتفت إليّ يقول: يا أسلم ، ضع على هذا الباب علامة ، ثم مضى أمير المؤمنين في عسه ، فلما أصبح ، ناداني: يا أسلم امض إلى البيت الذي وضعت عليه العلامة ، فانظر من القائلة ، ومن المقول لها؟ انظر هل لهما من رجل؟ يقول أسلم: فمضيت ، فأتيت ، الموضع فإذا ابنة لا زوج لها ، وهي تقيم مع أمها وليس معهما رجل ، فرجعت إلى أمير المؤمنين عمر فأخبرته الخبر ، فدعا إليه أولاده ، فجمعهم حوله ثم قال لهم: هل منكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ، ما سبقه أحد منكم إلى الزواج بهذه المرأة التي أُعرف نبأها ، والتي أحب لأحدكم أن يتزوجها. فقال عاصم يا أبتاه تعلم أن ليس لي زوجة فأنا أحق بزواجها ، فبعث أمير المؤمنين من يخطب بنت بائعة اللبن لابن أمير المؤمنين عاصم ، فزوجه بها ، فولدت له بنتاً تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له خامس الخلفاء الراشدين الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم أجمعين! كان من يمن هذا التصرف الكريم أن جاءت ثمرة هذا الزواج ، خليفة لا تعرف الإنسانية له نظيراً في عدالته ، وزهادته ، وسعادة رعاياه به ، ـ رضي الله عنه ـ وتسألني الآن عن صفات ذات الدين من النساء؟ وأجيبك بما قاله صفوة البشر صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بخير ما يكنــز المرء؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر اليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته ، وإذا أمرها أطاعته. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل ، خيراً له ، من زوجة صالحة: إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله]. (رواه ابن ماجه). وإذا كان هذا هو وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للمرأة الصالحة المتدينة فإنه ولا شك أنها موجودة في البيئة الصالحة الطيبة ، فإن كان رب البيت من الصالحين الأتقياء فلا بد من أن تكون بنياته من العفيفات المتدينات. والأساس الثاني: الخلق! أما الأساس الثاني لاختيار شريكة الحياة فهو أن تكون صاحبة خلق ، والحقيقة أن هذا العنصر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأساس الأول الذي هو الدين ، ذلك أن المتدينة لا بد من أن تكون صاحبة خلق ، لأن دينها سيمنعها من فحش القول ، وبذاءة اللسان ، وسوء المنطق وثرثرة الكلام ، وعلى كل فحسن الخلق أساس قويم ، ومنهج حكيم في البحث عن المرأة ، وصدق لقمان الحكيم عندما قال لولده يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب ، يا بني استعذ بالله من شرار النساء ، واسأله خيارهن فاجهد نفسك في الحصول على الصالحة الطيبة تلق السعادة أبد الحياة. والأساس الثالث ـ أن تكون بكراً: ثم إن الإسلام طالبك ورغبك بأن تكون امرأتك التي تريد الزواج بها بكراً ، وما رغب في ذلك

إلا لأن طبعك الإنساني يألف الجديد ، وينفر من امرأة مسها واحد قبلك ، ولهذا قال نبيك الكريم صلى الله عليه وسلم لصاحبه الجليل جابر بن عبدالله عندما علم أنه تزوج ثيباً: [هلا بكراً تلاعبك وتلاعبها] ، فعلل الصاحب الجليل زواجه بالثيب بأن أباه قد مات وترك له أخوات صغيرات يحتجن إلى الرعاية والعناية ، وأن الثيب في هذه الحالة أقدر على رعاية البيت ، ولولا هذا الذي قدره الله وقضاه لكانت بكراً ، وفي المرأة البكر فوائد جليلة ، ومحاسن وفيرة ، حيث إنها تجعل كل حبها لهذا الذي اختارها من بين آلاف النساء ، وما الحب إلا للحبيب الأول ، ثم إنها لم تجرب الرجال من قبل فلا شك في أنها ستمنح من يتزوج بها جميع ما تملك من مودة وحنان. والأساس الرابع: أن تكون ولوداً. ومن الأسس التي وضعها لك الإسلام ، أن تختار المرأة الولود. والولود تعرف بشيئين: الأول: خلو جسمها من الأمراض التي تمنع الحمل ، ويرجع في هذا إلى المتخصصين من الأطباء الذين هم أهل الذكر في هذا الشأن ، وهو ما رأته بعض الدول من ضرورة العرض على الطبيبات قبل الزواج! الثاني: أن ننظر في حال أمها وعشيرتها ، وأخواتها المتزوجات ، فإن كنَّ من الصنف الولود فهي ولود في الغالب - إذا أراد الله - ذلك أن للوراثة من الأدوار ما لا يخفى ، ومن أجل ذلك أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالبحث عن المرأة الولود. فعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة ، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: [تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة]. رواه أبو داود والنسائي. وعن معقل بن يسار ، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسن وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: "لا" ، ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال: [تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم] (رواه النسائي وأبو داود). والأستاذة نوال العتال تقول تحت عنوان: (معايير اختيار الزوجة) ما نصه بتصرف يسير: (الزواج سنة الله في الكون ، فبالزواج تُعمّر الأرض عن طريق التكاثر والتناسل ، كما أن الزواج يكون سكناً لكلا الزوجين ، وفيه الطمأنينة والراحة إذا كان اختيار كل من الزوج والزوجة صحيحاً ، فالمرأة تكون أمينة في مال زوجها وعرضه ، وتربي أبناءه ، وتحفظ سره ، ولهذا حثت الشريعة الإسلامية على حسن اختيار الزوجة. وهناك عدّة معايير لاختيار الزوجة: أن تكون ذات دين: فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (تنكح المرأة لأربع: لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها -ثم قال صلى الله عليه وسلم- فاظفر بذات الدين تربت يداك)، فيستحب أن تكون الزوجة ذات دين حتى تُعين زوجها على طاعة الله - عز وجل - وتربّي أبناءه تربية صالحة ، فيصلح بذلك المجتمع! الأصل والمنبت الحسن: ويعني أن تكون طيبة الأصل ، ومن عائلة طيبة وحسنة ، فهذا يؤثر على تربية الزوجة وتنشئتها. وحُسن الخُلق: بحيث تكون الزوجة صاحبة خلق حسن ، وهذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين ، فدين الزوجة يمنعها من القول الفاحش ، وبذاءة اللسان ، وثرثرة الكلام ، وسوء المنطق وقد أوصى لقمان الحكيم ولده وقال له: "يا بني ، اتّق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب ، يا بني استعذ بالله من شرار النساء ، واسأله خيارهن ، فاجهد نفسك في الحصول على الصالحة الطيبة تلق السعادة أبد الحياة". أن تكون المرأة ولوداً: ويعني أن تكون المرأة قادرة على الإنجاب بخلوّها من الأمراض التي تمنع الإنجاب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تزوّجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة). تتعدد معاير اختيار الزوجة الصالحة في الإسلام ويبقى أساسها وجوهرها الدين ، كما أن حسن الخلق والأصل والمنبت الحسن مهمّ أيضاً ، ويستحبّ أن تكون الزوجة ولوداً).هـ. والأستاذة القديرة سناء الدويكات تقول تحت عنوان: (اختيار الزوجة الصالحة) ما نصه بتصرف: (شرع الله – تعالى – الزواج ؛ ليكون اللبنة الأولى في المجتمع ، والتي تتحقق من خلالها السكينة والمودة وإشباع الرغبات والميول الفطري بين كل من الجنسين الذكر والأنثى ، يقول -تعالى-: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) وأما عن كيفية اختيار الزوجة الصالحة ، فكما أن المرأة مأمورة بأن تتحرى الاختيار الملائم للزوج الصالح ، فإن الرجل كذلك مأمور بأن يتحرى الاختيار الملائم للزوجة الصالحة ، لتُبنى أسرة متماسكة ، وتساهم في تقدم ورفعة الأمة والمجتمع فالزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا. وأما عن كيفية اختيار الزوجة الصالحة فهو كالآتي: اختيار ذات الدين: إن من الأمور التي دعا إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - اختيار الزوجة ذات الدين ، والتي يأمن الرجل معها على عرضه وبيته وماله ، كما أنها تكون معينًا له على مختلف وجوه الخير ، وتربي أبناءها تربية صالحة ، وتكون ذات لطف ولين ولا تكلف زوجها فوق ما يطيق. اختيار ذات الجمال: وإنه يجدر الإشارة إلى أن الجمال نسبي ويختلف من شخص لآخر ، المهم أن يختار الرجل من يجد أنها تشبع رغبته ، وتعفه عن الحرام ، ومن تكون أقرب إلى الوئام والمودة وحسن المعاشرة. اختيار ذات المال: إن التكاليف المالية عمومًا في الزواج من واجبات الرجل ، إلا أن اختيار امرأة قد تكون ذات مال مما قد يخفف عن الرجل من بعض التكاليف للكماليات التي تحتاجها المرأة ، كما أنها قد تساعده في سد بعض الحوائج إذا احتاج للمال يومًا ما. اختيار ذات الحسب: إن نسب المرأة مما يؤثر تأثيرًا مباشرًا على الأبناء ، فهم يأخذون جزءًا من الصفات الوراثية لأخوالهم ، كما أن اختيار العائلات الراقية والمحترمة يؤدي إلى تبادل الاحترام بين كل من الرجل وعائلة زوجته ، وبين عائلة الزوجة وعائلة الزوج).هـ. ولكن ضحية قصيدتنا فرجل لم يحسن اختيار زوجته ولا اختيار عائلتها ، فذاق الويلات عبر مسيرة زوجية فاشلة ، وراح يعتذر لأولاده عن الجريمة التي أجرمها في حقهم جميعاً! فترجمتُ اعتذارَ الأب لأبنائه شعراً! وأنا أعتذر الاعتذار كله عن طول المقدمة! وما ذاك إلا لأحيط القراء خاصة الرجال بأسس اختيار الزوجة في الإسلام! ولأبْطِل المقولة الملعونة التي تقول: (إن الذي يتزوج امرأة لا يتزوج أهلها!) بل يتزوجها وينصهر بأهلها ، وكلمة (ينصهر) لا تقل كثيراً عن كلمة (يتزوج) إن لم تكن تزيد!)

أبنـــــائيَ الغُـــــرَّ خـــــانتْني أظـــــانيني ... فبُـــوْتُ مِـــن زلتـــي بالعِيشـــة الـــدون!

أخِـــذتُ بـــالمنطق المَـــدهون فلســـفة ... وانصَـــعتُ للهـــاجس المُحْـــتجّ بالـــدين

وغرنـــي قـــولُ (زيـــدٍ) قبـــل فعلتـــه ... وكـــم يُغـــر فتـــىً بقـــول مَلســـون!

ومِلـــتُ مَـــيلاً عظيمـــاً لا حـــدودَ لـــه ... لخـــادعين ذوي خبْـــل دهـــاقين

ثـــم اتبعـــتُ الـــذي صـــاغوه مـــن دَجَـــل ... لمّـــا اســـتعاروا لـــه أحلـــى المضـــامين

وكنـــتُ بيّـــتٌ حُسْـــن الظـــن تكرمـــة ... فـــي عـــالم سَـــيئ الأوصـــاف مَـــدجون

وكنـــتُ أخلصـــتُ فـــي ســـر وفـــي علـــن ... وكنـــتُ عاملـــتُ كـــل النـــاس بـــاللين

عَـــدّيتُ خيـــري لغيـــري ، والجميـــعُ رأوا ... ومـــا مننـــتُ ، ومـــا ســـاءتْ أظـــانيني

وعشـــتُ مـــا عشـــتُ مِعوانـــاً ومُحتســـباً ... أعطـــي المَعـــوذ ، وأرضـــي كـــل مســـكين

ولـــم أغلـــب غـــرورَ الـــنفس يجعلنـــي ... أصـــارعُ العـــيشَ بـــالتحقير والهـــون

حتـــــى ابتُليـــــتُ بأفـــــاكين دَيـــــدَنُهم ... بـــــين الخلائـــــق تصـــــميمُ الأســـــافين

واعتـــــاد أفجـــــرُهم تلميـــــعَ سِـــــيرته ... بمـــــا تيسّـــــرَ مـــــن قـــــول وتـــــزيين

مـــــازال بالخطـــــب العصـــــماء يُتْحِفنـــــي ... مَزيـــــدة بقناعـــــاتٍ وتبيـــــين

مـــــازال يُظهـــــرُ لطفـــــاً لســـــتُ ألمسُـــــه ... فـــــي غيـــــره شـــــارحاً بعـــــض البـــــراهين

مـــــازال يخـــــدعُني بمـــــا يُمارسُـــــه ... مـــــن الأكاذيـــــب تُشـــــجي قلـــــبَ محـــــزون

مـــــازال يتلـــــو نصوصـــــاً لســـــتُ أحفظهـــــا ... مُرّجّعـــــاً صـــــوته بعـــــذب تلحـــــين

مـــــازال يَصـــــحبُني إلـــــى محاضـــــرةٍ ... لكـــــي يُسَـــــرّ بهـــــا فـــــؤادُ مفتـــــون

مـــــازال يسـمعُ منـــــي مـــــا أبـــــوحُ بـــــه ... مـــــن القصـــــائد بـــــين الحـــــين والحـــــين

مـــــازال يُدهشـــــني بمـــــا يُـــــردّدُه ... مـــــن الثنـــــاءات تحـــــوي خيـــــرَ تدشـــــين

مـــــازال يـــــدأبُ فـــــي حُســـــنى مجـــــاملتي ... مُقـــــدّماً عَبْرهـــــا بعـــــضَ الريـــــاحين

مـــــازال يُقنـــــعُ مَـــــن حَـــــولي بمَنقبتـــــي ... بطيّـــــب مـــــن لطيـــــف القـــــول مـــــوزون

حتـــــى وثقـــــتُ بـــــه ، واختـــــرتُ صـــــحبته ... وإن يكـــــنْ حولـــــه بعـــــضُ الشـــــياطين

واختـــــرتُ زوجـــــيَ مِـــــن بناتـــــه شـــــغفاً ... رأيتُهـــــا غـــــادة تـــــأوي لتحصـــــين

وقلـــــتُ: عَلّـــــي - علـــــى الأيـــــام - أرشـــــدُها ... فالعقـــــلُ ذو رَشَـــــدٍ يبـــــدو وتفطـــــين!

فـــــأظهرتْ – كأبيهـــــا – الحـــــب يشـــــفعُه ... بعـــــضُ الـــــدلالات تُزجيهـــــا بتلـــــوين

وتـــــم عقـــــدٌ وإشـــــهارٌ ومأدُبـــــة ... فـــــي محفـــــل – فـــــي فنـــــاء الـــــدار - ميمـــــون

وخادعـــــت نفسَـــــها والأهـــــلَ قاطبـــــة ... إذ وافقـــــتْ مثلمـــــا خصّـــــتْ بتلقـــــين!

وكلفتْنـــــا جميعـــــاً فـــــوق طاقتنـــــا ... ولـــــم يكـــــنْ عنـــــدها أدنـــــى المـــــوازين

مـــــاذا عليهـــــا إذا باحـــــت بمـــــا اقتنعـــــتْ ... بسِـــــر قلـــــب شـــــديدِ الوقـــــع مكنـــــون؟!

مـــــاذا عليهـــــا إذا مـــــا صـــــارحتْ رجـــــلاً ... أبـــــدى صـــــراحته بغيـــــر تـــــوطين؟!

قـــــال: اصْـــــدُقيني ، ولا تُبـــــدي مراوغـــــة ... وإن صـــــدقكِ - يـــــا أختـــــاه - يكفينـــــي

أنـــــا ســـــأنهي الـــــذي لا تـــــأذنين بـــــه ... ولـــــن أقـــــول: أفادتْنـــــا بتـــــأذين!

ولـــــن تكـــــون بمـــــا أدلـــــي مفاجـــــأة! فـــالرأي رأيّـــي ، ومـــا جـــدوى الأفـــانين؟!

لكـــــنّ صـــــمتكِ قـــــد أضـــــحى موافقـــــة وفـــــق الشـــــريعة ، بـــــل وفـــــق القـــــوانين

صـــــمتُ الفتـــــاة إذا مـــــا روجعـــــتْ (نَعـــــمْ)! كأنـــــه نـــــص مرســـــوم ومضـــــمون!

فـــــي دارنـــــا هـــــذه ، أو فـــــي قـــــرى عَجَـــــم فـــــي الشـــــرق فـــــي الغـــــرب أو فـــــي الهنـــــد والصـــــين

وبعـــــدُ تـــــم زواجٌ مـــــا أريـــــدَ بـــــه وجـــــهُ المليـــــك ، فمـــــا وافـــــى بتمكـــــين!

وأوقـــــدتْ فتنـــــة أنـــــا ضـــــحيتها وأنـــــت ناجيـــــة مـــــن كـــــل إســـــفين!

هـــــل مُوقـــــدُ النـــــار يُصْـــــليها لتحرقـــــه؟! ثـــــم اتهمـــــتُ بتشـــــكيكٍ وتخـــــوين

ومَـــــدّ كـــــلّ إلـــــى الحليـــــل مُدْيتـــــهُ والشـــــائعاتُ غـــــدتْ مثـــــلَ الســـــكاكين

فـــــأين عِلمُـــــك – فـــــي البلـــــواء – يُنقـــــذنا؟! وأيـــــن نخـــــوة أصـــــهار ميـــــامين؟!

واســـــتحكمتْ عِيشـــــة بالجهـــــل قـــــد دُمغـــــتْ دارتْ رَحاهـــــا ، ولـــــم تعمـــــد لتســـــكين

وعشـــــتُ مـــــا عشـــــتُ فـــــي ذل ومَسْـــــكنةٍ كمـــــا يعـــــيشُ ذلـــــيلاً كـــــل مســـــكين!

أمـــــا الضـــــحايا فهـــــم أبنـــــاءُ مـــــا اقترفـــــوا إثمـــــاً ، ولا اتُهمـــــوا يومـــــاً بتـــــدجين

مـــــا أدركـــــوا الأم تهـــــديهم وترشـــــدُهم حتـــــى ينـــــالوا مقـــــام الفقـــــه فـــــي الـــــدين

أبنـــــائيَ الصِـــــيدَ كُفـــــوا عـــــن مؤاخـــــذتي إنـــــي لمعتـــــرفٌ بـــــالخِزي والهُـــــون

أخطـــــأتُ فـــــي حقكـــــم خِطـــــأ أبـــــوءُ بـــــه ولا يُعَوّضُـــــه مُلـــــكُ الفـــــدادين

اختـــــرتُ أمّـــــاً بـــــلا علـــــم ولا رَشَـــــدٍ والبيـــــتُ أمســـــى رهينـــــاً للطـــــواحين

تعلمـــــوا العلـــــمَ ، والمـــــولى يُعَلمكـــــم وعاملوهـــــا بكـــــل الرفـــــق واللـــــين!

وراجعـــــوا الشـــــعر قـــــد ســـــطرتُه عبقـــــاً إن القصـــــائد نشـــــوى فـــــي الـــــدواوين!

وســـــامحوني علـــــى مـــــا جئـــــتُ مـــــن غلـــــطٍ فـــــي حقكـــــم كـــــان عـــــن حـــــدْس وتـــــزكين

ويغفـــــرُ الله مـــــا قارفـــــتُ مـــــن زلـــــل أنـــــا الضـــــعيفُ الـــــذي طاشـــــت مـــــوازيني!

سنرحلُ ، ويبقى الأثر!

(ما أعظم الجودَ والكرم! وما أحلى أن يتعدى خيرُ الإنسان للغير! وقصيدتُنا عن رجلين من أبناء مصر ، غنيين عن التعريف: الأول هو الدكتور الفذ محمد عبد الغفور المَشالي ، والثاني هو المحسن الكبير الباشمهندس صلاح عطية! رحمهما الله تعالى رحمة واسعة! فالأول الدكتور المشالي جاد بعلمه وطبه الذي علمه الله ، والثاني المهندس صلاح عطية جاد بماله الذي آتاه الله إياه! إنهما (الدكتور محمد المشالي والمهندس صلاح عطية)! فالدكتور الفذ الفاضل محمد عبد الغفور المشالي ، رحمه الله تعالى! حيث توفاه الله تعالى يوم 28 يوليو 2020م عن عمر يناهز 76 عاماً ، قضى خمسين منها في خدمة الفقراء والمحتاجين والمساكين والمعوزين الذين عجزت جيوبهم وإمكاناتهم المادية عن التداوي والعلاج عند غيره من الأطباء الذين هدف معظمهم الأول والأخير هو جمع المال والتربح من وراء الطب! والجدير بالذكر أن الدكتور مشالي ولد في محافظة البحيرة سنة 1944م! وكان قد تخرج في كلية الطب – قصر العيني تخصص باطنة وأطفال! وافتتح عيادته الخاصة في طنطا سنة 1975م وكان ثمن الكشف خمسة جنيهات مصرية ، وزاد إلى عشرة جنيهات منذ عهد قصير! وتفاني الرجل في خدمة الفقراء والمحتاجين! وذهب إلى الله تعالى ولم يؤذ أحداً ، ولم يكن سبباً في التضييق على أحد! بل نفع الله به الناس ، وشفى عليه يديه وبوصفاته العلاجية خلقاً كثيراً! وكان قد ابتلي بموت أخيه مخلفاً له أبناء أيتاماً فتكفل بهم ، وعاش لهم أباً بعد أب ومرشداً ومعيناً على قوارع الدهر وريب المنون! وكأن حياة الرجل مجموعة من محطات البلاء والابتلاء! وتأخر زواجه بسبب رعايته الكاملة لأبناء أخيه! أين هذا من الذي يقتل أخاه اليوم ليجهز على حياته ليتيتم أبناء أخيه؟! وأين هو ممن يتسبب في التضييق على أخيه ليشرد يمنة ويسرة! إن عزاءنا أن الرحمن الخالق حي لا يموت ، وأنه يسمع ويرى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن بيده خزائن السماوات والأرض ، وأن بيده ملكوت السماوات والأرض! لقد سخر الله الدكتور مشالي لأبناء أخيه أباً ومرشداً ومُعيلاً ، كما سخره للناس طبيباً ومُداوياً ، فلله دره! نسأل الله أن يرحمه ويتجاوز عن سيئاته ويدخله الجنة ونلتقي به في جنات النعيم! اللهم آمين! وأنا أجعل هذه القصيدة الرثائية في تأبينه ورثائه عرفاناً بجميله على الفقراء والمساكين! ولتكن هذه القصيدة أيها الشعراء هي أول الغيث ، واجتهدوا معي في أن تقدموا عزاءه شعراً نفع الله بكم! ونفع بشعركم وجعلكم مُطيعين له نافعين لخلقه المؤمنين! وأكتفي بهذا المقدار في الحديث عن الدكتور مشالي ، فلقد خصصتُه بقصيدة يوم وفاته عنوانها: (وداعاً طبيب الغلابة الدكتور مشالي) وأتناول المهندس الأستاذ الدكتور صلاح عطية! حيث إن له مسيرة 40 عاماً من الكفاح والعمل ، جعلته أيقونة العمل الخيرى بمصر! والسر في "الشريك الأعظم". "من الحضانة للجامعة" رؤية قضى بها على البطالة والفقر في "تفهنا الأشراف". أنشأ 6 معاهد أزهرية و4 كليات ومدينة جامعية! تحت عنوان: (صلاح عطية ذاع صيته في الوطن العربي) تقول الأديبة الأستاذة مرام محمد ما نصه بتصرف يسير: (كان صلاح عطية رجلاً بأمةٍ كاملة ، علما من أعلام الخير ، عاش حياته يخدم من حوله بكل طاقاته وإمكاناته ، جعلته ظاهرة فريدة وعظيمة في حياته ووفاته ، أربعون عاما من الكفاح والعمل ظل خلالها سندا وعونا للبسطاء ، يشق الصخر في سبيل خدمتهم والنهوض بهم وحياتهم ، فقد نذر حياته لإسعاد أهله من بنى وطنه الذين ارتبط بهم وعاش معهم بعقله وقلبه ووجدانه ، والنهوض بوطنه الذي كان بالنسبة له الانتماء والوفاء والتضحية والفداء والعزيز على قلوب الشرفاء ، إنه الأب الروحي لأهالي

قرية تفهنا الأشراف رجل الأعمال الراحل صلاح عطية. نجح رجل الخير صلاح عطية ، بذكائه وعقليته التجارية الفذة وجهوده وبصماته الرائعة في العمل الخيري والتطوعي التي مازالت شامخة وراسخة أن يجعل من "تفهنا الأشراف" إحدى القرى التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية ، قرية نموذجية هزمت الفقر والبطالة والأمّية ، واستطاعت أن تحقق الاكتفاء الذاتي اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً بالمشاريع الخيرية والتنموية والجهود الذاتية ، دون أن يبحث عن جاه أو مال أو سلطة ، عاش ملياردیراً في حب الخير والعطاء للناس والوطن ، يبني ويعمر ويزرع بذور الخير بعيداً عن أضواء الشهرة ؛ إيمانا منه "أن فى قضاء حوائج الناس لذة لا يعرفها إلا من جربها" ، ضاربا بذلك نموذجاً مُشرّفاً وحضارياً للعمل الإنساني والخيري ، وخير قدوة لكل طامح في النجاح. لقد ظلت حكاية "صلاح عطية" راسخة في قلوب ووجدان المصريين ، لما خلده من مشاريع تنموية هائلة نجحت في أن تحقق طفرة اقتصادية بمسقط رأسه: قرية تفهنا الأشراف ومختلف القرى التي خطت قدماه فيها ، فهو رجل أعمال عصامي ، بدأ حياته من الصفر بمشروع دواجن و200 جنيه وبعد رحلة كفاح ومثابرةٍ كان عنوانها: "عمل الخير لله تعالى ، ثم للناس والوطن" أصبح واحداً من كبار رجال التجارة والصناعة في مصر ، ينعم بحب وتقدير الناس وأسطورة لم تمت في فعل الخير ! لقد مثلَ رجل الأعمال والمهندس صلاح عطية للمصريين وطناً للخير والعطاء في إنسانيته وجميل أخلاقه ، لم يغتر بالمناصب ورفض الوجاهة الاجتماعية والسياسية ، ووهب حياته وماله للعمل الخيري وخدمة شعبه ووطنه ، عاش للآخرين وبالرغم من رحيله ظل حياً بعمله ومشاريعه المنتشرة في كافة ربوع مصر ، مستحقاً لقب "رجل بأمة" ، هكذا تحدث محمود جودة مصطفى عطية ابن شقيق الراحل صلاح عطية لـ"اليوم السابع" عن عمه الذي تاجر مع الله ، وعاش حياته لعمل الخير وخدمة الناس والوطن ، فقال إن صلاح عطية لم يؤثر على مصر فقط ، بل وصل تأثيره لجميع الدول العربية ، فكان معروفاً في العالم العربي بأنه رجل البر والخير والتقوى ، أطلق عليه أكثر من لقب بعد وفاته كـ"الدكتور الذي تاجر مع الله" ، و"رجل الخير" ، مشيراً إلى أن متاجرته مع الله سبحانه وتعالى هي أكثر أعماله التي أفاد ونفع بها البشرية بعد أن عرفوا بقصته وحكاية نجاحه في "المتاجرة مع الله." وقصة نجاح صلاح عطية أيقونة الخير والعطاء لم تكن قصة عادية ، بل كانت تاريخاً من التضحية والعطاء شعارها الكفاح والعمل والاجتهاد في سبيل الخير والتجارة مع الله تعالى والسر كان في "الشريك الأعظم" ، بهذه الكلمات تابع "محمود" حديثه ، فقال عن نشأة عمه إنه بدأ حياته من الصفر ، نشأ محباً للعطاء والخير في أسرةٍ ريفيةٍ بسيطةٍ بقرية (تفهنا الأشراف) التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية ، ترعرع على الإيمان والتقوى وحب الدين مقتدياً بوالده الذي زرع فيه حب العطاء ومساعدة الغير ، غرس فيه الشعور بالبسطاء والوقوف بجانبهم ، وأنشأه على البساطة والتواضع والرضا والقناعة ، قائلاً: "صلاح عطية كان مقاس رجله 42 وكان بيلبس حذاء مقاس 43 ، ولما كانوا يسألونه عن السبب كان يقولهم (عشان لمّا يدوب أعرف أركّب له نعل وأقصره ويعيش معايا سنة واتنين ، أيام زمان مكنتش زي دلوقتي) ، صلاح عطية كان قنوعاً وراضياً بالجنيه الذي معه ، عندما كان يحب يذاكر كان يوفر (اللمبة الجاز) ، ويخرج يذاكر في الشارع تحت عمود النور ، كان يلبس القبقاب الخشب (بتاع زمان) ولما كان يمر من تحت البيوت ، كان يتعرف من صوت قبقابه ، وإنه خارج يذاكر تحت عمود النور." واستطرد أن صلاح عطية درس في كلية الزراعة ، وعمل وكافح واجتهد معتمداً على ذاته ، ففي الوقت

الذي كانت فيه القرية معدومة من الإمكانيات والخدمات وكافة أوجه الحياة فيها بسيطة ، بنى نفسه بنفسه حتى بلغ مكانة اقتصادية رفيعة ، متابعاً: "صلاح عطية كان من المتفوقين ، ولما كان يحب يذاكر (كان يروح تحت عمود النور في الشارع عشان يعرف يذاكر) ، فبالرغم من ضعف الخدمات والإمكانيات إلا إنه لم يكن يتأثر في دروسه أو مذاكرته ، لم يكن يتعاظم على أي شيء ، يطمح ويسعى لخدمة بلده وناسه وأهله ، لما كان يرجع من الكلية ويشوف عمه يزرع في الأرض ، كان ينزل ويساعده ويزرع معه ، وكان يضم الغلة مع أعمامه ولا يقول: أنا رجل في كلية وصاحب علم (إيه اللي يخليني أزرع وانزل الأرض) ، طول عمره كان متواضع في لبسه وكلامه وأكله وتعامله مع الناس." وأشار إلى أن بعد تخرج "صلاح عطية" من كلية الزراعة ، قرر هو وصديقه "صلاح خضر" أن يؤسسا سوياً شركة يكون عملها في نفس مجال دراستهم المرتبط بالزراعة والإنتاج الحيواني ، فكانت بدايتهم بشراء سيارةٍ يعملون من خلالها سوياً ، يتناوبان العمل عليها والسفر من خلالها إلى المدن الأخرى لشراء الكتاكيت وتوزيعها على المزارع ، وظلا يعملان على السيارة ويدخران ما يحصدانه من أموال ، حتى قررا أن يؤسسا شركة كبيرة مساهمة مع عدد من زملائهم في القرية ، مشيراً إلى أنهما نجحا خلالها في تجميع 9 أفراد ، كل واحد منهم ساهم بمائتي جنيه لافتتاح الشركة أو المكتب الذي مثل بدايتهم ونقطة انطلاقتهم في مركز ميت غمر ، وبالرغم من تجميع 9 شركاء إلا أنهم كانوا لا يزالون بحاجة إلى شريك عاشر ليتمكنوا من تأسيس المشروع وتوزيع الأرباح بينهم. إن حب صلاح عطية للخير والعطاء كان المحرك الدائم لأفكاره وقراراته في الحياة ، فكان على يقين بأن التجارة مع الله هي أفضل التجارات الرابحة في الدنيا ، عاقبتها إلى الخير ، والطريق إلى الثواب الكبير ، وأن غاية الحياة الدنيا أن يبذل الإنسان جهده في عبادة الله تعالى عبادة خالصة والرضا والقناعة بالنعم الربانية دون أن ينخدع بمباهج الحياة الفانية وملذاتها الزائلة من مال وشهرة ومتعة لا تجدي نفعا وبعيدة كل البعد عن تحقيق السعادة الأبدية ، فنجح "صلاح عطية" في فهمه للحياة ، محسناً الغرس بالمتاجرة مع الله بعمل الخير والعطاء لأجل البسطاء والفقراء ، فتابع "محمود" حديثه عن عمه أيقونة الخير والعطاء صلاح عطية ، بأن سر نجاحه تمثل في "الشريك الأعظم" ، مشيراً إلى أن بعد مرور يومين من التفكير والبحث عن الشريك العاشر ، اجتمع الشركاء التسعة وأثناء كتابة عقود التأسيس والشراكة ، ظل الشركاء يسألون عن الشريك العاشر الذي سينضم إليهم ويوقع معهم عقود الشراكة ، أخبرهم "صلاح عطية" بأنهم سيوقعون العقود وأنه أحضر الشريك العاشر ، فانتاب زملاؤه الفضول لمعرفة هوية الشريك العاشر إلا أنه رفض الإفصاح عنه وأخبرهم بأنهم سيعرفون هويته أثناء توقيع العقود ، مشيرا إلى أن عند توقيع عقود الشركة ، كل واحد منهم وقع على العقد الخاص به وظل رقم عشرة بدون تدوين في العقد ، وعندما سألوا "صلاح عطية" عن هوية الشريك العاشر قال لهم "اكتبوا الله سبحانه وتعالى" ، فاستغرب شركاؤه وأصيبوا بالدهشة والاستغراب وظنوا أنه يمزح معهم إلا أنه أكد عليهم بأن الله سبحانه وتعالى سيكون الشريك العاشر معهم ، قائلاً لهم: "كل واحدٍ منا سيحصل على 10% من الأرباح والـ10% الخاصة بالشريك العاشر "ربنا" هيتم توزيعها على البسطاء والفقراء ، عشان ربنا يحفظ لنا هذا المال ويزيده." سنة والثانية والثالثة وربنا فتح عليهم".. بهذه الكلمات تابع "محمود" ، حديثه ، فقال إن الشركاء التسعة نجحوا نجاحاً باهراً في مشروعهم ، واستطاعوا أن يحققوا أرباحاً كبيرة عاما تلو الآخر ، مشيراً إلى أن بعد مرور عدة سنوات قرر عدد من الشركاء الانفصال

والاستقلال بمشاريع خاصة بهم ، وظل "الصلاحان" صلاح عطية ، و"صلاح خضر" ومعهما الشريك الثالث "الله" سبحانه وتعالى ، وبالتالي ظل في المشروع ثلاثة شركاء فقط كل واحد منهم له ثلث الأرباح ، مخصصين الثلث الخاص بالشريك الثالث "الله" لكفالة اليتامى والبسطاء ، وبعد مرور عامين من الكفاح والعمل زاد نجاحهم وزادت أرباحهم ، فقرروا أن يزيدوا من نصيب الشريك الثالث "الله" ، ففي ظل نجاحهم وتوسع تجارتهم لم ينسوا الخير والعطاء ولو للحظة واحدة وما عاهدوا الله عليه في أن يكون عملهم لخدمة الناس والوطن. وكان صلاح عطية رجلاً عظيماً وبفكرة أراد بها أن يتاجر مع الله ، وينفع بها أهله ووطنه زرع وأعطى كثيراً بالعطاء والخير ، وأثمر اجتهاده وكفاحه في الحياة عن مؤسسات تعليمية وتربوية وصحية واجتماعية نهضت بقريته ووفرت حياة كريمة لأبنائها أبد الدهر ، لم ينجب أبناءً ، فكان طلابه بالمعاهد والكليات التي شيدها بعطائه وخيره وناسه وأهله في قريته هم أبنائه وسبب فرحته في الحياة ، موضحاً أن "صلاح عطية" عندما قرر في البداية أن يقدم شيئاً لقريته ومسقط رأسه تفهنا الأشراف ، فكر في إنشاء معهد ديني ابتدائي لتحفيظ القرآن الكريم ، ومع مرور الوقت وسّع الله تعالى من تجارتهم وزاد رزقهم ، فأصبحت القرية تنعم بستة معاهد أزهرية لكافة المراحل التعليمية ، قائلاً: "لك أن تتخيل أن واحداً كصلاح عطية لم يرزقه الله بنعمة الأبناء ، عندما يدخل لمعهد تحفيظ القرآن ويجد فيه ما يقرب من 150 طفل يحفظون القرآن الكريم ، يناديه الأطفال بسعادة ولهفة "بابا صلاح جه" ، مشيراً إلى أن صلاح عطية كان يقول لهم دوماً "أنا عندي كلمة بابا صلاح دي بالدنيا كلها" ، مشيراً إلى أن صلاح عطية كان بمثابة الأب الروحي لجميع أبناء القرية من صغيرهم لكبيرهم ، أثر في جميع أبناء قريته وغير حياتهم للأفضل ، فبمجرد ذكر اسمه في أي شارع أو حارة بالقرية تجد الجميع يقولون عنه "ياه.. صلاح عطية مكنش أخ أو أب لينا ، كان لقمتنا وشربة الماية ، كان رزقنا من عند ربنا." كما أنشأ أربع كليات ومدينة جامعية ، تحولت القرية لمركز تجاري ينشط اقتصادياً ويربط القرى والمدن ببعضها البعض ، بعد أن كانت المعاهد والكليات سبباً في إنشاء محطة قطار في القرية تنقل الطلاب من وإلى القرية ، وإنشاء العديد من المشروعات الخدمية التي وفرت فرص عمل لأهالي القرية والقرى المجاورة كتوفير وسائل مواصلات مختلفة لنقل الطلبة ، ومحلات ومطاعم ، ومكتبات ، وسكن للطلبة ، وورش للنجارة والحرف اليدوية ومشاغل لعمل أزياء الطلاب ، ومطابخ لتقديم وجبات غذائية للطلاب ، كذلك تدريب الفتيات والسيدات علي الخياطة لرفع المستوى المعيشي للأسر من خلال إعطائهن ماكينات خياطة وتكليفهن بتفصيل مرايل الحضانة ، كما استفادت غالبية البيوت ببناء حجرات إضافية لتأجيرها للطلاب ، فضلاً عن العديد من المشروعات التنموية الأخرى التى خدمت العملية التعليمية والتربوية والصحية والاجتماعية وقضت على الفقر والأمية والبطالة بقريته ووفرت حياة كريمة لأبنائها أبد الدهر. وكان صلاح عطية صاحب نظرة مستقبلية ورؤية واضحة بعيدة المدى ، ومن هنا كانت انطلاقته نحو تأسيس عدد من المعاهد الأزهرية والكليات التعليمية كأول مرة في قرية ريفية في مصر ، فأشار "محمود" إلى أن صلاح عطية أراد أن يؤسس عدد من الكليات في قرية تفهنا الأشراف ، فاجتمع بالشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ومفتي الديار المصرية سابقاً ، ليعرض عليه رغبته ، وعند سماع الشيخ لما قاله صلاح عطية قال له: "انت بتهزر يا صلاح ، كليات إيه اللي انت عايز تعملها"؟! ، فكان رد صلاح عطية عليه: "أنا عايز أعمل كليات أزهرية في تفهنا الأشراف" ، فرد عليه الشيخ جاد الحق: "إزاي قرية صغيرة

يتعمل فيها كليات؟!" فقال له "عطية: "أنا هعمل منظومة الأزهر الإسلامي كاملة في تفهنا الأشراف ومش عايز معونة من حد ، كله هبة من عند ربنا" ، وعندما سأله الشيخ جاد الحق عن كيفية حضور الطلبة إلى قرية تفهنا الأشراف في الوقت الذي لا يوجد فيه محطة قطار بالقرية ، قال له صلاح عطية: "سنة واحدة وهيكون فيه محطة قطر في القرية" ، وكانت محطة قطار "تفهنا الأشراف" الوحيدة من مدينة الزقازيق إلى مدينة ميت غمر يقف فيها الإكس والسريع وقطار الإسكندرية ، مشيراً إلى أنه بدأ مباشرة في تنفيذ خطته التنموية بإنشاء الكليات في "تفهنا الأشراف" ، وأصبحت أول قرية ريفية على مستوى مصر تضم منظومة الأزهر الشريف كاملة بداية من الكتاب وحتى الكلية ، والقرية الوحيدة التي تضم 4 كليات تعليمية في مصر ، مشيراً إلى أن قبل أن ينشئ صلاح عطية الكليات قام بإنشاء أكثر من 36 معهد ديني على مستوى الجمهورية ، كان أولها في قرية "تفهنا الأشراف" ومن ثم أنشأ المعاهد الأخرى في مختلف القرى والمدن والمحافظات كالشرقية وزفتى والعريش وصعيد مصر والفيوم والغربية والمنوفية والدقهلية ، "مكنش بيقول لحد لا." لقد اجتمع الناس على حب صلاح عطية رجل الخير والإنسانية ، فكان بالنسبة لهم الأب الروحي الذي يسمع لهم ولمشاكلهم ، يرعاهم ويحسن من حياتهم ، يوفر لهم كل ما يحتاجونه ويقدم لهم كل ما يعينهم في أمور حياتهم ويكفل لهم ولأبنائهم الحياة الكريمة من مؤسسات تعليمية وصحية وصناعية ، كان إنساناً حكيماً صاحب مبدأ في الحياة ، عاش على تراب هذه الأرض الطيبة بين البسطاء ، كحلم جميل احتضن أهله وشعر بهم وعمل على راحتهم واضعهم نصب عينيه كأب لهم ، سخر كل الإمكانات ليعمل على نهضة الإنسان قبل البنيان ، اهتم بالتعليم والصحة وتوفير وتوفير فرص عمل لهم ، تعدت عطاياه لكل شبر في مصر ، فكان حالة تفرد تاريخية جعلته في قلب كل فرد دون استثناء ، كان ينزل بين الناس ويجتمع بهم يتحدث إليهم بتواضع وحكمة ، يستمع لمشاكلهم بعمق ويشجعهم على الوحدة والتآزر والمشاركة المجتمعية في دفع عجلة التنمية في القرى ، فيقول "محمود": إن صلاح عطية كل يستقبل وفداً كل يوم جمعة من مختلف القرى والمدن ، يستمع إلى طلباتهم واحتياجاتهم من مشاريع كبناء مسجد او معهد وغيرها ، فيحدد لهم موعداً محدداً لإقامة أمسية يجتمع فيها مع الأهالي برفقة عدد من كبار الشيوخ وخلالها يضع حجر أساس المشروع." واستشهد ابن شقيق صلاح عطية ، بما كان يقوله عمه في الأمسيات من كلمات تحفيزية للأهالي في القرى لاستكمال تشييد المشروع ، "أنا خلصت جمع الفلوس.. عايزين خامات يا بلد ، أول خامات هنبدأ بيها الطوب ، فيطلع واحد ويقول أنا عندي 5 آلاف طوبة ، وشخص تاني يعرض المساهمة بـ3 آلاف طوبة ، خلصنا الطوب يا بلد ، عايزين الحديد" ، وتستمر الأمسية حتى يساهم كل الحاضرين كل على حسب استطاعته لإنشاء المشروع ، مضيفاً "البلد اللي مكنتش بطلع الجنيه ، الشيخ محمد متولي الشعراوي كان يقول لصلاح عطية ، "أنت جرابك فيه إيه؟! أنت عامل زي الحاوي ، طلع اللي في جرابك" فيرد عليه صلاح عطية ويقول له: "أنا جرابي فيه عطاء الله.. الله ، الفلوس مش بتاعتي ، الأرض اللي أنا واقف عليها مش بتاعتي ، اللقمة اللي أنا باكلها مش بتاعتي ، أوعى تقول من عندك ، قول من عند الله.. انت ومالك وأكلك وشربك وعيالك من عند الله." كان صلاح عطية يجمع ثمن المعهد وهو قاعد" ، بهذه الكلمات تابع "محمود" حديثه ، فقال إن المهندس صلاح عطية اعتاد على أن ينظم أمسيات في مختلف القرى برفقة كلا من فضيلة الشيخ رفيق النكلاوي ، والشيخ عزت حرك ، كان يجتمع بالأهالي ويدعوهم للوحدة والمشاركة في أن يكون

لهم دور وبصمة في تأسيس المعاهد ، مستذكرا كلماته التي كان يقولها للأهالي ليحفزهم ويشجعهم على المساهمة في إنشاء المعهد الخاص بقريتهم ، "مهر البلد دي.. المعهد مهره 20 ألف جنيه.. معايا أهم نقدي ، عايز أشوف البلد لو مقدرتش تدفع أد المهر بتاعي أنا هدفع الشبكة والمهر مرتين كمان عليهم" ، مضيفاً أنه بكلماته المحفزة للناس كان يساهم كل فرد من القرية بما في مقدرته ، فمنهم من كان يساهم بمائة ومنهم من كان يساهم بمائتين وأكثر ، ومنهم من كانت تقوم ببيع خاتم زواجها لتساهم بثمنه في بناء المعهد ، وكان الأطفال يخلعون حلقانهم ويساهمون بها ، قائلاً إن في إحدى الأمسيات ذهبت إحدى السيدات الأرامل إلى صلاح عطية ، والتي كانت تجاهد وتكافح في الحياة ببيع الدواجن لتتمكن من الإنفاق على أبنائها الأيتام ، تخبره بأنها لا تمتلك من النقود ما يمكنها من المساهمة في بناء المعهد وأن كل ما تمتلكه هو ما تبيعه من دجاج وبط تنفق من خلالهم على نفسها وأبنائها ، قائلة له: "أنا معايا دكر بط دلوقتي تمنه خمسين جنيه ، تقبلوه؟" ، فرد عليها صلاح عطية قائلا: "نقبله.. يا حضرات الدكر البط ده إحنا هنعمل عليه مزاد ، مين اللي بيحب ياكل بط؟ هندخل مزاد عليه" ، مشيراً إلى أن المزاد استمر على البطة حتى وصل المزاد عليها لـ10 آلاف جنيه ، وبعدها قام صلاح عطية بإرجاع البطة للسيدة ، وأخبرها بأنها هدية لها من كبار البلد وخصص لها معاشاً شهرياً من بيت مال المسلمين ، ومن بعدها أنشئ المعهد الديني وتوالت المعاهد في مختلف المدن ، قائلاً: الناس كانوا يندهشون من مهارته الفائقة في إقناع الأهالي بالمشاركة والمساهمة في إنشاء المعاهد ، قائلين له بعد انتهاء الأمسية: "إيه يا عم صلاح انت في ساعة لميت تمن المعهد."! وتابع قائلاً: صلاح عطية قام بتأسيس عدد من اللجان المختصة برعاية مصالح الناس وحل مشاكلهم والاهتمام بهم ، فقام بتأسيس لجنة تختص بالزراعة لبحث كيفية زيادة إنتاجية المحاصيل المزروعة ، ولجنة للشباب تختص بفتح مجالات أنشطة مفيدة ونافعة لهم وتوفر فرص عمل مختلفة لهم كإمدادهم بالبضائع التي تعينهم على البدء في مشاريع خاصة تمكنهم من العمل وتوفير دخل لهم ولأسرهم ، وتدريب الفتيات والسيدات علي الخياطة وإعطاؤهن ماكينات خياطة وتكليفهن بتفصيل مرايل الحضانة التي يتم توزيعها بالمجان فضمنت السيدات تسويق الإنتاج مما رفع من المستوي المعيشي لهن وتم حصر أصحاب الحرف بحيث تم شراء أدوات الحرفة لكل منهم للإنطلاق بعملهم الخاص ، ولجنة أخرى للتعليم لرفع المستوي التعليمي بالقرية ، ولجنة للصحة تعمل علي علاج المرضي بالمجان والتوعية الصحية ولجنة للزكاة وظيفتها تجميع أموال الزكاة وتوزيعها في مصارفها الشرعية ، ولجنة للقانون ، ولجنة أخرى للمصالحات كانت كمنهج إصلاح حاول من خلاله صلاح عطية أن ينهي الخصومات والخلافات في قريته ، كما أنه خصص لجنة تهتم بتحقيق الترابط بين القرى المختلفة وتوطيد العلاقات بين الأهالي ، كانت تقوم بنقل الأهالي ووفود من "تفهنا الأشراف" للقرى والمدن الأخرى لمشاركتهم في أحزانهم وأفراحهم. كما كان يهتم بصحة الأهالي ولذلك قام ببناء مستشفى في قريته ورفض كتابة اسمه عليها مطلقاً عليها اسم:"مستشفى البدر الخيري" ، قام برصف الشوارع في قريته ما يقرب من ست مرات على نفقته الخاصة ، وعندما قام بإنشاء أول مزرعة دواجن ، كان يوزع نصف كمية الدواجن على أهل البلد ، ورحل تاركاً كل ما امتلكه من أموال وما شيده من مشاريع وشركات وقفاً خيرياً لله سبحانه وتعالى ، واستطاع بمشاريعه أن يوفر العديد من فرص العمل للأهالي ، فإحدى الشركات تنفق على ما يقرب من 3 آلاف بيت ، فضلاً عن المشاريع الأخرى كالمستشفيات والمزارع وغيرها من

المشاريع التي استطاعت أن توفر فرص عمل لأهالي "تفهنا الأشراف" والقرى المحيطة ، مؤكداً على أنه وضع في بنوده أن تكون الأولوية في التوظيف عمالة 50% من أهالي تفهنا الأشراف. وعاش حياته كلها ولم يكن معروفاً في الإعلام ولا في الجمهورية كلها ، شرفنا وهو عايش وشرفنا بعد ما مات".. بهذه الكلمات تابع "محمود" حديثه ، فأشار إلى أن صلاح عطية رفض كتابة اسمه على أي من مشاريعه الخيرية حتى قبل وفاته أوصاهم بعدم كتابة اسمه على المقابر ، وكان يرفض الظهور الإعلامي والشهرة ، لم ينتم إلى حزب أو جماعةٍ معينة ، رفض أن يكون له أي توجه سياسي أو أن يشغل منصباً محدداً بالرغم من علاقاته الوطيدة بكبار الشخصيات والمشايخ ومحبة الناس له ، فلم يكن له علاقة بأي شيء سوى عمل الخير والكفاح والاجتهاد في سبيل التنمية والتطوير والاهتمام بحياة الناس وتعليمهم ومستقبلهم ، فسلك طريقاً واحداً فقط وهو عمل الخير في صمت بعيداً عن أضواء الشهرة ، لم يتوقف عنه ولو للحظة واحدة وظل مستمراً فيه حتى في أوقات الصعوبات والأزمات بفكر محدد وهو أن "ديني هو مصحفي ، إسلامي هو مصحفي ، عايز أكون غني فبمصحفي" ، قائلاً قبل وفاته: "يا رب اديني لحد ما أكمل مشاريعي وبعد كده أجيلك ، أنا جايلك وسايب مالك في الدنيا حافظ عليه واحفظه من بعدي يا رب وإنني لأعتذر عن كل ما ورد في مقدمة هذه القصيدة الغالية من الكلمات العامية ، حيث إنني آثرت أن أدونها هنا هكذا بعامية من قالوها! وذلك حباً في الباشمهندس صلاح عطية – رحمه الله تعالى! فالرجل كان يحب أن يكون القول على طبيعته ، والعمل كذلك على طبيعته! فلقد كان الرجل بسيطاً متواضعاً ، وكان لا يحب التكلف الزائد!)

سـنرحلُ حتماً ، ويَبقى الأثرْ ... وذِي سُنة الواحدِ المُقتدِرْ

وتبقى الأجورُ لأهل العطا ... سِراجاً يُضيئُ لمَن يعتبر

وما استويا مُنفِقٌ طيبٌ ... عن البذل للخير لم يعتذر

وممسكٌ مال طغى شُحّهُ ... وأضحى – بأمواله - يأتزر!

ويهوى الأنامُ الكريمَ الذي ... يَجودُ ، ولم يَخشَ أن يفتقر

ويَبذلُ ما عنده راضياً ... وللحق – بين الورى - ينتصر

رأيتُ (المَشاليَ) مُستبشراً ... وحُق له اليومَ أن يبتشر

به الطب يفخرُ في عالم ... يُقيّمُ بالمال كل البشر

ولكنّ (دُكتورَنا) مُخلصٌ ... يُحاكي - بدنيا الظلام - القمر

ومَرضاهُ كم شاهدوا بَذلهُ ... بأخلاق شهم بها يَشتهر!

وأثرَ فيهم بأخلاقه ... وإنْ يكُ ولى ، فيبقى الأثر

سيبقى - مدى الدهر - إحسانُه ... وإخلاصُه الظاهرُ المُستتر

وأمـــــــا (صـــــــلاحٌ) فأيقونـــــــة ... علـــى البـــذل والجـــود لـــم تقتصـــر

فســـــائلْ عـــن الشـــهم أهـــلَ الســـخا ... وجـــيلاً بـــه – فـــي الـــدنا - يفتخـــر

فكـــم مِـــن مـــدارسَ فيهـــا بنـــى! ... وكـــم مِـــن مَعـــامع فيهـــا انتصـــر!

وكـــم مِـــن مســـاجدَ شِـــيدتْ علـــى ... يديـــه ، ليَعمرَهـــا مَـــن عَمـــر!

وكـــم مِـــن بيـــوتٍ بنـــى للألـــى ... مِـــن الفقـــر يغشـــى الوجـــوهَ القتـــر!

وكـــم مِـــن مَشـــافٍ بهـــا أنشـــئتْ! ... وكـــم مِـــن خـــواطرَ فيهـــا جَبـــر!

وكـــم مِـــن مصـــانعَ شِـــيدتْ بهـــا ... ليعمـــلَ قـــومٌ بـــأعلى الأجـــر!

وكـــم مِـــن مـــزارعَ قامـــت علـــى ... أراض ، وحـــول الســـياج الشـــجر!

مُهندسُـــنا فـــي العطـــا أســـوة ... لـــه - فـــي العطايـــا - جميـــلُ الســـيَر

فرحمـــة ربـــي علـــى مُحســـن ... عظـــيم الفعـــال ، زكـــي الخبـــر

ولســـتُ أزكّيـــهِ يومـــاً علـــى ... إلهـــيَ ربِ القُـــوى والقُـــدَر!

عليه العِوَض ، ومنه العِوَض!

(قضى ذلك المعلمُ عقداً من السنوات يُدرسُ اللغة الإنجليزية لبُنيّاتٍ في عُمر الزهور! واعتادَ أن يبذر بين أيديهن بذورَ التوحيد والعقيدة ، ويُركز على قضايا الحجاب والحِشمة والوقار الذي ينبغي أن تكون عليه المسلمة! واعتدن أن يتقبلن كل شيء من هذا المعلم ، بصدور رحبة ونفوس راضية! واستمر المعلمُ يتدرجُ معهن في سِنِيّ التعليم المختلفة. وكن يُظهرن للمعلم الالتزام والحشمة والحجاب! وذلك لأنه يلتقي بهن في البيت! فلم يكن له علمٌ بخروجهن ولا بمشاركاتهن ولا بحياتهن الخاصة في البيت ولا العامة خارج البيت! ولمّا انتهتْ رسالته معهن ، والتحقتْ أخيرتُهن بالجامعة كما التحقتْ من قبلُ أخواتها ، كانت المفاجأة المضحكة المبكية ، حيث إنه كان يتوقعُ أن تُثمر هذه البذورُ التي كان قد بذرها! ولكن للأسف: عندما التحقن بالجامعة ، وخالطن الجاهلياتِ انبطحْن للجاهلية ، وخضعْن ذليلاتٍ للتبرج والسفور والمكياج والاختلاط المستهتر! وما كان يتوقعُ هذا أبداً! ولو نقله له أحدهم لأنكره جملة وتفصيلاً! ولكنه استوثق من خلال حساب كل واحدةٍ منهن على (الفيس بك) ، فحزن حزناً شديداً ، ودمعتْ عيناه ، وقال في أسف: (عليه العِوَض ، ومنه العَوَض!) تلك العبارة التي جعلتُها عنواناً لقصيدتي ، وأنا أعبّر عنه وعن تجربته ، حاكياً على لسانه ما جرى له! وراح المعلمُ يبتهلُ إلى الله أن لا يُحبط أجره ، وألا يُؤاخذه بما فعلت السفيهاتُ طالباتُه الراعنات! فلقد أدى ما عليه حِيالهن من البيان والبلاغ والدعوة بالمعروف! كما ابتهلَ إلى الله أن يردّهن الله تعالى إلى الحق الذي آمن به ، والتزمنه أمام الأستاذ في البيت من سنين عدداً!)

طغـــى علـــيكُن يُسْـــرُ العـــيش ، والتـــرفُ ... حتـــى قلاكُـــنّ – فـــي المعيشـــة – الهـــدفُ

علمـــــتُكُن أمـــــورَ الشـــــرع مُحتســـــباً ... لأننـــــي – مـــــن كتـــــاب الله - أرتشـــــف

كـــــم انتقيـــــتُ مـــــن الكـــــلام أعذبَـــــه ... حتـــى أوصّـــل مـــا أنـــوي ، وأنصـــرف!

وكـــــم أجبـــــتُ سُـــــؤالاتٍ شـــــقيتُ بهـــــا! ... مـــا ضِـــقتُ ذرعـــاً بهـــا ولا طغـــى الأفـــف!

وكـــــم نصـــــحتُ بنـــــاتي أســـــتعينُ علـــــى ... إرشـــــادهن ، ولـــــي عـــــزم وبـــــي شـــــغف!

وكـــم حملـــتُ علـــى الهُـــدى القلـــوبَ ، ولـــي ... فـــي كـــل قـــول دليـــلٌ خطـــه الســـلف!

وكـــم صـــدعتُ بحـــق صَـــدعَ ذي حَنَـــفٍ! ... عســـى يُفيـــدُ بنـــاتي الصـــدعُ والحنـــف!

وكـــم طرقـــتُ علـــى الأبـــواب مرتقبـــاً ... أن تســـتجيبَ نفـــوسٌ غالهـــا الصـــلف!

وكـــم تحمّلـــتُ مُـــرّ القـــول فـــي جـــدل ... أشْـــربْنه مِـــذقاً مِـــن الألـــى انحرفـــوا!

وكـــــم لقيـــــتُ مـــــن الأب الجهـــــول أذىً ... إذ كـــــان دومـــــاً معـــــي يهـــــذي ويختلـــــف!

وكـــــم وعظـــــتُ بـــــلا كَـــــلٍّ ولا مَلـــــل ... وعـــــظ الـــــذي بخِـــــلال الخيـــــر يتصـــــف!

وكـــــم أبنـــــتُ عَويصـــــاتٍ أنقحُهـــــا ... بـــلا امْتعـــاض ، ولـــو أخطـــأتُ أعتـــرف!

وكـــــم تكلفـــــتُ لِـــــينَ القـــــول أجعلـــــه ... دربـــــاً لجيـــــل بفـــــظ القـــــول يلتحـــــف!

وكـــــم رضِـــــيتُ بـــــأحوال يَضـــــيقُ بهـــــا ... مَـــــن قلبُـــــه مِـــــن قضـــــاء الله يرتجـــــف!

وكـــــم تبسّـــــمتُ للظـــــروف عابســـــة! ... وكـــــم عـــــدَلتُ إذا أضـــــنانيَ الجنـــــف!

أردتُكُـــــــنّ منـــــــاراً يُســـــــتنارُ بـــــــه ... فـــي دُلجـــة العـــيش إمـــا استأســـدَ الطلـــف!

أردتُكُـــــن سُـــــيوفاً أســـــتعينُ بهـــــا ... علـــى تطـــاول مَـــن عـــابوا ومَـــن ســـخفوا!

أقـــــول: تربيتـــــي هـــــذي ، وتجربتـــــي ... بـــين الأنـــام ، ولـــي بـــذكرها الشـــرف!

أقـــول: صُـــنّ الـــذي غرســـتُ مِـــن دُرر ... مـــا ضـــاعَ دُرّي سُـــدى كـــلا ولا الصَـــدَف!

وخـــابَ ظنـــي ، وضـــاعتْ بعـــدُ أمنيتـــي ... والعـــينُ قـــد دمعـــتْ ، وخـــيّم الأســـف!

ودمـــدمتْ حســـرة فـــي القلـــب لاعجـــة ... لمّـــا تســـاوى العقيـــقُ الحُـــر والخـــزف!

طغـــى التبـــرجُ مُختـــالاً بصـــولته ... والجاهليـــة فـــي الألبـــاب تعتكـــف!

وللبنـــات بهـــا – يـــا للأســـى - وَلـــعٌ ... إذ أصـــبح الـــوعيُ لمّـــا مِلـــن يُختطـــف

تـــبعْن للغـــرب فـــي زلاتـــه سُـــنناً ... وعنـــدهن اســـتوى (الخَـــلاصُ) والحَشَـــف

ولـــو نظـــرت إلـــى (المِكيـــاج) عـــن كثـــب ... لقلـــت: مـــا مَـــرّ بالعقائـــل الحنـــف!

مـــا للوجـــوه علـــى الرجـــال قـــد كُشِـــفتْ ... تـــروي عيـــونَ الألـــى بحُسْـــنها شـــغفوا!

مـــا للشـــعور علـــى الأكتـــاف مُرسَـــلة ... تســـبي عقـــولَ الألـــى أمامهـــا ضـــعُفوا!

مـــا للفســـاتين شـــرعَ الله مـــا احترمـــتْ ... فـــي حفلـــةٍ مُهـــجَ الـــزوار تختطـــف!

مـــا للقـــدود اشـــتكتْ تضـــييق أحزمـــةٍ ... كـــأن مـــا تحتهـــا للنـــاس ينكشـــف!

مـــا للعبـــاءات للغـــاوين قـــد فتحـــتْ! ... أواه كـــم يقتـــل الفضـــائلَ التـــرف!

كيـــف اســـتجبتُن للأعـــراف مـــا خضـــعتْ ... لـــوازع الـــدين ، بـــل أودى بهـــا التلـــف؟!

كيـــف اتبعـــتُن مَـــن خابـــت طـــرائقهم ... مـــن الغـــواة الألـــى عـــن ديننـــا صـــدفوا؟!

كيـــف انجـــرفتُن للحضـــيض فـــي مـــلأ ... عـــن البهـــائم - إي والله - مـــا اختلفـــوا؟!

أيـــن النصـــائحُ قـــد آنَ القيـــامُ بهـــا؟ كأنمـــا اســـتمعتْ – لنصـــحيَ – التحـــف!

هـــل كنـــتُ أبـــذرُ فـــي البيـــداء منتظـــراً أن يُثمـــرَ الـــزرعُ خـــابَ الـــوهمُ والخـــرف

أيـــن الكتابـــاتُ مـــا أجـــدتْ صـــحائفها؟ اليـــوم تبكـــي علـــى الترهـــل الصـــحف!

أيـــن الـــدواوينُ قـــد أهـــديتُ عـــن رغـــب حتـــى يكـــون مـــن الشـــريعة الزلـــف؟!

وضـــعتموهن فـــوق الـــرف ، مـــا قرئـــتْ وشـــمسُ صـــحوتها بـــالترك تنكســـف!

أقمـــتُ حُجـــة ربـــي ، واللقـــاءُ غـــداً فـــي موقـــف الحشـــر ، والأنـــامُ قـــد وقفـــوا

أبلغـــتُكُن بـــلا أدنـــى مواربـــةٍ ولـــم يكـــن بالـــذي أبلغتُـــه كلـــف

ومـــا كتمـــتُ عـــن الحجـــاب خردلـــة إلا وبُحـــتُ بهـــا ، إنـــي لمعتســـف!

أجـــري علـــى الله ، والأيـــام دائـــرة وكـــم تُفاجئنـــا الأقـــدارُ لا الصـــدف!

إلـــى الإلـــه أنـــا برئـــتُ معتـــذراً ممـــا أتيـــتُن! بـــئسَ الوضـــعُ والحِيَـــف!

عليـــه – رغـــم الـــذي عانيتُـــه - عِوَضِـــي تهـــون فـــي طاعـــة المهـــيمن الوُظـــف!

ومنـــه – رغـــم بلائـــي بيـــنكم - عِوَضِـــي وعنـــد هـــذا الـــدعا مستبشـــراً أقـــف!

في مكتب مدير المدرسة! (1)

(الأصلُ أن يكون المديرُ في أي مُنشأةٍ أو مُؤسسةٍ عادلاً مُنصفاً ، بوصفه أكبر رأس فيها! وإذا كان مديراً في مدرسةٍ ، فينبغي أن يكون أكثرَ المُدراء عدلاً وإنصافاً ، بوصفه مديراً لمنشأةٍ أو مؤسسةٍ سيتخرجُ منها من سيقودون زمامَ الحياة فيما بعد! أما أن يكون ظالماً متجاوزاً ، أو مُنحازاً لخصم ضد الآخر ، بدون وجه حق ، فإن هذا المبدأ غيرُ مقبول أبداً في مؤسسةٍ تعليميةٍ تربوية! وتبدأ قصة قصيدتنا هذي عندما ابتُلي أحد المعلمين المجتهدين المخلصين بإداراتٍ متعاقبة فاشلة ، لا تُقدّرُ ما للمعلم من حقوق ، إنما تُدرك فقط ما عليه من واجبات والتزامات! أما ما اسم المعلم؟ وما اسم المدير؟ وما اسم المدرسة؟ وفي أي زمان؟ وفي أي مكان؟ فهذه الأسئلة لا تُفيدنا كثيراً في فحوى القصة وزبدتها! والسبب أنني وجدتُها قصة مكرورة في أشخاص كثيرين وأزمنةٍ وأمكنةٍ أكثر من أن تُحصى كثرة! وفي بعض المدراء الديكتاتوريين المتسلطين بالقهر! وتحدث هذه القصة بحذافيرها ، عندما تُبتلى مدرسة ما بمعلميها وطلابها بمدير يَعتبرُ المدرسة مَزرعة أو تِكية أو عِزبة ورثها عن أبيه! وأن كل البشر فيها ـ من معلم أو موظفٍ أو مشرفٍ أو طالبٍ أو حارس ـ عبيدٌ كان قد ورثهم كذلك عن أبيه! ولا ننكر أبداً أن في الساحة لا يزال هناك مدراء شرفاء محترمون منصفون عادلون! لم يَجرفهم تيار المنصب ، ولم يُغرهم بريق الوظيفة! ومعلمُ قصيدتنا المُبتلى بإدارة هذا وصفها للأسف! وفي أحد أيام الشتاء شديدة هطول المطر من سُويعات الفجر الأولى ، وحتى الظهيرة! وكان ذلك اليوم يوافقُ بدءَ امتحانات الترم الأول! ومعلمنا هو مُنسقُ المادة بالمدرسة ، ولا ينبغي أن يتخلفَ عن الحضور في الأيام العادية ، فما بالنا بالامتحانات؟! وهنا كان المعلم بين خيارين لا أقول أحدهما أمَرّ من الآخر! بل كلاهما مُر مرارة لا حدود لها! فإما أن يجلس في بيته طلباً للسلامة من حادثٍ محتمل ، ودرجة احتمال حدوثه كبيرة للغاية! وإما أن يُغامر بحياته وحياة أولاده الذين يدرسون معه في المدرسة ذاتها! واستقر الأمرُ على قراره بالذهاب إلى مدرسته ، وازداد انهمارُ المطر ، وأصبح هناك ما يُشبه الدخانُ الكثيفُ الذي تستحيلُ معه رؤية الطريق! وأدار المعلمُ مذياعَ سيارته كالعادة لمتابعة الأخبار ، فإذا بمحطاتٍ عِدةٍ تقطعُ نشراتِ أخبارها الصباحية ، لتُذيع تحذيراً لجميع قائدي المَرْكبات بالبلد ، بإيقافها فوراً والاصطفاف عن يمين الطريق ، حتى إشعار آخر بتعليماتٍ أخرى ، تأتي من إدارة الإرصاد الجوية طلباً للسلامة المرورية! ولكن المعلم استمر في قيادة سيارته ، رغم هذه التحذيرات المتعددة! وفي الختام وصل بسلامة الله وحفظه وتوفيقه إلى المدرسة! وما إن وصل إلى باب المدرسة بشِق الأنفس حتى استقبله المشرفُ يتشفى فيه أمام بعض الأمهات المراهقات ، والمديرُ على بُعدٍ يُتابعُ السجالَ المتعجرفَ بين المشرف الوقح والمعلم المحترم المؤدب! ولعله سِجالٌ متفقٌ عليه بينهما! فقال المعلم للمشرف: هوّنْ عليك ، واجعلْ هذا فيما بعد ، حيث لا يجوز التشفي في المعلم وإهانته أمام أولياء أمور الطلاب ، مهما كانت المبررات والأسباب! أوَمَا سمعت نشرات الأخبار تُحذر من قيادة المركبات؟! فتجاهلَ المشرفُ كلامَ المعلم! وألحّ أن يُحرجَ المعلمَ ليأخذ بها اللقطة عند الأمهات والمدير على حدٍ سواء ، شأن الأولاد المراهقين الذين يحلو لبعضهم إظهار الفروسية والرجولة على زملائه المساكين أمام البنات ليحظى الواحد منهم بإعجابهن! وهنا خرج المعلمُ عن شعوره وحُق له ذلك – ولكن بأدب جم واحترام فسه ضبط النفس – وقال: إن أي مشرفٍ محترم لا يفعل ما تفعل ، ولا يقول ما تقول في مثل موقفنا هذا! إنما ينبغي عليه أن يشكر للمعلم الذي خاطر بحياته ، وجاء إلى المدرسة قاطعاً بسيارته مشواراً محفوفاً

بالمخاطر التي تُفضي إلى الموت المحقق ، على الطريق الرئيسي العام! متجاهلاً أو متحدياً تحذيرات الإذاعة ، وضارباً بتعليمات هيئة الإرصاد الجوية عرض الحائط! فقال المشرف الجبان الجاهل: ولو! فختم المعلمُ ذلك الجدال العقيم بقوله: "إن إدارتكم تعاملُ المعلمَ معاملة أخسّ عن الكلب!" ، وهنا انخرسَ لسانُ المشرف المنحط السافل عن الكلام ، فقد حصل على ما كان يصبو إليه من الاستفزاز! وإذا بالمدير يرسلُ في طلب المعلم بعد انتهاء الحصة الأولى! فسأل المعلمُ المدير: فيم مجيئي إليك يا مديرَنا الآن؟ أهو تحقيق كالعادة أم لقاء أخوي؟ فقال المدير: هما معاً! فقال المعلم: لا! إنما ينبغي عليك أن تختار أحدهما! وهو شرط في قبولي الجلوس! وإلا تفعل ، انصرفتُ ، وليكن بعد انصرافي ما يكون! فاختار المديرُ في مكر ودهاءٍ أن يكون اللقاء أخوياً! فكان أول أسئلته: ما الفرق بينهما؟ فقال المعلم: إن كنت مديراً ، وأنا تجاوزتُ في حقه ، وطعنتُ على إدارته ، فهو الاعتذار فقط ، ولك القرار! وهذا لا يستغرقُ ثوانيَ معدودة! وإن كان لقاءً أخوياً ، ففيه تفصيلٌ وأخذ ورد وبيان وتوضيح! وهذا قد يطول إلى نصف ساعة ، يزيد أو يقل! فقال المدير: بلغني أنك قلت عن إدارتي أنها تُعامل المعلم مثل الكلب! فهل هذا صحيح؟ وإن كان صحيحاً فلماذا؟ فقال المعلم: أولاً ما بلغك هذا الكلام! بل أنت سمعته مباشرة على مرأى ومسمع من الناس ، وكان صوتي للمشرف بحيث يسمعه القاصي والداني! ثانياً أنا لم أقل هذا الكلام! فسُر المدير ظاناً أن المعلم سيسحبُ كلامه أو سيرجعُ فيه أو سيعتذرُ عنه أو سيُغيّرُه! فاستطرد المدير سائلاً: فماذا قلت؟ فقال المعلم: قلتُ تحديداً بأن إدارتكم تُعاملُ المعلمَ معاملة أخسّ عن الكلب! وهنا احتجّ المديرُ ، وقال: كيف تجرؤ أن تقول هذا الكلام ، وهو عار عن الصحة؟ فقال المعلم: أليس لقاءً أخوياً عليك فيه أن تتحمل تبعات لقاء الأخوة؟ إن الذي يُربي كلباً يُحسن إليه ، ويوفر له طعامه وشرابه ، ويعالجه إذا مرض! ويرحمه ، ويعطف عليه من حين إلى آخر! أما إدارتُكم فتأكل المعلمَ لحماً وترميه عظماً كما يقول العوام! والأدلة على ذلك أكثر من أن تعد! يا سيدي المدير أنت تعامل معلميك ومعلماتك ومشرفيك ومشرفاتك معاملة العبيد! وإذا لم تُصدقْ كلامي هذا ، فقمْ بعمل استفتاءٍ بدون ذكر الأسماء لتعلم الحقيقة! اكتبْ في ورقةٍ صغيرةٍ تُوزع على كل العاملين بالمدرسة واحسبْ نفسك واحداً منهم ، واكتبْ في وريقتك: (هل ترضى عن أداء هذا الإدارة؟ وارسم خانتين للإشارة فقط: نعم – لا) ، وانظر إن حظيت من 250 موظف بعُشر مِعشار هذا الرقم! ولا تنس الشرط: بدون ذكر الأسماء ، لأن الذي يَعنيك هو العدد فقط ، بقطع النظر عن الأسماء! وأنا أتحداك أن تفكر في أن تقوم بهذا العمل ، فضلاً عن تنفيذه في الواقع! وهنا هاج المديرُ وماج ، وأرغى وأزبد ، وأنهى الحوار كما أنهاه مشرفه الجعظري من قبل! فقال المعلم: بل كلامي في منتهى الواقعية ، ويصنعه من حين إلى آخر المدراءُ الأذكياء الذين يريدون أن يُقوموا عملهم ويصلحوا مواطن الضعف ، ويدَعموا مواطن القوة في إدارتهم ، بكل سهولةٍ ويسر! بل ويقومون بذلك الاستفتاء مشفوعاً بعبارتين أخريين: (عبارة فيها ذكرُ الأسباب عن الرضا أو عدم الرضا بكل حرية وبدون أسماء كذلك – وعبارة فيها تقديم الشكر والامتنان لأصحاب الاستفتاء) ، أما الإدارات الاستبدادية الديكتاتورية فلا تسمحُ بمجرد نقدها ولو عابراً! لأن المسموح به عندها هو عبارات الشكر والاستحسان والثناء! فإذا تولت هذه الإدارات ظهرتْ عيوبها ، وتُنوولتْ سيرتُها العفنة ، ومُزقتْ لحومُ أصحابها إرَباً إرَباً! ولما سمع المدير هذا الإغلاق لمشهد اللقاء الأخوي المزعوم نظر للمعلم بازدراء وسُخرية ، ولم يُحْر جواباً! فقال المعلم ناصحاً: فكّر في الأمر يا سيدي ، والله إنه في صالحك! فقال المدير متحدياً في صلف

وغرور: أنت تطلب المستحيل ، وتفكر بطريقة خيالية لا سبيل إلى تطبيقها في الواقع! فقال المعلم وقد أيقن بانتقام المدير لا محالة: إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين! حسبي الله ونعم الوكيل! وما زال يرددها حتى خرج من مكتب مديره ، الذي كان يغار منه غيرة شديدة والسبب حب الجميع للمعلم الشهم ، ذلك الحب الذي لم يحصل المدير على عشر معشاره! لقد دفعته الغيرة والحسد إلى ظلم المعلم! فتخيلتُ المعلمَ يُلخصُ ذلك الحوارَ شعراً ، ويقول للمدير الغيور الحسود: غِرْ كيف شئت ، واحسدْ كيف شئت ، واظلمْ كيف شئت! والله حسبي ونعم الوكيل ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خيرُ الفاتحين!)

اشْـــرَقْ بغيرتـــك الرعنـــاء محترقـــا ... بينـــي وبينـــك صـــدّق لـــن يكـــون لقـــا

كـــم احتمتُـــك دُهقانـــا تُهـــددُني ... بكيـــد مرتصـــدٍ ، لا يعـــرفُ الشـــفقا!

وكـــم تصـــبّرتُ فـــي فرحـــي وفـــي ألمـــي! ... فمـــا لراحـــة عبـــدٍ والعـــذاب بقـــا!

وكـــم تكلفـــتُ إظهـــار الســـرور بمـــا ... يقـــول مـــن زادنـــي – بـــين الأنـــام – شـــقا!

وكـــم تحمّلـــتُ منـــك الكيـــدَ عـــن رغـــم ... إذ لـــيس يعـــرفُ قلـــبُ الجعظـــري نقـــا!

وكـــم تجاهلـــتُ مـــا تُبديـــه مـــن كـــدر ... وأنـــت تُـــتقنُ فيـــه الطـــيشَ والنزقـــا!

وكـــم تغاضـــيتُ عـــن أقـــوال ذي صـــلفٍ ... يُهـــدي لمـــن حولـــه التشـــكيكَ والقلقـــا!

وكـــم تناســـيتُ أوجاعـــاً تجـــودُ بهـــا ... علـــى أنـــاس بهـــا قطعـــتهم مِزَقـــا!

حَرّشْـــت بيـــنهمُ ، حتـــى ظفـــرت بهـــم ... فبـــادلوك خِـــداعَ الـــنفس والمَلقـــا

أدرت مدرســـــة بحقـــــدك انتكســـــتْ ... وضـــاعَ سُـــؤدَدُها ، ومجـــدُها مُحِقـــا

ونحـــو هاويـــة الفســـاد سِـــرت بهـــا ... والمجـــدُ يلفـــظ دجـــالاً ومُرتزقـــا

مازلـــت تُوقـــعُ بـــين العـــاملين بهـــا ... فأصـــبحوا بعـــدما حطمـــتهم فِرقـــا

مازلـــت تُرســـل إســـفينات منـــتقم ... تُرسّـــخ الغِـــلّ والتفريـــقَ والحَنَقـــا

مازلـــت تنفـــثُ سُـــم الـــبُغض فـــي مـــلأ ... رضـــيت عـــنهم ، فأمســـى خيـــرُهم غـــدقا

ومـــن غضـــبت علـــيهم عِبـــت وَحـــدتهم ... وقلـــدوا فـــي ســـراب التيـــه منطلقـــا

بـــئس الإدارة بـــالأخلاق مـــا اتصـــفتْ! ... بـــل أتقنـــتْ ســـيء العـــادات والخَرَقـــا!

بـــئس الإدارة لـــم ترفـــقْ بمـــن ظلِمـــوا! ... بـــل بالغـــتْ فـــي الأذى ، وســـاء منزلقـــا!

بـــئس الإدارة مـــا قامـــت دعائمُهـــا ... علـــى العدالـــة حتـــى ترفـــعَ المِشَـــقا!

فأهـــدرتْ بـــالهوى حُسْـــنى مُعلمهـــا ... لـم تُبـق مـن عِـزهِ - بـين الـورى - رَمَقـا

وعاملتْـــهُ بكـــل الســـوء عامـــدة ... أدنـــى مـــن الكلـــب أو كالكلـــب مـــا افترقـــا!

فمُقتنِـــي الكلـــب يُؤويـــهِ ويرحمـــهُ ... والله يـــرحمُ مـــن – بخلقـــه - رفقـــا

وكلنـــا يـــذكر (البغـــي) إذ رفقـــتْ ... بالكلـــب يلهـــثُ ، والتـــراب قـــد لعقـــا

فأمســـكتْ خُفهـــا عَجلـــى لتغمـــرهُ ... بالمـــاء قانعـــة حتـــى يكـــون ســـقا

والكلـــب أســـقِيَ ، والغفـــرانُ حِيـــزَ لهـــا ... وأذهـــب الله رجـــس الـــذنب والرهقـــا

أمـــا (مـــدير) قصـــيدي ، يـــا لخِسّـــتهُ! ... قضـــى الســـنين ولـــم يكـــن لـــهُ رُفقـــا!

أزرى بدمرســـةٍ مـــا كـــان أعظمهـــا! ... وصِـــيتُها بســـنا أمجادهـــا نطقـــا

إذ خالهـــا الإرثَ عـــن أبيـــه أورِثَـــهُ ... بهـــا المعلـــمُ – كـــالرقيق – مـــا افترقـــا

حيـــثُ المـــديرُ غـــدا بـــالجبر ســـيّدَهُ ... والعبـــدُ للطاعـــة العميـــاء قـــد خُلِقـــا

بـــئس الإدارة بالعـــدوان قـــد عُرفـــتْ ... والوصـــفُ هـــذا علـــى أفعالهـــا انطبقـــا

تُصـــارعُ الكـــل فـــي ســـاحات خندمـــةٍ ... أمـــا المـــديرُ فســـيفَ الباطـــل امتشـــقا!

ويـــوم قيـــلَ لـــه أحســـنْ لكوكبـــةٍ ... مـــن أكـــرم النـــاس بـــالخيرات قـــد ســـبقا

أرغـــى وأزبـــدَ مختـــالاً بصـــولته ... وقـــال: فلســـفة عزيفَهـــا اتســـقا

يـــا جعظـــري اســـتفقْ ممـــا تُمارسُـــهُ ... مـــن الحماقـــات ، خـــل الغـــبنَ والحُمُقـــا

يومـــاً ســـتتركُ مـــا قلـــدت مـــن وُظـــفٍ ... وإن جنيـــت بهـــا اليـــاقوت والوَرِقـــا!

لـــو دامَ للغيـــر يومـــاً منصـــبٌ وعُـــلا ... لمـــا أتـــاك – بغيـــر الجهـــد – مؤتلقـــا!

يـــزولُ عنـــك ، وقـــد تـــزولُ عنـــه ، وإن ... تغـــرُرْك زهوتُـــه ، يجعلّـــك مرتزقـــا!

هـــي الإدارة تكليـــفٌ لمـــن عقلـــوا ... يســـتوجبُ الحِـــذرَ مِـــن بلـــواه ، والفَرَقـــا

أتيـــتُ مدرســـتي ، والغيـــثُ منهمـــرٌ ... والأرضُ مـــن فورهـــا قـــد أصـــبحتْ زلقـــا

والغيـــثُ مثـــلُ دُخَـــان غـــالَ رؤيتنـــا ... وقـــد غـــدا لونـــه مُستشـــكلاً بَلِقـــا

وقِيـــلَ: صُـــفوا علـــى اليمـــين ، واصـــطبروا ... فالغيـــثُ أمســـى مـــن الســـماء منـــدفقا!

فمـــا اســـتجبتُ لـــدعوى القـــوم تجعلنـــي ... فـــي مـــأمن ، مـــن أطـــاعَ النشـــرة انعتقـــا

خـــــاطرتُ والله نجـــــاني ، وســـــلمني ... والمُشـــرفُ النـــذلُ لمّـــا جئتُـــه انفهقـــا

وجـــادلَ الغِـــر بالبهتـــان دون هُـــدى ... والله أعلـــمُ مـــا قصـــدُ الـــذي نعِقـــا

فقلـــتُ: ســـلمْ وبـــاركْ ، لا تكـــنْ عَجِـــلاً ... وإن فـــي دُرجـــك اليـــراعَ والوَرَقـــا!

فلـــم يُبـــال بمـــا بيّنـــتُ مـــن حُجَـــج ... فقلـــتُ: سَـــددْ وقـــاربْ ، بعـــدها انحمقـــا!

فقلـــــتُ: خيّـــــب مولانـــــا إدارتكـــــم! ... كـــم ضِـــقتُ ذرعـــاً بهـــا والقلـــبُ كـــم صُـــعِقا!

أدنـــى مـــن الكلـــب أشـــقاكم يُعاملنـــا ... وإن نناقشْـــهُ لـــم نـــدركْ لـــه أفقـــا!

وقلـــتُ مـــا قلـــتُ لـــم أخـــشَ الصـــدامَ بـــه ... بـــرغم أنـــيَ لـــم أعهـــدْ لـــه خُلقـــا

وبعـــــدُ نـــــاداني البـــــاغي لمكتبـــــهِ ... حتـــى يُـــداويَ مـــا أدمـــى بمـــا اخترقـــا

فقلـــت: يـــا داعيـــاً مـــا نـــوعُ مجلســـكم ... حتـــى يطيـــبَ حـــديثٌ فـــي بهـــيّ لقـــا؟!

لقيـــــا المـــــودة؟ أم لقيـــــا محاكمـــــةٍ؟ ... فقـــال: ودّيـــة ، والقلـــبُ قـــد وثقـــا!

لـــذاك صـــارحتُ بالحقيقـــة انبثقـــتْ ... مـــن الفـــؤاد ، وينجـــي الله مَـــن صَـــدقا

فقـــاطعَ الخِـــب مُحتـــالاً كعادتـــه ... وقـــال: تطعننـــي؟ واحـــتجّ واحترقـــا!

فقلـــــتُ: أرفـــــعُ للجبّـــــار مَظلمتـــــي! ... إثنـــان نحـــن علـــى القضـــا اتفقـــا

والله أعظـــــم جبّـــــار ومنـــــتقم! ... ولـــيس يظلـــمُ رب النـــاس مَـــن خلقـــا!

ربـــاه فـــاقتصّ لـــي مـــن ظـــالم أشـــر ... بـــالقهر جَرّعنـــي والأهـــلَ كـــأسَ شـــقا

مَـــددتُ كَفـــي إلـــى ربـــي ، ولـــي أمـــلٌ ... أن يُرْجـــعَ الله حقـــاً بـــالأذى اختنقـــا

وأن يُعاقـــبَ بالعـــدل (المـــديرَ) فقـــد ... طغـــى وأفســـدَ ، والتســـلط اعتنقـــا

في مكتب مدير المدرسة! 2

(الأصلُ في الإدارة الناجحة الحَيدةُ والموضوعية والإيجابية في القضاء والتحاكم والفصل في القضايا المتعلقة بالمعلمين داخل محيط المدرسة! وأما القضايا التي هي خارج محيط المدرسة والتي تتعلقُ بحقوق المعلمين ، فينبغي عدمُ الخوض فيها إلا بالنصيحة المجردة والموعظة المُحايدة ، ويُترك القرارُ للأطراف المتصارعة المختلفة! أما إجبارُ المعلم على التنازل عن حقه الذي عجزتِ الإدارة عن الإتيان به ، أو إحراجُ المعلم لحَمْله على التنازل عن حقه ، فهذا سَمتُ الإدارة الفاشلة الجاهلة المُغرضة! وتبدأ قصة قصيدتنا هذه بعد انتهاء اليوم المدرسي ، وكانت المناوبة المسائية (مناوبة عودة الطلاب إلى منازلهم) ، إذ سلامة الطلاب مُقدّمة على تعليمهم وتربيتهم! وكانت المناوبة تقتضِي – حسب تعليمات الإدارة – بقاءَ المعلم المناوب حتى خروج آخر طالب من المدرسة! وأخذ المعلم المبتلى طريقه إلى بوابة المدرسة ، فوجدَ مشاجرة وضجيجاً وجدلاً يدور مع زميله المناوب ، الذي أبى أن يُسَلم الطالب الذي هو في الصف الأول لأخيه الطالب في الصف الثامن كالعادة! حيث صدر قرارٌ من المدير وتعميمٌ من الوزارة ، بأن يُسَلم الطالب لقريب من الدرجة الأولى وبالبطاقة أو التابعية أو الهوية! فإذا بولي أمر متهور كان قد أطلق لسانه في المعلم وفي دينه وفي أمّه! فأخذتِ المعلمَ المسكينَ غير المناوب الحمية والغيرة والشهامة ، فأبى أن يترك زميله في هذا المأزق! فقال لولي الأمر السافل الحقير: احترمْ نفسك يا هذا ، ولا تسب دين الله ولا تسب المعلم ، هذه تعليماتٌ من الإدارة والوزارة ، لضمان سلامة الأولاد ، وبإمكانك مراجعة الإدارة! فإذا به ينقلُ ساحة المعركة لتكون مع الزميل المدافع لا المناوب ، فلم تعد مع المعلم المناوب فقط! فراجعه بعضُ أولياء الآخرين ، فلم يرتدعْ ، بل تمكنَ منه شيطانه للحد الذي تطاول فيه على المعلمَين وسب أم ودين كلٍّ منهما! فقال المعلمُ المدافع: أما إني لا ناقة لي ولا جمل في هذا السجال ، ولكنك فرضته عليّ! والأصلُ أنه لا يُضارّ كاتب ولا شهيد! عموماً وأمام الملأ لو كنت رجلاً ، وخلفك أبوك لتكون رجلاً في هذه الحياة ، فقط ارفع يدك عليَّ ودعْك من الزميل! فبهت وقال: كلامي ليس معك! فقال المعلم: وسب ديني وسب أمي كان لي أم لغيري؟! وقام المعلمُ بجمع أرقام هواتف بعض الحضور ، وسألهم إن كانت عندهم المقدرة والشجاعة على الشهادة في المخفر أو في المحكمة ، فأبدوا استعدادهم لذلك: النساء قبل الرجال! فشكرَ لهم صنيعهم ، وأخذ زميله واتجها معاً بعد انتهاء المناوبة – إلى مخفر الشرطة ، وقاما بتحرير مذكرة ، وذكرا فيها الموضوع من ألفه ليائه ، وتناولا الواقعة بتفاصيلها مدونين أسماء الشهود وأرقام هواتفهم! وتحمّس الضباط المناوبون ، وقاموا باستدعاء الجاني ، وأقرّ أمامهم ، وقال: اعذروني كانت ساعة شيطان! فقال له أحدهم: وهذه ساعة ملاك! وانفكتْ بذلك الجهة مع المخفر! وبقيتْ أمامه المدرسة ، مُستغلاً أنه من نفس بلد المدير وعلى معرفةٍ وعلاقةٍ وصداقةٍ به! ومازال المديرُ بالمعلم المناوب حتى أقنعه بالتنازل! وبقي أمامه المعلمُ المدافعُ المبتلى ، لا بد من أن يتنازل هو الآخر ، ليغلق المحضر ويحفظ حسب التعليمات والقوانين واللوائح! فأرسل المدير في طلب المعلم الشهم المدافع ، ليُحرجه أمام جمع من الحضور من كبار المعلمين والجاني المجرم والمعلم المناوب! وبدأ كلامه من أن المعلم المناوب قد تنازل مشكوراً ، ونريد إنهاء الموضوع! وهنا همّش المديرُ حق المعلم المدافع المظلوم الذي سُب دينه كما سُبت أمه! فقال المعلم في شجاعةٍ أدبيةٍ نادرةٍ: ما صفتُك يا هذا الآن؟ هل أنت مدير مدرسته؟ أم رجل يصلح بين متنازعين؟ أم قاض في محكمته؟! فقال المدير في صلفٍ وغرور: الأولى والثانية فقط!

فقال المعلم: اختر أحدهما وإلا انصرفتُ! فقال: أصلحُ بين الناس ، والله تعالى يقول: (والصلح خير)؟ فقال المعلم: صدق الله عز وجل! الصلحُ خير! أما ابنُ بلدك فقد استجار بك لفض النزاع وإنهاء القضية وإغلاق محضر المخفر ، أليس كذلك؟! وأرسلت أنت في طلب المعلم المناوب ، وحملته على التنازل ، وقدرت على المعلم المناوب بحيلةٍ أو بأخرى! فهل أنا انتدبتُك للصلح؟ إن الإصلاح ينبغي أن يكون باتفاق المتنازعين على من يَعقد لهم الصلح! وأنا أدري جيداً أنك لا تُحق حقاً ولا تُبطِل باطلاً في مثل هذه القضايا! بالعكس إننا إن تحاكمْنا إليك ، وقفت مع ولي الأمر ضد المعلم! وهذا له شواهدُ كثيرة مماثلة سبقت! فقال المدير: يا أستاذ فلان ، لا تُشعّب الموضوع! الله تعالى غفورٌ رحيم ، وسيعتذر الجاني لك ولأمك وسيُقبّل رأسك ، وإن أردت المال للعِوَض والتأديب فلك ذلك! وتنازلْ واصطلحْ رجاءً ، والصلحُ خير! فقال المعلم: كأني بك تعوّل على مقولة: (الصلح خير)! اعلم أني لن أتنازل ، ولن أصطلح ، وسوف آخذ حقي بالشريعة هناك في المحكمة الشرعية! ولو كنت سأتنازل لتنازلتُ في المخفر ، فلقد حاول معي بعض المناوبين هناك فلم أقبل! وأنا الآن لن أقبلْ! أيها المديرُ هل ترضى أن تُسَب أمك بغير حق؟! فسكت ثم قال: لا ، أبداً! فقال المعلم: وهل علمت أن أمك خيرٌ من أمي؟! فقال: هما سواء! فقال المعلم: إذن أنا على موقفي! وبيني وبين الرجل القضاء! فأخذ المدير يُهوّن في الأمر ويعذرُ صاحبه وابن بلده ، وأثارها قومية لا إسلامية ، وراح يُبرر فعله ويُحرجُ المعلم إحراجاً شديداً أمام الناس ، وطلب من الجاني الاعتذار والتقبيل ، ففعل ، رغم استعصام المعلم! وطلب الحاضرون الصفحَ ، وحملوا المعلمَ على الصلح ، بعد أن خلطوا أوراق القضية كما فعل المدير! فقال: أوافق بشرط! فقالوا جميعاً: شرطك مُجاب! فقال: أبين له حُكمَ الله تعالى في سب الدين! فقالوا تفضل: وبين المعلم المسألة في ضوء نصوص الكتاب والسنة واجتهاد العلماء! ثم تنازل وأنهى الموضوع! وكانت قصيدتي هذه موجهة للمدير خاصة ، ولكل مدير يكون في الموقف ذاته: إذا كنت غير قادر على إرجاع حق المعلم ، فدع غيرك يأتي له به! وأنشدتُها حكاية على لسان المعلم الشهم الذي عظم شعائر الله وحُرماته عندما غضب لسب الدين علناً أمام ملأ من الناس! وعندما أخذته الشهامة ، فلم يقبلْ إهانة زميله! إنما تصدّى للدفاع عنه غيرَ عابئ بمغبات الأمر! وتحمّلَ في سبيل ذلك حرقَ الدم والأعصاب وإضاعة جُهدٍ ووقت!)

فـــــيمَ التذبـــــذبُ والتطـــــاولُ الـــــوَقِحُ؟! وهـــــل نهايـــــة هـــــذا الباطـــــل الفلَـــــحُ؟!

مُـــــدِيرَنا كُـــــفّ عـــــن أخـــــزى مُســـــاومةٍ إنـــــي أراك بهـــــا تَخـــــزَى وتُفتضَـــــح!

فـــــيمَ الشـــــفاعة فـــــي وَغـــــدٍ وجُنحَتِـــــهِ بـــــل كـــــلُ حـــــرفٍ بهـــــا – لمـــــن يعـــــي - جُـــــنَح!

أتســـــتهينُ بمـــــا أتـــــاهُ مِـــــن ضَـــــلل بـــــه فـــــؤادُ ســـــفيه العقـــــل ينشـــــرح؟!

وكيـــــف تنســـــاقُ مُختـــــاراً لباطلـــــه؟ وحُكْـــــمُ مـــــا قـــــد أتـــــى فـــــي الشـــــرع متضـــــح

وكيـــــف يَرفـــــعُ كفـــــاً بعـــــد قولتـــــه علـــــى المعلـــــم؟ خـــــابَ الظـــــالمُ الـــــوَقِح!

وكيـــــف يَشـــــتمُ أمَّـــــاً فـــــي مناقشـــــةٍ؟! مـــــا ذنـــــبُ أمٍّ بهـــــذا الطعـــــن تصـــــطبح؟!

وكيـــــف يُرســـــلُ فـــــي الأســـــتاذ ســـــيفَ أذى ويَســـــتخف بـــــه ، كأنـــــه الشـــــبح؟

حتـــــى إذا ســـــجّل المظلـــــومُ قِصّـــــتهُ ... والـــــنصُ فيـــــه دِلالاتٌ ومُفتـــــتح!

يُفَصّـــلُ الأمـــرَ للســـلطان دون هـــوى ... ولـــيس يَـــنقِصُ مـــا أدلـــى بـــه وَضَـــح!

ووقعـــــاهُ معـــــاً ، بـــــلا مُواربـــــةٍ ... مُـدوناً مـا جـرى يُرضـي الألـى نصـحوا!

مستبشـــــرَيْن بإنصـــــافٍ ومَعدلـــــةٍ ... فقـــال قـــومٌ: ألا يـــا أهلنـــا اصْـــطلِحوا!

وقـــال قـــومٌ: لـــه تُجـــرى مُحاكمـــة ... بـــنص حُكـــم بـــروح العـــدل يتشـــح!

حتـــى يَـــزولَ وبـــالُ الفعـــل قارفـــهُ! ... هـــل مـــؤمنٌ مثـــلَ هـــذا الكفـــر يَجتـــرح؟!

قلـــتُ (النيابـــة) مَرمانـــا ومَطمَحُنـــا! ... وعنـــدها يَنشُـــدُ الإنصـــافَ مَـــن طمحـــوا!

للـــدين ربٌ ، وأمّـــي لســـتُ أخـــذلها ... فـــي مَشـــهدٍ مـــا بـــه للهـــزل مُنفسَـــح

قـــال المـــديرُ: أنـــا عـــن ذاك معتـــذرٌ ... وأنـــت أســـتاذنا المُهـــذبُ الفُسُـــح!

فقلـــتُ: تقبـــلُ سَـــبَ الأم فـــي مـــلأ؟! ... فقـــال: كـــلا ، وأهجـــو كـــل مَـــن قـــدحوا!

فقلـــتُ: يـــا ســـيدي ، مـــا الفـــرق بينهمـــا؟ ... أمـــي وأمـــك صـــونٌ لـــيس ينجـــرح!

فقـــال: ســـامحْ وفـــزْ بـــالأجر يـــا رجُـــلاً! ... فقلـــتُ: أمْـــراً تـــرى؟ أم ذاك مُقتـــرَح؟!

فقـــال: مُقترحـــي ، ولســـتُ أفرضُـــهُ ... وأنـــت بـــالعفو والتيســـير تُمتـــدح!

قلـــتُ: المـــديرُ لـــه عنـــدي مكانتـــهُ ... والصـــدرُ بـــالقبول الجـــم مُنفسِـــح!

فلـــم يـــزلْ برطيـــب القـــول يُحْرجنـــي ... حتـــى رضـــيتُ ، وســـادَ الســـعدُ والفـــرح

وقبّـــلَ الـــرأسَ ذاك الوغـــدُ منكســـراً ... وزالَ عـــن وجهـــه القتـــامُ والتـــرح

وأقبلـــتْ زوجُـــهُ تبكـــي ، وتشـــكرُني ... وســـاد صـــمتٌ أتـــتْ مـــن بعـــده المُلَـــح

وكنـــتُ وضّـــحتُ حُكـــمَ الشـــرع محتســـباً ... والقـــومُ بالشـــرح والتوضـــيح كـــم فرحـــوا

وانفـــضَ مجلسُـــنا ، والبِشْـــرُ يَغمـــرُهُ ... والضِـــحْكُ والـــدمعُ والترحيـــبُ والمَـــرَح!

والحمـــــدُ لله مُبْكِينـــــا ومُضْـــــحِكِنا ... عســـاهُ يجعلنـــا مِـــن الألـــى فلحـــوا!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (قصائد لها قصص مؤثرة 11)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي)	الوافر	شُعاعَهْ	7
2	أبتاهُ عُذراً!	البسيط	الجَثامينُ	12
3	أختٌ مِن الأب!	البسيط	ننثني تِيها	14
4	الخمسة أولادي!	المتدارك	أعترفُ	24
5	القمر المنتقب الصغير!	الكامل	داجية	26
6	المنتقبات الخمس الصديقات!	الرمل	الداهية	31
7	المنتقبة والقطة المبتلاة!	الرمل	هدي المصطفى	36
8	المنتقبة واليتيمتان!	الرمل	السَّمَرْ	40
9	المنتقبتان الضرّتان!	البسيط	طغواكِ	45
10	الواعظة الصغيرة!	مجزوء الرمل	العبقرية	50
11	إلى أين يا عَدُوة نفسِها؟!	المتقارب	الطرُقْ	58
12	امرأة بألف رجل!	الخفيف	عذبَ نشيدِ	63
13	تذكر يوسف وموسى!	الخفيف	المزايا	67
14	جرح المتهم البرئ!	الرمل	اختفى	69
15	حكاية الجرسونة (روزا)!	الكامل	الإطراءِ	71
16	ذاتُ النقاب والفارس!	مجزوء الوافر	يجري	73
17	رسالة منتقبة حكيمة!	المتقارب	المُوجَعِ	76
18	سامحوني أيها الأبناء!	البسيط	بالعِيشة الدُّونِ	79
19	سنرحلُ ، ويبقى الأثر!	المتقارب	المُقتدِرْ	85
20	عليه العِوَض ، ومنه العِوَض!	البسيط	الهدفُ	93
21	في مكتب مدير المدرسة! (1)	البسيط	يكونُ لَقا	96
22	في مكتب مدير المدرسة! (2)	البسيط	الفلحُ	101

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (قصائد لها قصص مؤثرة 11)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله! وأما الدواوين والقصائد والمجموعات والكتب:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نِهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيزُ النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سُويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأملُ الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذلُ الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموعُ التصبر: (ديوان شعر).
12 – عِتابٌ وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوهُ ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مِسبحتي وتَغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عَزة الخير: (ديوان شعر).
17 – مَنارُ الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ مِن قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلامُ الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجَمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعرُ رَحِمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وَداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كُنْ لي شاهداً! (ديوان شعر).
28 ـ اللهمّ تقبَّلْ مِني شِعـــري! (ديوان شعر).
29 ـ اللهَ اللهَ في شِعر أبيكم! (ديوان شعر).
30 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية).
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء! (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار!
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف! (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو! (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية! (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية! (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً!
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً!
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي! (النص الوحيد من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى! (مدح الله تعالى)
21 – الآن طاب الموت! (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة!
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء!
24 – فاعفوا واصفحوا!
25 – أبجديات شعرية!
26 – الشعر رَحِمٌ بين أهله!
27 – الله يرحمُ مُزنة!
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف!
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لِحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم! (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب! (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب! (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي! (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث! (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية! (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع! (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رُفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –!
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سُمية بنت خياط – رضي الله عنها –!
61 – سنسافر أنا والكتب! (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها! (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة! (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين! (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس! (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل!
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن! (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض!
75 – لقاؤنا في المحكمة!
76 - لوعة الرحيل!
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى! (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء!
81 – منار الخير! (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها! (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية! (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
86 - تلميذي البار شكراً!
87 - القصيدة الزينبية! (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس) 2
88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
90 - الخلق والعلم معاً! - الأستاذ محمد الكيلاني!
91 - الشعر حَنينٌ ورنينٌ وأنين!
92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
94 - زواجٌ بالإكراه!
95 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
98 - امرأة تزوجتْ رجلين!
99 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
100 – مروءة ولى زمانها!
101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
102 – زلزال تركيا المدمر!
103 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
104 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
105 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
106 – دمه وماله وعِرضه! (الصهر الكذاب)
107 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
108 – رمضان أشرقْ!
109 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
110 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
111 - القطة وإمام المسجد! – وليد مهساس
112 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
113 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
115 – المقابر تتكلم 7 (المبالغة في البناء)
116 – شبعة من بعد جوعة! (رسالة إلى أسرةٍ وضيعة)
117 – فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسِّب بالقرآن!)
118 – عَظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
119 – لا تقولوا: ضحِية زوجته!
120 – غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
121 – منتقبة لا مُنقبة!

122 – نقابي حِشمتي!
123 – منتقبة لها دَورُها!
124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
125 - أخرْتُ عمّنْ هان رَدَّ سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
126 – لا يُؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
127 – النقابُ ثلاثة أنواع!
128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
129 – ليتني أطعتُ صِحابي!
130 - غِريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
131 - منتقبة ذات علم وخلق!
132 – الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
133 – الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
134 – المنتقبة الصغيرة!
135 – تدل على الرجال مواقفهم! (محمود هلال)
136 – وليس العُري كالستر!
137- إعصار ليبيا المُدَمر (دنيال)
138 - المنتقبة والعصفور!
139 - عروسة المولد!
140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
141- العدل بين الزوجات أولى!
142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروسٌ تموت وهي ترقص!
143 - المنتقبة الفارسة!
144 - ممارسات تُزري بالمنتقبة!
145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
146– ذات النقاب والفارس!
147 – منتقبتان في الحديقة!
148 – المنتقبتان الضرّتان!
149 - المنتقبة والبحر!
150 - المنتقبة والقطة المبتلاة!
151 - المنتقبة واليتيمتان!
152 - دعاء مغترب!
153 - لباقة منتقبة!
154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
156 - عندما يتبرج النقاب!
157 – هدية امرأة منتقبة!
158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
159 - منتقبة تتزود للآخرة!
160 - من فات قديمه تاه!
161 - أبتاه عُذراً!
162 – نقاب غطته الدماء! (رزان)
163 – النقاب للستر ، لا للنشر!

164 – أطفال تحت الأنقاض!
165 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
166 – القارئ المرتل ظافر التائب!
167 – نجومٌ في ظلمات حياتنا!
168 – إحدى الحسنيين!
169 – أرسلوا النعوش والأكفان!
170 – الحجاب ليس حِكراً على النساء!
171 – السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
172 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
173 – الوقت كالسيل لا كالسيف!
174 – النفس وظلمات التيه!
175 – جرح المتهم البرئ!
176 – رسالة إلى الشاعر (الفولي عصران)!
177 - البدوية المنتقبة!
178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
179 - النصر حفيد الصبر!
180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
181 - بريءٌ دَهته المنايا!
182 - فيم الصمتُ عن أرض الرباط؟
183 - القمرُ المنتقبُ الصغير!
184 – المقابرُ تتكلم 8 (بدع الجنائز والمقابر)
185 - الأزهري الصغير معاذ!
186 - المُنتقبات الخمس الصديقات!
187 - النقاب تشريع لا تقليد!
188 - منتقبة تشتكي إلى الله! (نانا)
189 – عهد المنتقبات!
190- رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
191 – تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
192 - لك حُبي واحترامي!
193 - لا وقت للدُمَى ، يا بُنَي!
194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
195 – سنرحلُ ويبقى الأثر! (المَشالي & عَطية)
196 – لماذا تبكي النّساء؟!
197 – هرقل والمُلك الزائل!
198 – هل في القزع جمال؟!
199 – في مكتب مدير المدرسة (1)!
200 – في مكتب مدير المدرسة (2)!
201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
202 – أختٌ من الأب!
203 – مالكُ بنُ دينار وابنته!
204 – تذكَرْ يوسف وموسى!
205 – التجمّل الباطل في وسائل التواصل!

206 – حَميد الله الهندي!
207 – البذاذة من الإيمان!
208 – مُحْيي الدين عبد الحميد!
209 – كلابٌها أصدق من أهلها!
210- رسالة منتقبة حكيمة!
211 – عليهِ العِوَض ، ومنهُ العِوَض!
212 – هل مات العريس؟!
213 – الله الله في شعر أبيكم!
214 – هل أصبحتُ وباءً؟!
215 – من المحنة تأتي المنحة!
216 – الخمسة أولادي!
217 – رجلٌ جمعَ القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)
218 – ياسمين والرحيل إلى الله!
219 - سامحوني أيها الأبناء!
220 – هل في القزْع جمال؟
221 – كذبتني ، فهل صَدَقتَ؟!
222 – امرأة بألف رجل!
223 – الواعظة الصغيرة!
224 - زوجات مبتكرات!
225 - اللهم تقبل مني شعري!
226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!
227 – قالت رحابُ ، وقلتُ! (محاكاة لرحاب المحمود) - 1
228 – خياران أحلاهما مُر!
229 – كم أعطوك؟!
230 – الخديعة الكُبرى!
231 – نحن جاهزون للطلاق!
232 – الوريث الوحيد!
233 – فاعدل بينهم!
234 – سأعَلمها وأربِّيها!
235 – الأعمى البصير!
236 – ذهب النشوز بالحب!
237 - الأخت الكُبرى الضحية!
238 – أخبره أني أخته!
239 – اذكر دراجتك وقفاصتها!
239 – ضحايا الروتين اليومي!
240 – شتان بين اللجنتين!
245 - الجهل سلاح المرتزقة!
246 – شكرٌ أتى متأخراً!
247 – لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!
248 – لماذا خذلتني يا أبتاه؟!
249 – عُقبى حُب الظهور!
250 - صلاة التراويح الظافرية!
251 - تبادل الزوجات!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات!
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال!
4 – أمتي الغائبة الحاضرة!
5 – أنات محموم وآهات مكلوم!
6 – أوبريت هيا إلى العمل! (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية ، والرد عليها!
8 – رمضان شهر الخير والبركة!
9 – عندما لا نجد إلا الصمت!
10 – يا أماه ويا أختاه كُفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء!
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء! (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان!
15 – رسائل سليمانية شعرية!
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة!
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضِدَّان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة! (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمِرُ العِتاب!
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائدُ لها قِصصٌ مُؤثرة! (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره!
24 – مساجلات سليمانية عشماوية!
25 – مُراودة ومُعاندة! (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –!
27 – الزاهية تُحدثنا عن نفسها! (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العِلل والداءات!
30 – الصعيد مهد المجد والسعد!
31 – الضاد بين عدو وصديق!
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى!
33 – الغربة دُربة على الطريق!
34 – الغيرة غير القاتلة!
35 - القصيدة ابنتي!
36 – اللغة العربية وصراع اللغات!
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل!
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة! (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال!
41 – الوحدة بر الأمان! (مسرحية من فصل واحد)

42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم!
43 – أمومة وأمومة!
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر!
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا أوباش؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير! (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة! (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية!
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب!
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة!
63 – من أناشيد الأفراح!
64 – نحويات شعرية!
65 – نساء صَقلتهن العقيدة!
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان!
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر!
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان

84 – بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري!
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة!
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المُرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون!
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية! (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق!
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد!
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 – النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!

126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!
132 – حسابي مع الأوباش!
133 - ضرب الزوجات!
134 - نصيب أسرتي من شعري!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye, My Poetry! 27– Oh, My Poetry, Be my Witness! 28 – Oh, Allah, Reward my Poetry! 29 – Allah, Allah, in your father's Poetry! 30 – The Life-Style of Ahmad Ali Solaiman
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life